المرأة الداعية

والأسرة المسلمة

بقلم

محمد حسن بريغش

مؤسسة الرسالة

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

المرأة الداعية

والأسرة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ISBN 9953 - 4 - 0109 - 8

مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة

شارع حبيب أبي شهلا

بناء المسكن

هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢

فاكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)

ص.ب: ١١٧٤٦٠

بيروت - لبنان

Resalah Publishers

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٢م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر. (١)

٢١٣
ب حم م

المرأة الداعية

والأسرة المسلمة

بقلم
محمد حسن بريغش

مؤسسة الرسالة
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المرأة هي المنطلق للإصلاح لأنها المنطلق للنمو البشري والحضاري والاجتماعي .

هكذا جعل الله عز وجل الفطرة الإنسانية أن تقوم على الزوجية ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [سورة فاطر : ١١] ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [سورة شورى : ١١]، ولن تنمو الحياة البشرية وتتكاثر إلا عن طريق المزاوجة ، ومهما حاول البشر أن يخترعوا طرقاً للتوالد والتكاثر فلن يفلحوا إلا عن طريق المزاوجة بين الرجل والمرأة .

وهكذا جعل الله ـ عز وجل ـ المرأة منطلق النمو والتوالد والتكاثر ، وجعل هذا التكاثر والتوالد مطبوعاً بكثير مما تقدمه المرأة وتعطيه من جسدها وعقلها وعاطفتها وجهدها .

الرجل يبحث عن المرأة بدافع الفطرة لتكون له الشق المكمل لفطرته فإذا حافظت المرأة على نفسها ، ولم تفرط بكنزها الثمين ، إلا بعقد متين كان ذلك بداية نماء صحيح وتكاثر نظيف بحول الله .

وإن فرطت بنفسها ، وفرطت بكنزها الثمين لرياح الشهوات ، أو الكلمات المعسولات ، أو البريق الخادع ، واللون المبهج ، كان ذلك بداية لفساد كبير ، وتكاثر مريض ، ونماء للنبت الشيطاني المجرم ، من المرأة يبدأ الصلاح . . ومنها تبدأ الفتنة ويبدأ الفساد ، ليس هذا تبرئة للرجل ، فهو المسؤول الأول ، ويحمل العبء والوزر ، ولكنه التكريم والتقدير والاعتراف لمكانة المرأة وأهميتها ، وربما كان لهذا الأمر صلة بكلمات الرسول ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً . . . » .

هذه الصفحات محاولة لتركيز الاهتمام على المرأة ، تربية وسلوكاً وإعداداً ، لأن

الجهود الآثمة لشياطين العصر، والمجرمين العتاة لحضارة المادة المتفجرة يوجهون جل اهتمامهم للمرأة، لكي تخلع عنها أطهر ثيابها التي تصونها، ثياب العفاف والطهر والشرف والكرامة.

المرأة ـ كما قلت ـ هي المنطلق للنمو الاجتماعي والإنساني والحضاري، منها تبدأ الخلية الاجتماعية الأولى، والمؤسسة الأصل في بناء المجتمعات والأمم والحضارات وهي الأسرة، وكلما بقيت هذه الخلية سليمة ظل المجتمع معافى، فإذا تخلت المرأة عنها، وأصبح التكاثر وفق آلية الدواجن المتكاثرة في آلات التفريخ، أصبح المجتمع غابة للصراع ـ والفوز للأقوى ـ لأن جميع الروابط والقيم ماتت واندثرت.

ولذا حاولت أن يكون التركيز على المرأة التي يمكنها أن تمسك حركة المجتمع كله، وتوقف رياح الآثام، ويمكنها أن تعطي الثمار السليمة وسط الأجواء الملبدة.

وأرجو أن تسهم هذه الصفحات في تحقيق الوعي المطلوب لدور المرأة ومكانتها في سلامة المجتمع وبقائه، أو مرضه وانهياره لا سمح الله.

وإذا حالفني التوفيق في هذا الأمر، فالفضل من الله عز وجل، والشكر له على ما ألهمني للكتابة في هذا الموضوع، وإن أخطأت أو قصرت، فأستغفره سبحانه، لأنني بذلت الجهد، وأخلصت في الاجتهاد، ولكنني ضعيف وخطاء، وخير الخطائين التوابون، فاستغفر الله.

وعلى كلا الحالين فالحمد لله، والشكر لله على الدوام.

محمد حسن بريغش

تمهيد

ليس غريباً أن يهتم العالم بالمرأة، وأن تعقد المؤتمرات والندوات من أجل حقوقها، أو البحث في مستقبلها، لأنها صمام الأمان للمجتمعات الإنسانية، وعنوان سلوكها، وحضارتها، وعقيدتها.

وإن الإنسان ليستطيع أن يحكم على أمة من حال المرأة فيها، بل وإن المظهر، والمسلك البسيط، والعلاقات العادية للمرأة في المجتمع لتنبئ عن نوع التصورات والمعتقدات والآداب التي تسود في المجتمع.

إن الله عز وجل جعل المرأة شقاً للرجل، بل خلقها من نفس الرجل، حتى تكون جزءاً منه، لصيقةً به، مشاركة له في كل شيء، بما يتناسب مع تكوينها وفطرتها، ورسالتها التي خلقت من أجله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١).

وواضح أن المراد بالنفس هنا آدم ـ عليه السلام ـ ومن هذه النفس خلق الله ـ عز وجل ـ زوجها حواء.

قال مجاهد: خُلقت حواء من قُصَيْرَى آدم (٢).

والآية التي بدأت بخطاب الناس جميعاً لها دلالة واضحة على أنها تعم جميع المكلفين من لدن نزل كتاب الله إلى يوم القيامة. وهو يشمل الذكور والإناث بلا نزاع.

والخطاب يدعو الناس إلى تقوى الله، مقترناً ذلك بتقرير هذه الحقيقة الأبدية أنهم ـ جميعاً ـ خلقوا من نفس واحدة، وأن المرأة خلقت من هذه النفس الواحدة، والخطاب هذا للناس، بصفتهم هذه، لردهم جميعاً إلى ربهم الذي خلقهم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) أسفل الأضلاع ـ وقيل الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن (انظر تفسير القرطبي ٢/ ١٥٧٢).

﴿زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ . . إن هذه الحقائق الفطرية البسيطة لهي حقائق كبيرة جداً وعميقة جداً، وثقيلة جداً . . ولو ألقى الناس أسماعهم وقلوبهم إليها لكانت كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة في حياتهم ـ وبنقلهم من الجاهلية ـ أو من الجاهليات المختلفة ـ إلى الإيمان والرشد والهدى، وإلى الحضارة الحقيقية اللائقة بالناس، وبالنفس، واللائقة بالخلق الذي ربه وخالقه هو الله»[1] ، وهي تشير أيضاً إلى قيمة الأسرة ومكانتها، وعلاقتها بالبشرية كلها، والمجتمعات جميعاً، لأن من النفس وزوجها، بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، ولأجل ذلك كان ختام الآية، تأكيداً لمطلعها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وتوصية بالوشائج الحميمة التي تنشأ عن الزواج.

ولهذا فإن الحديث عن المرأة والأسرة أمر في غاية الأهمية، وفي غاية الخطورة في الوقت ذاته، لأنه يعني الحديث عن المجتمع كله: عن حاضره ومستقبله، عن قيمه وحضارته، عن صغاره وكباره، عن ذكوره وإناثه، عن تقدمه وتأخره، المرأة في المجتمع ليست عدداً يحدد أهميتها كما يحلو لبعضهم أن يقول، وليس جنساً ينبغي أن يبذل من أجله الكثير.

المرأة هي الأم للمجتمع، الأم التي تنشأ من رحمها وشائج متينة يبقى لها أثر بليغ في حياة الناس، وهي الأم التي ينبع من قلبها الإخلاص والوفاء والحب لأبنائها، فيغدو ذلك كله قيماً تسري في عروق الأجيال، وتفوح عطراً في سلوك الناس وتعاملهم.

المرأة هي ذلك الرحم الحنون، الذي يمد الحياة ـ بأمر الله عز وجل ـ بالأجيال تلو الأجيال، ويجدد الحياة بالعطاء بعد العطاء، حتى تظل ديمومة الحياة نضرة مشوقة لأبناء الحياة.

المرأة هي السلوك والآداب التي تسود المجتمعات، ويتعامل من خلالها الناس، فإذا أعجبك منها شيء فعنوان هذا الإعجاب المرأة، وإن ساءك منها شيء ـ فمرد ذلك ـ في غالبه ـ إلى المرأة.

من أجل ذلك كان الاهتمام بالمرأة عند كل الشعوب، وعلى لسان كل المصلحين والمفسدين.

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٧٤.

وهل أدل على هذا الاهتمام من أن يخص رسول الله ﷺ النساء بقسط وافر من خطبته الجامعة التي خطب بها الناس في عرفات يوم الحج الأكبر، التي بدأها بعد أن حمد الله وأثنى عليه، بقوله: «أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . . » وذكر أموراً جامعة مهمة، ثم قال: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم. . »[1] إلى آخر الخطبة وكذلك حذر رسول الله ﷺ من فتنة النساء، لأن أثر هذه الفتنة سوف يدمر المجتمع كله فقال: «اتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»[2]، ويقول أيضاً: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»[3]، والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي نعم بالطمأنينة، والسلام حين كان يتمسك بشرع الله ـ عز وجل ـ ولهذا كان يضع المرأة موضعها، يحافظ عليها، ويصونها، ويتظلل بأفياء حنانها وصفائها ووفائها، ويستفيد من طاقاتها ومواهبها، وتثمر الحياة في هذه الأفياء، ويعيش الناس بطمأنينة ووئام، واليوم نحن بحاجة إلى المرأة، ولكننا أكثر حاجة إلى إيمان المرأة، وتقواها، وتربيتها، بحاجة إلى المرأة الصالحة: أماً، وزوجة وبنتاً، وأختاً، بحاجة إلى المرأة الداعية التي تقوم بواجبها في الحياة، وتنهض بالمجتمع، وتصون الأمة، وتحافظ على الأسرة محافظتها على الحياة. ولكن أين هي المرأة التي نريد؟؟

الحياة العصرية الصارخة ووسائل التأثير الباهرة كلها تفعل فعلها في المجتمعات وتمارس تأثيرها على المرأة أولاً وعلى بقية الناس بعد ذلك لكي تجعل منها أداة لصياغة حياة متفلتة بعيدة عن منهج الله، منافية لكل آداب العفة والطهارة والمسؤولية.

الحياة العصرية الصارخة ـ تغلغلت في حياتنا: دخلت بيوتنا ـ ومناهج دراستنا ـ وأهداف تعليمنا ـ وخطط مستقبلنا ـ وكل مؤثر في حياتنا.

الحياة العصرية دخلت في كل شيء يلامسنا: في اللباس والمأكل والمشاهد والمقروء

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٦ صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٨٢-١٨٤. البداية والنهاية ١٧٠/٥-١٧١ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٢/ ٥٧٣-٥٧٤.

(٢) أخرجه مسلم والنسائي، وأوله: «إن الدنيا حلوة خضرة . . . ».

(٣) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء (باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء. .).

والمسموع والمشموم والملموس دخلت في طعامنا وشرابنا والهواء الذي نتنفس فيه.

الحياة العصرية هجمت على المجتمعات بقوة وشراسة، ولم تعد ـ كما كانت بالأمس ـ تندس إلينا في صور ناعمة خادعة، بل أضحت تجأر معلنة أنها الحياة والمستقبل والحقيقة والصحيح، والأجمل، والأحق، والأصلح... وأن غيرها من مجاهل التاريخ الرديء...!

وفي وسط هذا الواقع البئيس المخيف، الذي يقلب الحقائق، ويمزق القيم، ويفسد الفطرة نتوجه إلى المرأة، لأنها مفتاح الطريق إلى الصلاح، وبوابة الخروج من الفساد، ووسيلة العودة إلى الفطرة، وأساس الكيان الأسري المتماسك، وأداة العمل لاستنقاذ المجتمعات ـ ومحاربة المفاسد والانحرافات، والقضاء على المؤامرات وبناء الأجيال القادمة على هدى وبصيرة.

المرأة الصالحة التي هي خير كنز في الدنيا، ومنبع الفضيلة والصلاح ـ والمدرسة التي تتخرج منها الأجيال تلو الأجيال، وتحفظ لنا البقاء والطمأنينية والنمو الصحيح.

وإن الاهتمام بالمرأة ـ لا يقلل من مسؤولية الرجل: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.. والرجل راع ومسؤول عن رعيته» ولا يضع عنه شيئاً من واجباته نحو الأسرة أو المجتمع ولا يعفيه من حمل الأمانة في إصلاح المجتمع، والمحافظة على الأسرة والحيلولة دون طغيان هذه الرياح السموم، إنه صاحب المسؤولية الأولى في الأسرة والمجتمع ـ وصاحب القوامة وقيادة دفة الأمور، ولكنه بدون المرأة ـ لا يستطيع الوصول إلى ما يريد، فالنساء شقائق الرجال، وهن اللواتي يصلح عن طريقهن المجتمع ـ وتعيش الأسرة وتنشأ الأجيال الصالحة، وتحمى الأخلاق والقيم. وهن ـ أيضاً ـ وعن طريقهن يتعاظم الفساد في المجتمع ـ وتتفكك أواصر الأسرة ـ وتنهار الأخلاق والقيم.

هن الوسيلة والغاية والعلاج ـ ولهذا نفرد هذا الحديث عنهن، ونؤكد أن الرجل مسؤول عن كل هذا أيضاً.

ولكي تستطيع المرأة أن تقوم بهذه المسؤولية، وأن تكون على مستوى الأمانة لا بد لها من الإخلاص ـ والاستقامة والعزيمة ـ وهذا ما سوف نتحدث عنه إن شاء الله.

الفصل الأول

المـرأة الداعيـة

لعل الكثيرين يتبادر إلى أذهانهم ـ عندما يقرؤون أو يسمعون ـ هذه العبارة، صورة المرأة التي تستطيع التحدث، والخطابة وإقناع النساء بما تريد. والسبب في ذلك عدم وضوح فكرة الدعوة في أذهان الناس، وارتباط هذه الكلمة بصورة محددة في العصر الحديث، أو بتجارب معينة لأناس وجماعات في العصر الحديث، ولكن مفهوم الدعوة أكبر وأنصع مما هو معروف ومشهود بين الناس، ولذلك لابد من تجلية معنى الدعوة، ومفهومها، وأبعادها لنستطيع تحديد صورة المرأة الداعية، فضلاً عن الرجل الداعية.

أ ـ ماذا تعني كلمة الدعوة؟

نعود إلى معاجم اللغة لتحديد معنى الدعوة وأصولها، واشتقاقاتها، لكي نصل إلى معنى هذا المصطلح الذي ورد في كتاب الله وسنة رسوله.

جاء في كتاب العين عن هذه الكلمة مايلي:

والدّاعية: صريخ الخيل في الحروب ـ أجيبوا داعية الخيل، والنادبة تدعو الميت إذا ندبته.

وتقول: دعا الله فلاناً بما يكره، أي: أنزل به ذلك...

وقوله عز وجل: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1] يقال: ليس هو كالدعاء، ولكن دعوتها إياهم: ماتفعل بهم من الأفاعيل، يعني: نار جهنم...

وتقول: دعا دعاءً، وفلان داعي قوم، وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم دعوة والجميع: دعاة[2].

---

(١) سورة المعارج الآية (١٧).

(٢) كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي، و د/ إبراهيم السامرائي. ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

وجاء في تهذيب اللغة للأزهري[1] مايلي:

«والمؤذن: داعي الله، والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله تعالى وطاعته، قال الله تعالى مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[2] ويقال لكل من مات: دُعي فأجاب، ويُقال: دعاني إلى الإحسان إليك إحسانك إليَّ، والعرب تقول: دعانا غيث وقع ببلدة فأَمْرَعَ، أي كان ذلك سبباً لا نتجاعنا إياه. . .، والدُّعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة»[3]

وورد في المغرب: دَعَوَ: دعوت فلاناً: ناديته، وهو داعٍ، وهم دعاة، وقول عمر: «إنا بعثناك داعياً لا راعياً» أي للأذان وإعلام الناس لاحافظاً للأحوال[4].

وجاء في القاموس المحيط: الدُّعاء: الرغبة إلى الله تعالى، دعا، دُعاء، ودعوى. . . .

ودَعاهُ: ساقه، والنبي ﷺ داعي الله، ويطلق على المؤذن[5].

ومما ورد في لسان العرب: وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾، قال الزجاج: جاء في التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله، وجائز أن تكون ـ والله أعلم ـ دعوة الحق، أنه من دعا الله موحداً استجيب له دعاؤه.

وفي كتابه ﷺ إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة[6]. ومما جاء في كتاب (المفردات)[7]:

---

(١) لن نذكر هنا إلا ما يضيف جديداً، منعاً للتكرار، إلا ما ندر

(٢) سورة الأحقاف الآية (٣١).

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون ٣/ ١١٩ـ١٢٠ـ١٢١.

(٤) المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين المطرّزي تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار ١/ ٢٨٨.

(٥) القاموس المحيط ١٦٥٥ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٦) لسان العرب لابن منظور طبعة دار صادر ١٤/ ٢٥٨.

(٧) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني ـ طبعة دار المعرفة بيروت / ١٧٠).

«ودعوته: إذا سألته، وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

أي: سله، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ تنبيهاً أنكم إذا أصابتكم شدةٌ لم تفزعوا إلا إليه... إلخ.

والدُّعاء إلى الشيء: الحث على قصده: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي رفعة وتنويه، وذكر أهل التفسير أن الدعاء جاء في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي: القول، والعبادة، والنداء، والاستعانة، والسؤال، والاستفهام، والعذاب(1) وزاد بعضهم أن معنى الدعاء، هو الرغبة إلى الله تعالى - كما ورد - والاستغاثة والحث على قصد الشيء.

ومن العرض السابق لمعنى هذه الكلمة واشتقاقاتها، يتبين لنا مايلي:

١ - أصل هذه الكلمة: دعا، أو دعوَ، ومنها الدعاء الذي هو «طلب الأدنى من الأعلى تحصيل شيء» ومن ذلك: الرغبة إلى الله تعالى.

٢- والدعاء: الحث على قصد الشيء، وسؤال الله عز وجل، واستغاثته والنداء إلى الصلاة.

٣- والدعوة: حث الناس على التمسك بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ والطلب من الآخرين أن يقوموا بشيء، وحثهم على قصد الأمر المطلوب، وإعلامهم بدين الله، والاحتكام إلى شرعه، والتسليم له، واتباع الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- والداعي، والداعية (في صورة المبالغة): هو الذي يدعو الآخرين، ويستغيث بهم أو يتفجع عليهم، وهو المؤذن الذي يدعو الناس خمس مرات إلى طاعة الله وإقامة الصلاة، وهو الذي يدعو إلى الله عز وجل للالتزام بطاعته وعبادته ومنهجه على الدوام.

---

(1) انظر (نزهته الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) لابن الجوزي ٢٩٢ - ٢٩٥ تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت.

والرسول ﷺ داعية هذه الأمة إلى توحيد الله تعالى وطاعته، والتمسك بشريعته، وكل من يدعو إلى هذا الدين والتمسك بشرع الله ونبذ ما يخالفه هو داعية، والدعاة هم الذين يقومون بأمر الله، استجابة له ـ سبحانه وتعالى ـ في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٢).

ب.مشروعية الدعوة وحكمها:

ووظيفة الدعوة هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم قدوة الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ وأعظمهم رسول الله محمد ﷺ.

يقول الله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٣).

ويقول: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤).

والأمة كلها شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ فالآيات التي تأمر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله، يدخل فيها المسلمون جميعاً.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٥). ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) آل عمران: (١٠٤).

(٢) الكهف: (٢٨-٢٩).

(٣) الأحزاب: (٤٥-٤٦).

(٤) الحج: (٦٧).

(٥) آل عمران: (١١٠).

عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وكذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام أن تنتدب من بينها من يقوم بالدعوة بعدما ذكّرها بما أنعم عليها بفضل هذا الدين، وبعد أن أمرها بالاعتصام بحبل الله ودينه، والسير على هدى الله ورشاده:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

فالدعوة إلى الله عز وجل فريضة على المسلمين، إن لم يقوموا بها أثموا وعصوا، وإن قام بها بعضهم، بما يكفي حاجة الأمة، وحال الناس نجوا من الإثم والمعصية في هذا الواجب.

فالمسلمون، وهم الذين اتبعوا رسول الله ﷺ مأمورون بالدعوة إلى الله، لأن ذلك دليل خيرية هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾.

وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ الواردين في الآية، الدعوة إلى الله وحده، والبراءة من الشرك بأنواعه[4].

وكل مسلم ومسلمة، مكلف بالدعوة إلى الله، ولا يختص في ذلك العلماء فقط، بل هو واجب على الجميع، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيله وأحكامه، ومعانيه لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[5]. ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن

---

(١) التوبة: (٧١).

(٢) يوسف: (١٠٨)، وانظر كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعد بن علي القحطاني ١١٨-١١٩.

(٣) آل عمران الآيتان: (١٠٣-١٠٤).

(٤) أصول الدعوة ـ د/ عبد الكريم زيدان/ ٢٩٩.

(٥) يوسف: ١٠٨.

الدعوة، دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلى الله[1].

ولهذا كان رسول الله ﷺ عندما يبين لأصحابه أموراً وأحكاماً يختم كلامه بقوله: «فليبلغ الشاهد الغائب»[2].

ولقد تحدث العلماء عن الأحكام المستنبطة من الآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]. فبعض المفسرين يرى أن الواجب في الدعوة إلى الله كفائي، وأن (من) تبعيضية. ولكن ابن كثير يقول: «من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[4] وجاء في تفسير الرازي عن هذه الآية: «في قوله تعالى ﴿مِّنكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن منْ هنا ليست للتبعيض لدليلين: الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الثاني: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه. ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس. إذا ثبت هذا فنقول: معنى هذه الآية: كونوا أمة دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر. وأما كلمة (من) فهي هنا للتبيين، لا للتبعيض كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾. والقول الثاني أن (من) للتبعيض[5] لأن «في القوم من لا يقدر على الدعوة، ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». «وإن هذا التكليف مختص

---

(١) السابق / ٢٩٩ـ٣٠٠.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) آل عمران (١٠٤).

(٤) تفسير ابن كثير ١ : ٥١٩ ط دار الفيحاء دمشق ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ وانظر أصول الدعوة ٣٠٠ : ٣٠١.

(٥) تفسير الرازي ٧ : ١٧٧ـ١٧٨ . وانظر أصول الدعوة ٣٠١ـ٣٠٢.

بالعلماء . . . »[1] ولكن الأمر هنا يختلف، فالعلم متفاوت، ومادام المسلم يعلم شيئاً من الإسلام، بل يعلم أن الإسلام هو المنهج الذي يصلح لإخراج الناس مما هم فيه من الضيق والتخبط، والأحقاد، وامتهان كرامة الإنسان، والعمل ضد الفطرة، وإشاعة الفساد، ومناصرة المبطلين . . إلخ إلى حياة كريمة مطمئنة، تنعم بالسلام، والعدل، والإخاء والتعاون، وطاعة الله المنعم الكريم، والسعي لرفع الظلم والعنت عن الناس في كل مكان.

ما دام المسلم يعلم ذلك فإنه مكلف بالدعوة إلى هذا الدين والعودة إلى الله، وترك كل منهج غير منهج الله عز وجل[2] وإن الواقع المأساوي للعالم الإسلامي اليوم، يجعل الدعوة إلى الله واجباً عينياً على كل مسلم يؤمن بهذا الدين إيماناً حقيقياً، ويلتزم بهذا الإيمان، لأن الكثرة الكاثرة من ذراري المسلمين اليوم - تغط في نوم عميق من الجهل بالدين، وتخلط خلطاً عجيباً في فهم الدين، وقد لا يجد كثير من الناس الحرج في الجمع بين الإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، أو السنة والبدعة، وإقامة الشعائر وارتكاب الكبائر، والالتزام بالعبادات والولاء للطاغوت . . . إلخ.

ولذلك فإن الفئة الواعية، التي تدرك هذا الواقع مدعوة للقيام بواجبها في الدعوة على هدى وبصيرة، بل مدعوة للتسلح بالعلم الصحيح لكي يغدو قيامها بأمر الدعوة مستوفياً لكل الشروط اللازمة لذلك.

وهل أجلّ من هذا الشرف العظيم؟ إنه اتباع لرسل الله جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - وطاعة لله ولرسوله محمد ﷺ - الذي كلف بالدعوة إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3] وللداعية أجر عظيم عند الله حين يدعو إلى الله ويعمل صالحاً.

عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا . .﴾ فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في

(١) تفسير الرازي - وانظر السابق.

(٢) لقد أشار كتاب (أصول الدعوة) إلى هذا المعنى، وناقش الفكرة بطريقة مقنعة ٣٠٢-٣٠٧.

(٣) سورة فصلت (٣٣).

دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، هذا خليفة الله.» [1].

فالدعوة إلى الله - عز وجل - واجب على كل مسلم، رجل وامرأة في بيته وعمله ومجتمعه.

ج- وظائف الدعوة:

يتبين مما سبق أن الداعية يتوخى في دعوته، حث الناس ودعوتهم إلى دين الله عز وجل - وإلى ما فيه من خير، والتمسك بشرع الله وترك ما عداه [2] والولاء لله ولرسوله ولجماعة المسلمين.

يقول الله - عز وجل - مخاطباً رسوله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [3] فهذه الآيات تحدد لرسول الله ﷺ مهمته في الحياة، وسبيله في الدعوة، فهو المرسل من رب العالمين إلى الناس كافة، وهو الشاهد على أمته وعلى سائر الأمم بالتبليغ - وهو المبشّر بكل خير للمؤمنين بما سينالهم من رحمة الله ورضوانه في الدنيا والآخرة حين يستجيبون لدعوة الله عز وجل.

وهو - أيضاً - النذير للعصاة والمكذبين بما سيحيق بهم من النكال والخسارة والعذاب.

وهو الداعي إلى توحيد الله، وتحكيم شرعه، والاستمساك بكتابه، ومكافحة الكفار.

وهو السراج المنير للعالمين، والموضح للطريق المستقيم للناس أجمعين، وهو الهادي من ظلم الظلالة إلى نور الهدى والحق والرشاد.

وأسند النحاس.. قال: عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ : ١٢٩.

(٢) مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب / ٢٤

(٣) سورة الأحزاب (٤٥-٤٨).

أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . . ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً ومعاذاً فقال : «انطلقا فبشرا، ولا تعسرا فإنه قد نزل عليّ الآية» (١) وقيل قد بعثهما إلى اليمن .

فالدعوة إلى الله ليس أمراً سهلاً، ولا اجتهاداً فكرياً، وإنما هو طاعة مفروضة، وقيام بواجب لا سبيل إلى تركه ما دامت الحياة قائمة .

وطريق الدعوة واضح بيّن، لأنه مرتبط بكتاب الله ـ عز وجل ـ الذي هو : «كتاب هذه الدعوة وروحها وباعثها، وهو قيامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة، كما يستمد منه الدعاة وسائل العمل، ومناهج الحركة، وزاد الطريق» (٢) .

د ـ من هي المرأة الداعية؟

المرأة الداعية التي يهمنا الحديث عنها في الصفحات التالية، ونود التوجه إليها في هذا الخطاب، هي التي تحمل رسالة الدعوة في مجتمعها، وتدعو إلى دين الله ـ عز وجل ـ بأداء واجبها، والقيام بمسؤوليتها، بحكمة وصبر وصدق، ولا سيما في بيتها وبين أفراد أسرتها، فتعمل على حفظها وصيانتها من التفتت والإفساد، وتهتم بتربية الأجيال، وتنشئتها تنشئة حسنة، وفق منهج الله ـ عز وجل ـ وطبقاً لسنة رسول الله ﷺ قدوتنا في كل شيء .

إنها المرأة التي تستعد بكل الوسائل، وأولها فهم دينها، لحمل أعباء العمل في سبيل الله ـ عز وجل ـ على هدى وبصيرة، في كل مواقعها وأحوالها : بنتاً داخل الأسرة، وزوجة بانية لأسرة جديدة، وأماً راعية مربية، ومعلمة في المدرسة والمجتمع، وفي كل موقع تعمل فيه .

المرأة الداعية هي المرأة الواعية المؤمنة الصابرة، الصادقة التي تؤمن بأن ما عند الله آت، وأن سبيل الله ـ عز وجل ـ هو سبيل النجاة الوحيد، وأن سبيل التقدم لن يكون إلا في اتباع شرع الله، وأن كل مقاييس الحياة في الصلاح والخير والتقدم والجمال، هي مقاييس المنهج

---

(١) تفسير القرطبي ٦/ ٥٢٨٢-٥٢٨٣ .

(٢) فقه الدعوة : أحمد حسن فرحات، منشورات دار روائع الكتب/ ١٥ .

الرباني، ولذلك ترى من واجبها الوقوف في وجه العدوان الشرس للمدنيات المادية التي تفتك بالمجتمع الإنساني، وتخرّب أواصر الأسرة والمجتمع تحت رايات خادعة باسم الحضارة والمدنية، والتطور، وحقوق الإنسان، ومساواة المرأة بالرجل، والعولمة، وكل الشعارات البراقة.

وإن مجتمعاتنا بحاجة إلى المرأة الداعية، التي توقن بأن هذا الدين هو الحياة، وأن ماعداه زيف وباطل ودمار، ولا تؤمن بالله إيماناً بارداً لايتجاوز أسوار الفكر، بل يتحقق هذا الإيمان بيقين يتغلغل في كل كيانها، ويتمثل سلوكاً وعملاً وخلقاً يعبر عن شخصيتها، ويصبح هذا الإيمان الراسخ دم الحياة الذي يغذي حياتها، والنَّفَس الذي يمثل استمرار الحياة في قلبها وعقلها. ونشاطها، وكل مظاهر الحياة ذاتها. إننا بحاجة إلى هذا النوع من الإيمان الذي يدفع المرأة لتصبح في وجه رجلها إذا ضعف أمام متطلبات الحياة وفتنها المادية: إننا نصبر على الجوع والعطش ولكننا لا نصبر على عذاب النار.

من أجل هذا كله، نحاول ارتياد الطريق، والإسهام في وضع معالم الصورة الوضيئة للمرأة ـ لعلها تساعد على إحياء الصورة التي نريد، ودفع المرأة لكي تنهض ـ حقاً ـ بهذا العبء، وترتقي إلى هذه المكانة الرفيعة. وحين نحاول ذلك، لا نجد في هذا المسعى صعوبة ـ بل يدفعنا اليقين بهذا الدين، والأمل بأن المرأة المسلمة اليوم بدأت تتلمّس الطريق إلى هذه المكانة، وبدأت تسعى لاستلام زمام المبادرة للدفاع عن المجتمع المسلم، وتصون كيان الأسرة وتتحمل مسؤوليتها في بناء المجتمع، وتقف في وجه الطيش والزيف والانبهار الذي يتمثل في الصور الشائنة التي نراها هنا وهناك.

هـ ـ أول الطريق:

إن المرأة المسلمة الداعية ليست خطيبة محافل، أو محدثة في منتديات ـ كما يتبادر إلى الذهن ـ وإنما هي المرأة المسلمة التي عرفت حقيقة الإسلام ـ وتفقهت في أمور دينها، واستيقنت بما آمنت به، وأدركت تحمل أمانة كبيرة في هذه الحياة، ومسؤولية مهمة نحو مجتمعها، ولذلك انتدبت نفسها لحمل هذه المسؤولية، وشمرت عن ساعد الجد لصنع مستقبل كريم لهذه الأمة.

هذه المهمة ليست سهلة إنها تحتاج إلى إعداد صحيح، يشمل كافة الجوانب التي تمكنها من القيام بمهمتها.

- هي بحاجة إلى معرفة عقيدتها بصورة واضحة بعيدة عن الانحرافات والتعقيدات، والجدل العقيم الذي شوه صورة العقيدة.

- وهي بحاجة إلى فهم حقيقة الحياة التي هي دار ابتلاء وامتحان، وليست دار بقاء وخلود، ولذلك لا تكترث بالحياة زينةً ومتاعاً ودار سرور وقرار، وإنما تهتم بها لأنها مزرعة حضارة، وحقلٌ لاستنبات كل الزروع الطيبة، والأشجار المثمرة، والثمار التي تدر الخير على مجتمعها والإنسانية.

- إنها تفهم أننا خلق مكرم من الله - عز وجل - مسلح بالمنهاج القويم من الخالق - سبحانه وتعالى - وأنه يملك القدرة والطاقة على الفلاح إن استقام على المنهج، ولذا فعلى الإنسان أن يقرأ صفحات هذا المنهج بعناية، وأن يسير على هداه بإخلاص وأمانة.

- وإن المرأة الداعية بحاجة إلى فهم طبيعتها كأنثى تختلف عن الرجل، فترفض كل الادعاءات الباطلة التي تريد أن تخرجها عن أعز ما تملك من خصائص التكريم والتفرد، وتدّعي أنها رجل، أو كالرجل.

إنها ترفض أن تكون خلقاً مشوّهاً باسم المساواة، أو مسخاً عن شقيقها الرجل. إنها الأنثى، كما هو الذكر. ولو كانت المرأة مثل الرجل لما كان هناك حاجة لأن يكرر الله الخالق - عز وجل - الصورة ويضع اسمين لمخلوق واحد ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[1].

وإنها من هذا الفهم لطبيعتها كامرأة تدرك مسؤوليتها في حفظ المجتمعات من الانهيار، وصيانتها من العاديات المؤذية والجراثيم الفتاكة، والأمراض القاتلة، وحمايتها من كل تشويه أو انحراف، وبث الروح الإنسانية الصافية في شرايين المجتمع، ومده بنسغ الحنان والمحبة والتعاون والتراحم، والنظافة والخلق الرفيع، وإعطائه كل المضادات التي تجعله صلباً منيعاً أمام الجائحات الأخلاقية، والسموم التي تأتي بها الرياح الغربية، أو تنفثها الأفاعي والأبالسة بين الناس.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣٦).

ـ إن المرأة المسلمة الداعية بحاجة إلى فهم كل هذا، وإلى تعميق وعيها في الحياة والمجتمع، والأجيال المتلاحقة، والمؤثرات المختلفة التي تفتك بالمجتمع، وتعمل على صياغته بطريقة من الطرق.

ـ وبهذا الوعي، وهذا الفهم تستطيع أن تمارس دورها، وتقوم بمهمتها، وتنهض بمسؤوليتها على كافة الأصعدة.

ويدون هذا الفهم وهذا الوعي تبقى عاجزة ـ بل تغدو أداة ـ في يد الآخرين، وتتحول إلى سموم قاتلة تفتك بأبنائها، وتقتل ذويها وتغتال المجتمع الذي احتضنها.

ـ وإن السبيل الصحيح لامتلاك هذا الفهم وهذا الوعي هو في فهمها لدين الله فهماً صحيحاً، قائماً على دراسة متأنية، وتفقه صحيح لكل ما تحتاجه المرأة في حياتها، وبيتها، ومجتمعها، والقيام بمسؤوليتها[1]. وإن هذه الدراسة تحتاج إلى جهد دؤوب، بل وتحتاج إلى إعادة النظر والتفكير في طريقة تعليم الفتاة، والمناهج المتبعة في ذلك لأن إعداد المرأة لتكون مسلمة، أولى وأهم من إعدادها لتكون امرأة عصرية تتقن المظاهر والظرافة.

ولهذا الأمر تشعباته، وآثاره التي تمتد على مساحة كبيرة من طرق النظر للمرأة، وتوجهاتها، وتعليمها وتربيتها وتحديد مهمتها في الحياة، ومعرفة مكانتها ومسؤوليتها وواجبها في الحياة.

إننا نُخضع ـ في واقعنا المعاصر ـ المرأة لمناهج وطرق، ووسائل أثناء تعليمها، منذ بواكير حياتها، وحتى انخراطها في الحياة وقيامها بدور ما، وتحمل المسؤولية ضمن الأسرة، والمجتمع، نخضعها لهذه المناهج والطرق والوسائل لتكون رجلاً ولتصبح ذكراً، ومع ذلك نعجب إن قامت تطالب بموقعها الذي هو موقع الرجل، ونعجب إن رفضت أنثويتها، وزاحمت الرجل في طبيعته ووظيفته، وتركت موضعها ووظيفتها، وراحت تشكو من ظلم الرجل، وتتطلع إلى نوع من المساواة، بحيث تصبح مخلوقاً آخر لا هو بالرجل، ولا هو بالمرأة.

ولم يعد ممكناً أن يركن المسلم إلى وسائل التعليم ـ ومناهجه في تربية الفتاة، بل لابد

---

(١) لقد تحدثت عن ذلك في كتاب (المرأة المسلمة الداعية).

من التنبه للمناهج المطبقة، والمقررات والكتب المقررة في مختلف العلوم، ليقوم البيت ـ مرة أخرى ـ أو ولي الأمر في البيت بتصحيح المفاهيم، وتعديل المسار، وتزويد الفتاة بالأمور الضرورية التي تحفظ لها توازنها، وتحافظ لها على شخصيتها، وتنمي لها فطرتها الأنثوية باستقامة واعتدال، وتعرّفها بواجباتها في الحياة.

ولعل هذا الجانب يصبح من بين مهمات المرأة الداعية في بيتها نحو أبنائها ـ بعامة ـ وبناتها ـ بخاصة ـ فتتولى تربيتهن وتقوم مقام الأم والمعلمة والمدرسة ـ جميعاً ـ وتعوّض لبناتها النقص الواقع في مناهج التعليم، وتكمّل لهن ما ينبغي أن يعرفنه من الحقائق والمعلومات، وتقدم لهن الخبرات المناسبة، وتعمل على تنمية المهارات المختلفة المناسبة لطبيعتهن، وتصحح لهن المفاهيم والأفكار الخاطئة، وتزودهن بالثقة واليقين، والثقافة والوعي لكي يقفن بثبات أمام أي انحراف فكري، أو سلوكي، أو فطري، أو عقدي.

إن هذه المهمة تحتاج إلى ثقافة ووعي، وخبرة ومهارة لا تقدر عليها إلا امرأة وهبت نفسها للعمل في سبيل الله عز وجل، وعرفت مسؤوليتها، وتزودت بالعلم والثقافة التي تمكنها من القيام بواجبها.

ـ والمرأة الداعية التي هذه مسؤوليتها، هي المرأة التي رضيت باطمئنان وثبات أن تسير على خطى أمهات المؤمنين اللواتي خيرّهن الله ـ عز وجل ـ بين الحياة الدنيا وزينتها، وبين الله عز وجل ورسوله ﷺ ـ فاخترن الله ورسوله بيقين وبلا تردد، يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(1).

ومن هذا الموقف تبدأ المرأة المسلمة الداعية مسيرتها، وتحدد أهدافها، صادقة النية مع ربها، مطمئنة راضية بما تلقاه في سبيل دوعتها، فرحة بما عند الله لها من الأجر والثواب، مستصغرة لكل العوائق والمتاعب التي تعترضها، ليقينها بعظيم الأجر،

---

(1) سورة الأحزاب الآيتان (٢٨ ـ ٢٩)، وانظر (المرأة المسلمة الداعية) الجزء الأول فصل (النساء والخيار الصعب).

واعتمادها على رب العالمين. ومن خلال ما أسلفنا من حقائق تتحدد للمرأة مجـالات الدعوة، وطرقها وأساليبها وغاياتها، وأهمها ـ بدون شك ـ الأسرة ورعايتها.

ـ ومجالات الدعـوة واسـعة ومهمـة، لأنهـا تتعلـق بجـذور المجتمـع، وتخـص قواعـده ومنطلقاته، ويمكن أن نحدد هذه المجالات بالآتي:

١ ـ محيط الأسرة: وهو الأساس والأهم، ويتعلق بالزوجين، والأولاد، وكل ماينشأ حول الأسرة من مسؤوليات وعلاقات ومؤثرات.

٢ ـ محيط الأقارب والأرحام.

٣ ـ محيط الجيران والحي.

٤ ـ محيط المؤسسات التعليمية (المدرسة ـ الجامعة ـ الجمعية...).

٥ ـ محيط المجتمع الكبير ـ والأمة الإسلامية بأجمعها.

ولكن قبل أن ندخل في نطاق هذه المجالات، لابد من التحدث عن بعـض الأمـور التي تؤثـر في واقعنـا، وتـترك بصماتهـا في حيـاة أجيالنـا، وبالتـالي تحـدد ـ بشكـل غـير مباشـر ـ المستقبل وملامح المجتمع. ولابد لنا من التأكيد على أن الأسرة هي الأساس في ذلك كلـه، ولهذا ركز عليها الخبثاء بشتى الصور.

الفصل الثاني

مؤثرات في حياة المرأة والمجتمع

أ.النية وصدق التوجّه:

لقد وضع رسول الله ﷺ دستوراً واضحاً في تمييز الأعمال وميزانها حتى يدرك المسلم أن كل عمل من أعماله، صغر أو كبر، كلمة بسيطة أو عملاً كبيراً ذا شأن، كل ذلك يصنف في البدء على أساس النية، والمقصد، لأن الله ـ عز وجل ـ واحد لا يقبل شريكاً، ولا يقبل أن يكون لعباده توجه غير التوجه لمرضاته عز وجل، والإذعان لربوبيته وألوهيته.

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» (١).

وهذا الحديث ـ كما تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدره ـ يحدد مسار المسلم في حياته، ويدخل في أكثر أعماله، من العبادة والمعاملة والسلوك، بل يدخل قبل ذلك في إيمان المسلم واعتقاده.

قال أبو عبد الله: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث.

واتفق عبد الرحمن بن مهدي ـ والشافعي . . . على أنه ثلث الإسلام.

وقال ابن مهدي أيضاً: يدخل في ثلاثين باباً من العلم.

وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً. وقال ابن مهدي: ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب.

---

(١) متفق على صحته ـ أخرجه الجميع إلا الموطأ، وله روايات كثيرة.

ووجهه البيهقي كونه ثلث العلم: بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها، لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها. ومن ثم ورد: نية المؤمن خير من عمله، فإذا نظرت إليها كانت الأمرين.

ويدل كلام الإمام أحمد على أنه أحد القواعد الثلاث التي ترد إليها جميع الأحكام عنده، وهي هذا الحديث، و«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» و «الحلال بين والحرام بين» (١).

قال النووي: النية القصد، وهي عزيمة القلب.

وقال ابن تيمية: الأحسن تقدير ما يقتضي أن الأعمال تتبع النية، لقوله في ذات الحديث: «فمن كانت هجرته . . . . . .» إلى آخره.

واشتراط النية، تقضي أن صحة الأعمال مرهونة بالنية(٢).

والنية تميّز العمل لله عن العمل لغيره رياء، وتميز مراتب الأعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة، كالصوم عن الحمية(٣).

مما سبق نخلص إلى أن المرأة بحاجة إلى القصد والنية الحسنة في العمل وابتغاء مرضاة الله عز وجل، لأنها لا تستطيع أن تتحمل أعباء الحياة، ومشاقّ الدعوة إلى الله، والصبر على ما يعترضها من أمور إلا إذا كانت متيقنة من جزيل الثواب، راضية بما عند الله ـ عز وجل ـ على ما في هذه الدنيا.

وهذا الأمر غاية في الأهمية، فالله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين والمتقين والصالحين ـ جميعاً ـ ثواب الجنة، وهذا هو الأصل في إيمان المؤمن، وإيثاره لمرضاة الله عز وجل، وهذا ما أمر الله ـ عز وجل ـ به رسوله لتخيير نسائه، بين الحياة الدنيا، بما فيها من زينة وبهجة ومتاع، وحرية و. . . وبين الله ورسوله، وما أعده الله لعباده المؤمنين في الآخرة، إنه الفيصل والخيار الصعب، والطريق الواضح، يقول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ

---

(١) انظر فتح الباري ١/ ١١ كتاب بدء الوحي، الحديث (١).

(٢) السابق ١/ ١٣ ـ ١٤.

(٣) السابق ١/ ١٣٥.

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ . . . ﴾[1] .

فالغاية والمقصد، أو الهدف الذي يسعى المسلم لتحقيقه هنا، واضح جداً، إنه هدف الظفر برضوان الله ـ عز وجل ـ ومغفرته، ودخول جنته. وهذا الهدف لدى المسلم، أسمى من كل الأهداف، ولذلك تنعقد النية في كل عمل من أجله، وتطمح الهمم والأعمال للوصول إليه، لأن البديل عن هذا الهدف خسرانٌ ما بعده خسران، وضياع ليس بعده ضياع، وعذاب يهون أمامه ويتضاءل كل عذاب.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2] .

وأوضح لنا رسول الله ﷺ أن الوصول إلى هذا الهدف يكلف المسلم ـ رجلاً أو امرأة ـ مشقات ومكاره، لأن سمو الهدف وعظمته، يستلزم صعوبة الحصول عليه. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[3] .

ولذا فإن الاستمتاع بالدنيا، والركون إليها، وتحقيق مكاسبها أمر سهل، ومما ترغبه النفس، ولكن ذلك يبعد ـ في كثير من الأحيان ـ عن الوصول إلى رضوان الله ومغفرته. ولذا قال العلماء: إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحضّ على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها. والمكاره هي ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً، كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل، وصعوبتها عليه.

والمراد بالشهوات: مايستلذُّ من أمور الدنيا، مما منع الشرع من تعاطيه، ويلتحق بذلك الشبهات، والإكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم. . .

---

(١) سورة الأحزاب (٢٨ ـ ٢٩)، وانظر (المرأة المسلمة الداعية) للمؤلف فصل: النساء والخيار الصعب.

(٢) سورة يونس (٧ ـ ٨).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له، وأبو نعيم، والدارقطني، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم.

وكلمة حفت من الحفاف، وهو ما يحيط بالشيء حتى لايتوصل إليه إلا بتخطيه، فالجنة لايتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره، والنار لاينجى منها إلا بترك الشهوات[١] .

والمسلم يعلم يقيناً أنه لا يظفر بشيء في دنياه يعدل لحظة من الظفر بالآخرة، ولاينالـه عذاب ومشقة في الدنيا يعدل لحظة من عذاب الآخرة.

يقول ﷺ : «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[٢] ولعل الآية الكريمة التالية تبين لنا بدقة الفرق بين النتيجتين، لكي يعرف المسلم كيف يحدد هدفه، ويبني مستقبله، ويبين مقصده: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣] .

وكان الرسول ﷺ يقول للمسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٤] .

فتحديد الهدف والغاية، وتوضيح الطريق أمام المسلم، رجلاً كان أو امرأة ـ أمر في غاية الأهمية.

وأي هدف للمرأة المسلمة الداعية؟ لاهدف لها إلا نوال مرضاة الله ـ عز وجل ـ والفوز في الآخرة بالجنة والنجاة من النار.

هذا الهدف الواضح، سهل من الناحية النظرية، ولكنه صعب المنال إن لم يكن هناك نية صادقة، وقصد واضح، وعزم أكيد.

والحياة العصرية اليوم، مليئة بالملهيات والمغريات التي تضلل الناس وتبلبل الأفكار، وتضيع هذا الهدف الأخروي، لأنها تشغل الإنسان عن آخرته، وتغريه بالركون إلى الدنيا، والتمتع بملذاتها؛ بل إن الوسائل الحديثة في إشغال الناس أضحت أخطاراً فتاكة، تحيق بالمسلم في كل أموره، وفي كل زاوية من حياته، حتى ليكاد الحكيم الحليم يحار

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٢٠ـ٣٢١. وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٦٥ـ١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٣) سورة آل عمران (١٨٥).

(٤) أخرجه البخاري.

ويضل من قوة التأثير والفتك والإغراء.

وسائل الإعلام بأنواعها، ولا سيما الرائي (التلفاز) وبرامجه المختلفة، ووسائل الرفاه، ووسائل الزينة، ووسائل الشهرة، ووسائل الغنى، حتى وسائل التعليم؛ كلها تتضافر لكي تصل بإنسان هذا العصر إلى حالة يتناغم فيها مع الآلة، وينسجم مع التطور أياً كان لونه وغايته، وطريقته.

ولهذا فإن مهمة المرأة في تحديد هدفها، وتوضيح مقصدها وغايتها، وإخلاص نيتها لله -عز وجل- أصبح ذلك أمراً صعباً، ولكنه ليس مستحيلاً.

وهذا أمر بدهي، فاختيار الجنة، والسعي لمرضاة الله - عز وجل - والوصول إلى النعيم الذي أعده الله لعباده في الآخرة لايتحقق بالأماني، ولا يصل إليه المسلم وهو يتمرغ في مغريات الحياة الدنيا. ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1]. والطريق الصعب الذي تختاره المسلمة الداعية هو طريق المؤمنات المسلمات القانتات الصالحات، وهو الطريق الذي سلكته الأجيال المؤمنة - عامة - والنساء المؤمنات - خاصة - على مدى الأجيال.

ب- صور من النساء اللواتي اجتزن العقبات وآثرن ما عند الله عز وجل:

هذه صورة في أعماق التاريخ لامرأة فرعون التي اختارت ما عند الله ورفضت كل المغريات في قصر فرعون لأنها تريد الآخرة، وتعرف أن كل مغريات الدنيا لا تعادل شيئاً من الآخرى. وهذه مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها - وكانت تقنت وتصلي وتسجد وتركع لله - حتى نالت بشريات ربها وأصبحت من خيرة نساء العالمين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

---

(١) سورة العنكبوت (١-٣).

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾(١) .

وسارت على نهج هذا الطريق أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ التي ودعت حياة الترف والرفاه، والشهرة الدنيوية، وحب المال، وزينة الحياة الدنيا، لتنال مرضاة الله عز وجل، حيث كانت ترعى رسول الله ﷺ قبل بعثته، ليتحنث ويعبد الله إيماناً بأن ذلك هو الخير، ولما أتاه الوحي، وشعر بالخوف والرهبة، وخشي على نفسه من الهلاك، أو الضلال، قالت له المرأة المؤمنة الصالحة تثبته وتطمئنه وتبشره: «كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» .

وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تسأله وتحكي له حتى تطمئن على سلامة الطريق، وصحة المقصد، وحقيقة ما حدث، فبشرها وقال: «هذا الناموس الذي نزل على موسى، ياليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك»(٢) .

هذه المرأة الصالحة، ارتقت ـ بفضل الله عز وجل ـ ثم بصدق نيتها، وصدق عزيمتها، وإيثارها لما عند الله عز وجل لتصبح من أشهر نساء العالمين، المبشرات بالجنة.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة»(٣) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى جبريل النبي ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها

---

(١) سورة التحريم (١١ ـ ١٢). وقد ورد في سورة آل عمران آيات توضح كيف تنشئ الأسرة المسلمة بنيها، وتوجهها لتكون داعية مؤمنة مخلصة لربها عز وجل، تؤثر مرضاته قبل كل شيء: ﴿إذ قالت امرأة عمران: رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾. وبعد وضع مولودها التي كانت مريم قالت تدعو ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يامريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ آل عمران (٣٥ ـ ٣٧).

(٢) البخاري ومسلم، وانظر الجامع بين الصحيحين ٤/ ٦٥ ـ ٦٦ (جمع وإعداد الأستاذ صالح الشامي).

(٣) البخاري ومسلم وغيرهما.

السلام من ربها ومني، ويشرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولا نصب(١).

فخديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت من أعرق قريش نسباً، وأعلاهم حسباً، وأنها نبتت في بيت واسع الثراء، ملتزم بالأخلاق الفاضلة، ومعروف بالتدين والبعد عن الانغماس في الشهوات... وقد ورثت عن أبويها شرف النفس وحسن السيرة، والحزم، وجمال الخلقة والخلق(٢).

وما أدق العبارات التي وصفها بها أحدهم فقال: «سيدة، بطلعتها الفخامة والشرف يتجليان، والجمال والكمال يتألقان».

ومزايا كالزَّهر نفحاً وطيباً   وكزُهر السما بهاءً ونوراً

من شرف حسب، إلى كرم ممتد، إلى سؤدد قَبيلٍ، إلى عز عشيرة، إلى جمال ذات، إلى كمال صفات، إلى فضل حِجى، إلى طهارة نفْس، ذلك ما كانت تتزين به سيدتنا (خديجة) وذلك ما كانت تحل به بين قومها في المكانة العالية والمقام الكريم(٣).

لقد عرفت خديجة ـ رضي الله عنها ـ في محمد بن عبد الله ﷺ قبل رسالته صفات الرجولة والأمانة والصدق، والعفة، والترفع عن الدنايا، حتى لقبه قومه بالأمين.

وفوق ذلك كانت تسمع من خادمها ميسرة مارآه أثناء رحلته إلى الشام من أمور عجيبة، ومزايا متميزة، وصفات كريمة، ولذلك آثرت ـ وهي الغنية الشريفة، الجميلة، التي يتمنى كبار قريش الاقتران بها ـ آثرت أن تقترن بالمكارم وتبذل في سبيل الخير الذي تنتظره، وسعت بنفسها لكي تتزوج من محمد ﷺ وأرسلت صديقتها ـ نفيسة بنت أمية ـ لكي تعرض عليه الزواج ونجحت نفيسة في ذلك. وسنّت خديجة بعملها هذا سُنةً ترفع من قدر المرأة وتعلي من مكانتها... في اختيار شريك حياتها، وانتقاء الرجل الصالح الذي أحبت أن يكون أباً لأولادها منه. إنها لم تبن اختيارها على أسس انتقاء الرجل الموسر، ولكنها آثرت اختياره لكريم خصاله، ومتانة خلقه، وحسن سيرته، وهذه من

---

(١) البخاري ومسلم، انظر الجامع بين الصحيحين ٤/ ٥٢٩.

(٢) انظر الاستيعاب لابن عبد البر/ ١٤ ـ ١٥. والطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ١٤ ـ ١٥ وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٥. وخديجة أم المؤمنين تأليف عبد المنعم محمد عمر/ ٢٦.

(٣) خديجة أم المؤمنين، تأليف الشيخ عبد الحميد الزهراوي/ ٥٢.

منن الله عز وجل عليها، وهي دليل على صدق نفسها، وكريم خصالها، وسعة عقلها، وإيثارها للحق والمكارم على المال والجاه والشهرة. إنها النية الحسنة الصادقة، والتوجه الخيّر للظفر بالآخرة.

ولما نزل الوحي على رسول الله ﷺ لم تقف موقف النساء اللواتي يجزعن من غرابة ما يتحدث به الزوج، ومن نتائج ماسوف يناله من قومه حين يحدثهم أنه نبي مرسل، فيكذبونه ويتهمونه، ويسعون في إيذائه، بل كانت أول من بشره بالخير، وأعانه على الثبات، وصدّقه وآمن به.

وحفظ لها رسول الله ﷺ ذلك فقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الولد، إذ حرمني أولاد النساء»(١). وهي بهذا تضرب المثل في إيثار الحق، وصدق النية، وابتغاء مرضاة الله عز وجل على كل مافي هذه الدنيا من متاع، لقد صدقت الله عز وجل فصدقها الله بالعاقبة الحسنى.

لقد كانت حياتها مع رسول الله ـ ﷺ ـ صورة معبرة عن حياة المرأة التي وهبت نفسها ومالها للدعوة، حباً في الظفر بمرضاة الله عز وجل، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

وعندما تعاهدت قريش على مقاطعة رسول الله ﷺ والمسلمين وحصارهم في شعب أبي طالب، ومقاطعة بني هاشم الذين آزروا رسول الله أيضاً، وقفت خديجة موقفاً عظيماً، امتداداً لمواقفها السابقة، وترجمة لإيمانها الصادق، فلقد صبرت كما صبر النبي ومن معه على الرجوع، والظمأ والحرمان، بل بذلت كل ما تستطيع من جهد ومال لتنقذ الفئة المؤمنة من الهلاك، فكانت ترسل إلى أهلها يشترون لها الطعام ويرسلونه سراً إلى الشعب، ولا يعلم إلا الله وحده كم أنفقت من مالها في سبيل تزويد المحاصرين بكل ما استطاعت أن تجلبه لهم، وكان ابن أخيها ـ حكم بن حزام بن خويلد ـ يقود بنفسه الجمال محملة بالطعام إلى الشّعب، ووقعت بينه وبين أبي جهل

---

(١) الاستيعاب، ترجمة خديجة، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ٢٨ـ٢٩، والإصابة. وكتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ابن عساكر/ ٥٦.

مرةً مشكلة وعراكٌ، من أجل ذلك. (١)

إنه الإيمان، والصدق، واليقين بما عند الله في الآخرة، وإيثار ما عند الله على ما في هذه الدنيا، كل ذلك جعلها تبذل المال، والنفس في سبيل هذه الدعوة.

هذه صورة خديجة - رضي الله عنها - صورة المرأة الداعية القدوة لنساء الإسلام.

وهناك كثير كثير من هذه الصور، من نساء رسول الله ﷺ، وبناته، والصحابيات، وكثير كثير غيرهن على مدار القرون والأزمان.

وفي السنوات الأولى من البعثة النبوية ترك لنا التاريخ صوراً شاهدة خالدة على صدق النية، والتوجه، وعلى وضوح الغاية والهدف أمام المسلمين.

ففي مكة - حين لم يكن عدد الذين أسلموا يتجاوز العشرة (٢) وكان من بين من أسلم ياسر بن عامر، والد عمار بن ياسر، وزوجته سمية بنت خياط(٣) ولما علمت قريش بإسلامهم، أتوا عليهم لتعذيبهم وفتنهم عن دينهم، وأخذوا يلبسونهم أدرع الحديد ثم يصهرونهم في الشمس، حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء إلى كل واحد قومه بأنطاع الأدم فيها الماء، فألقوهم فيها، ثم حملوا بجوانبه إلا بلال، فلما كان العشيّ، جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها في قبلها - بحربة - فقتلها، فكانت أول شهيد استشهد في الإسلام (٤).

وفي رواية أن الرسول كان يقول لآل ياسر وهو يمر بهم وهم يعذبون: «صبراً آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت» وفي رواية: «صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة» (٥).

إن استشهاد سمية في الإسلام، وإن سبقها للشهادة لتحتل المرتبة الأولى لهو أكبر شرف للنساء المسلمات الصادقات، والمؤمنات اللواتي عرفن طريق الظفر والفوز بالسعادة الحقيقية.

---

(١) انظر ابن هشام ١/ ٣٥٣-٣٥٤. وانظر خديجة أم المؤمنين - عبد المنعم محمد عمر / ٢٦٤

(٢) عن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار.

(٣) أو خبّاط، أعلام النساء ٢/ ٢٦١

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٨٦٣-١٨٦٥

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٥٨٨-١٥٨٩ وانظر أعلام النساء ٢/ ٢٦١.

ماذا كانت تنتظر سمية من صبرها على هذا العذاب في لهيب الحر، وحماوة الحديد، وتعذيب الطاغية وسوء خلقه وسفهه؟

هل كانت تنتظر مكرمة دينوية من محمد ﷺ - أو ثناء من أحد؟

هل كانت تطمع في جاه، أو غنى، أو ظفر دنيوي؟

وهل كان ذلك منظوراً لها، وهي تعرف أنها من بين أفراد قلائل آمنوا بالله ورسوله، وتركوا عبادة الأصنام، وأسلموا وجوههم لله رب العالمين؟

إنه اليقين الراسخ، والتصديق اليقيني الصحيح، والهدف الواضح النير أمامها، بأن ما عند الله هو خير وأبقى، وأن لحظة من لحظات الآخرة، ويوماً من أيام الله، خير من الدنيا وما فيها، بل هي أكبر من كل ما تجمعه دنياوات الناس جميعاً. وهل يصح لعاقل أن يبيع آخرته بدنياه؟ وهل يصح لمن يوقن بذلك أن يفرط في ذاك النعيم من أجل هذه الدنيا التي لا تساوي لحظة واحدة من أيام الله، ولا يبلغ جناح بعوضة عند الله.

هذا هو الإيمان الذي حوَّل الأَمَة المسكينة الفقيرة إلى قلعة إيمانية راسخة، تتحطم أمام صبرها عزمات الرجال، وتخور سطوة الطغاة والجبارين، وتقف الدنيا كلها مكبرة وصاغرة أمام السمو الإيماني، والصدق واليقين لدعاة الله - عز وجل - من الرجال والنساء.

ولو أردنا أن نمضي في التمثيل لما وسعت آلاف الصفحات من تاريخ مليء بالنماذج الدعوية الصادقة، نعم، النماذج الإيمانية التي كانت تعرف هدفها، وتصدق في رسم غايتها ومقصدها، وتثبت في طريقها حتى تنال مرضاة الله عز وجل، ابتداء من الصحابيات الكريمات، وإلى يومنا الحاضر.

ولكن صورة العصر واهتماماته، قلبت الحقائق، وشوهت صفحات الحياة، وأصبحت المرأة الكافرة، والعاصية، والعاهرة، والخارجة عن طاعة الله - عز وجل - تنال الاهتمام، وتتصدر صفحات الكتب والمجلات.

فيا عجباً لهذا الزمان، ويا عجباً لعقول الرجال والنساء في هذا العصر.

ج.معرفة الواقع:

المرأة المسلمة التي تنشد مرضاة الله عز وجل، وتبحث عن السبيل الأقوم للوصول إلى ذلك، لا تعيش وحدها في المجتمع، ولا تنأى بعملها عن المؤثرات الكثيرة التي تعمل في تحديد هوية المجتمع ورسم مستقبله، ولذا فإن المرأة الداعية بحاجة إلى فهم الواقع بكل منحنياته وسلبياته وإيجابياته، وفهم المجتمعات التي تعيش فيها، وتعمل من خلالها، وفهم المؤثرات التي أضحت عوامل مهمة في تشكيل الواقع، وتحديد أهداف المستقبل.

فإذا كان تحديد الهدف للمسلمة أمراً مهماً، وربط هذا الهدف بالنية الصادقة، والعزيمة الثابتة التي تصل بها إلى مرضاة الله عز وجل، لكي تعرف أن كل ما يواجهها من صعاب، وما يعترضها من عقبات، وما ينالها من ضيم وأذى وحرمان من بعض المتع في الدنيا، كل ذلك هين في سبيل الهدف الأسمى عند الله، لا بد ـ كما قلنا أيضاً ـ أن يكون ذلك مستقراً في أعماق المسلمة، ولا بد أن يكون يقيناً راسخاً بأن الذي تلقاه هين ويسيط، وثمن بخس لما تنتظره من ثواب الله ـ عز وجل ـ ولما تتطلع إليه من رضوان الله ورحمته في الآخرة.

وإن لم يصل ذلك لديها إلى حد اليقين، لا تستطيع تحمل العبء والصبر على المكاره والاطمئنان فيما تعمله لإصلاح المجتمع، وبناء المستقبل، وصيانة الأسرة، ورعاية الأبناء، والنهوض بأعباء الدعوة ـ عموماً.

ولقد مرت بنا نماذج من النساء اللواتي ضربن لنا أمثلة في ذلك ـ ولو لم يكن البحث في طبيعة دعوة النساء ومسؤوليتهن الأسرية والاجتماعية، لسردنا أمثلة كثيرة من هذه النماذج في مختلف العصور، وفي وقتنا الحاضر، لأن منابع الدعوة لم تجف، والخير سيظل في هذه الأمة ـ إن شاء الله ـ إلى يوم الدين.

وما دام الأمر كذلك، فإن معرفة الواقع شرط من شروط نجاح المرأة في مهمتها الدعوية وحسن تصرفها، والقدرة على مواجهة ما في هذا المجتمع من أمراض، واختيار الوسائل والأساليب المناسبة لذلك.

ومن ظواهر الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا بعض الأمور المهمة ومنها :

ج-١-التقليد والإعجاب بالغرب:

الناس في هذا العصر معجبون بالغرب - عامة - وبأمريكا بصورة خاصة ، حتى أضحى العديد - من المنهزمين داخلياً - لا يرى الخير والتقدم والعلم والحرية والمعايير الإنسانية إلا من خلال أوربا أو أمريكا بالذات. لقد أضحى الزخم المادي المتعاظم : في الصناعة ، والابتكارات الحديثة ، مبعث خلل فكري واجتماعي - بل وعقدي في مجتمعاتنا ، وأصبح التفريق بين التقدم المادي التقني ، والحقائق الإنسانية ، والقيم الثابتة في المجتمع البشري ، أصبح التفريق بين هذه الأمور صعباً أو معدوماً ، وأصبح النظر إلى حقيقة المجتمع الغربي[1] بكل ما يجري فيه صعباً إلا على القلة القليلة الذين لم يجرفهم التيار بعد ، ولم يصل عندهم حد الانبهار إلى خلخلة الموازين .

والعجيب أن الكثيرين ممن يطلعون على الدارسات والتقارير الأمريكية وغيرها يهملون كل الجوانب التي تشير إلى الأمراض والمخاطر المحدقة بمجتمع هذه البلاد ، ولا يظهرون إلاّ جانب التفوق والتقدم المادي .

أي قيمة لكل هذا إذا كان الإنسان - كفرد - لا يأمن على نفسه أن يسير في الشارع ومعه نقود ، أو أية حاجات ثمينة ! !

ما قيمة هذه المدينة إذا كانت الحرية الموهومة أوصلت الإنسان إلى أن يصبح آلة ورقماً أو رمزاً ، يتعامل مع الآخرين بالرمز والإشارة والأرقام ، يملك ولا يملك - هو حر - ولكن هذه الحرية عبر تيار صاخب لا يملك فيه إرادة - ولا خياراً ، له أن يأكل ويستمتع بكل ما تشتهيه النفس (الحيوانية) إلا أن يكون ذا علاقة بعقيدة ربانية ، أو قيمة أخلاقية .

وفي مجال العلاقات الدولية ، تكفي الدلالة إلى ما وصل إليه العالم عبر هيمنة الدولة الأقوى - وفرضها للسياسات والأخلاقيات التي تريدها ، وتحديدها للمفاهيم والمصطلحات العالمية وفق مصالحها ، حتى وصلت إلى حالة من التأله عن طريق استخدام الهيمنة المادية (العسكرية والاقتصادية) لفرض ما تريد ، وتحويل رغباتها إلى قوانين وقرارات وتشريعات دولية ، تتحكم بها في دول العالم ، وضمائر الناس ، ونشاطاتهم ومعتقداتهم .

---

(١) يطلق مصطلح الغرب على كل ما يتعلق بأوربا وأمريكا كمنطلقات وسلوكيات واحدة .

فمعايير الإنسان وشريعته وحقوقه، هي معايير هـذه الدولة، والحق والعدل والنظام والحرية والخير والشر، هو الذي تقوله هذه الدولة، ويحقـق مصالحها. حتى فهـم النـاس لمعتقداتهم وأديانهم، ينبغي أن يتحدد مـن خلال رؤيـة الشياطين الذيـن يملكون القرار في هذه الدولة، وما يخالف ذلك فهو الخارج على قوانين العالم، ومصالح البشرية وحقوق الإنسان !!

لقد طرحت ما يسمى بحقوق الإنسان، والديمقراطية، ثم العولمة، والتجارة العالمية، كل ذلك لإكمال هيمنتها على الشعوب والدول، ولا سيما الدول الإسلامية، وأرادت بذلك إشاعة النمط الاستهلاكي، أو المجتمع الاستهلاكي على طريقة الحياة التي يحياها الإنسان، وتحويله إلى مجرد حيوان مستهلك، وإلغاء شخصيته، وقيمه وإخضاعها لهؤلاء الأبالسة.

وهذه الدولة، مجتمع عجيب، وخليط أعجب من البشر، فيه كل ما أفرزته المجتمعات من شذوذ وجرائم ومغامرات. وفلسفته حيازة أكبر قسط من المنفعة بلا قيود.

وتملّك الأكثر، والتمتع بكل شيء، وكسر كل قيد أمام رغبات أفراد المجتمع. القانون والأخلاق والقيم هي التي تخدم وتحقق هذه الرغبات، ولهذا أصبحت الكنيسة ذاتها تعقد الزواج على المثل، وتشجع الشواذ. ويقف على رأس هـذا المجتمـع، مجموعـة مـن الشياطين الذي يملكون المال، والإعلام، ويقفون وراء المخططات؛ هـم يهود وغير يهود ممن امتلأت قلوبهم بالأحقاد، وأفكارهم بالغل والأوهام، ونفوسهم بـالتعطش لاستعباد الناس وإذلالهم. وحيث إنهم لا يستطيعون أن يتحكموا بحركة هذا المجتمع بالقوة المادية؛ لذلك اخترعوا هذا النظام المعقد للمجتمع الأمريكي.

النظام الذي لا يبين فيه القوي من الأقوى، ولا يظهر المؤثر من المتأثر، نظام لا يُعرف من الذي يسيّر الأمور فيه، هل هو الرئاسة والجهاز التنفيذي (الحكومة)، أم ممثلوا الشعب والولايات (الكونغرس)، أم جهاز الاستخبارات، أم الجهاز العسكري؟ أم الشركات الكبيرة، أم أجهزة أخرى لا تظهر للعيان؟.

شبكة معقدة لهذا النظام، ولها عقد متقاطعة ومتشابكة، وهنا يقف الشياطين

ليمسكوا بهذه العقد، ويتحكموا بها، لأن الإمساك بالتقاطعات والعقد لا يتطلب قوى كثيرة العدد، وإنما يحتاج إلى نخبة ذكية شيطانية، تعرف كل أساليب المكر، والخداع والتأثير، وهذه بالذات هي التي تحكم هذا المجتمع وتوظفه لحسابها، وتوجهه لتحقيق أغراضها وأهدافها، مستخدمة الوسائل المؤثرة الخطيرة التي أضحت تهيمن على المعلومات والاقتصاد، ووسائل الإغراء المختلفة: وهي الإعلام، ودور المال من بنوك وشركات ومؤسسات، وبيوت الفنون المغرية (كالغناء، والموسيقى، والسينما، وما يتبعها من أنواع التمثيل، والرقص، والشعر . . . . إلخ).

ولا تحتاج هذه القوى الخفية المؤثرة إلا الإمساك والتحكم في التقاطعات والعقد، بطريقة أو أخرى، وإشعار الآخرين بأن تغيير هذه العقد، أو حلها سيلحق بهم الأذى، أو الدمار، ولذلك يسيرون بخضوع وانسجام مع متطلبات هذه القوى.

ولكي يكون عملهم محمياً بالأنظمة والقوانين، اخترعوا مفاهيم الحرية التي تأباها الحيوانات، والنباتات، وكل مخلوق يحترم (مخلوقيته) وذاتيته التي تعطيه صفته الخاصة به، وتجعله مخلوقاً مكرماً.

هذه الحرية في السلوك الشخصي، والمعتقد الباطني، والتصرف المادي، والعمل الفني، والإعلامي . . . واستطاعوا أن يفرضوا هيمنتهم على العالم من خلال هذه المفاهيم، التي تغري الناس حتى يصبحوا وقوداً لها فيما بعد، وعبيداً لآلتها، وخدماً وأرقاماً في برامجها ومخططاتها، ووقوداً سهلاً لطموحاتها وأهدافها.

في مشروع استراتيجي قدمه رئيس أمريكا (بوش) في ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٩١ تحت عنوان (أمريكا عام ٢٠٠٠ ـ استراتيجية التعليم) وردت الفقرات التالية: «والآن، وبعد مرور ثماني سنوات على إعلان اللجنة الوطنية للتفوق، بأننا أمة في خطر، فإننا لم نواجه المشكلات المتعلقة بالتعليم، وإن معظم توجهاتنا التربوية ـ تقريباً ـ تعتبر توجهات سطحية . .».

وهذا اعتراف رسمي واضح، بأن هذا المجتمع، وهذا البلد الكبير في خطر وإن كانوا ـ في مقاييسهم ـ يركزون على الجوانب المادية، ولكنهم لم يستطيعوا إخفاء حقائق أصبحت

مثار فزع لهم، كما سنرى.

ثم يتابع فيقول في هذا المشروع: «وبالرغم من أننا ننفق على الطالب الأمريكي أكثر من أي دولة في العالم - تقريباً - إلا أن الطالب الأمريكي يأتي ترتيبه في مؤخرة المقارنات الدولية..».

ثم يتابع: «وهناك مشكلة كبيرة أخرى وهي، أن صغار الأمريكين يمكثون ٩٪ فقط من مجموع الثماني عشرة سنة الأولى من أعمارهم في المدرسة، فماذا عن ٩١٪ الأخرى؟

إن جزءاً منها يمكثونه في مكان ما: في البيت، أو الملعب، أو أمام التلفاز..

- فبالنسبة للكثرة الكبيرة من أطفالنا، فإن الأسرة التي يتوجب عليها أن تكون حامياً ومدافعاً عنهم، وملاذهم الأخلاقي، هي نفسها في حالة من الفساد والتدهور!!.

- وعدد كبير جداً من أطفالنا ليست لهم عائلات أصلاً.

- وهناك كثير من أطفالنا، يعد الحي بالنسبة لهم مكاناً خطراً، والشارع موطن العنف.

- وعدد كبير جداً من أطفالنا يبدؤون الالتحاق بالمدرسة دون أن يكون لديهم الاستعداد لمواجهة تحديات التعلّم.

- وكثيراً جداً من أطفالنا يأتون للمدرسة جائعين وخائفين، وغير نظيفين.

- وهناك الكثير من المخاطر والكوارث الحديثة التي أصابت أطفالنا مثل: تعاطي المخدرات، وإدمان المسكرات، والعنف العشوائي، وحمل المراهقات (السِّفاح)، والإيدز، وغيرها»

هذه الحقائق والاعترافات، لا يقولها مسلمون، ولا معارضون وإنما يسجلها مشروع رئاسي استراتيجي لمواجهة خطر بدأ يدق بعنف أبواب أمريكا.

ثم يقول وهو يدعو لمواجهة الخطر «فالمدارس لا يمكن أن تكون الأماكن التي يمكنها أن تحل محل الأبوين، أو الشرطة، أو المستشفيات أو منظمات الرعاية الاجتماعية، أو مراكز العلاج من الإدمان فالمدارس لا يمكن أن تحل محل العناصر المفقودة في الأسر والمجتمعات المحلية».

ويتابع فيقول وهو المسؤول الأول والأعلى في الدولة :

(وحتى نهاية العام الماضي ـ ١٩٩٠ ـ فإن القليل منا استطاع أن يصف أهدافنا التربوية ، وعلى مستوى الأمة ، فإننا في الحقيقة ليس لدينا أي أهداف تربوية) .

ومع طغيان المادية فإن الخطر الذي بدأ يظهر قوياً في جسم هذا المجتمع دفع الكثيرين للاعتراف ببعض الحقائق الإنسانية ، والبحث عن الفطرة السليمة لكي تنشأ أجيال بعيدة عن هذا التشوّه الخطير في المعتقدات والسلوك ، والممارسات الشاذة التي تجتاح المجتمع باسم الحرية والحق الإنساني ، حتى أصبحت الزوجة تقاضي زوجها الحقيقي أمام المحكمة بحجة الاغتصاب والاعتداء الجنسي عليها ، بينما تعيش في أمان ودعة مع العشيق والخدين والحرام .

لقد تحدّث هذا المشروع تحت فقرة (الاستراتيجية) في الجزء الرابع ، فقال : «إن إنجاز أهداف التعليم الوطنية يتطلب انبعاثاً للقيم الأمريكية الصحيحة مثل : قوة الروابط الأسرية ، ومسؤولية الأبوين ، والالتزام بعلاقات ودية مع الجيران ، والعناية بالكنائس على مستوى المجتمع ، والتنظيمات المدنية والأهلية ، والنقابات العمالية ، والتجارية ، ووسائل الإعلام .

لقد حان الوقت لإنهاء عصر الإهمال ، بدون أخطاء ، حيث إننا نعمل الآن لصياغة وتشكيل مدارس الغد ، لإعادة اكتشاف القيم الخالدة الضرورية للإنجاز» .

ويعترف التقرير أكثر وأكثر ، بدور الأسرة ، والقيم الدينية ـ رغم ما يتحكم بها عندهم من انحرافات ـ والعلاقات الاجتماعية القائمة على القيم الإنسانية فيقول :

«إن هذا العمل لا يمكن إنجازه إلا من قبل أولئك الذين يعيشون فيها ـ أي هذه المجتمعات المحلية السليمة ـ مثل الأبوين ، والأسرة ، والجيران ، والكبار المهتمين بالتعليم ، ومن قبل الكنائس والأحياء السكنية ، والجمعيات والمنظمات الاجتماعية ، والمجموعات التطوعية . . . ومثل هذه المجموعات ضرورية لبناء العلاقات الإنسانية التي تنضج الأطفال ، وتوفر لهم الأماكن والأشخاص الذين يمكن التوجه إليهم

لطلب المساعدة والإرشاد»[1] .

هذه الشهادة بالغة الدلالة على واقع هذا العصر، وواقع المجتمعات الغربية ممثلة بأمريكا التي تقود العالم ـ كما يقولون ـ نحو عصر جديد، ونظام عالمي جديد.

هذا المجتمع يخلو من القيم الإنسانية الحقيقية، يخلو من الهدف التربوي الصحيح، يعيش في أُتون البحث عن اللذة والمتاع بأي وسيلة، وكان يسكت عما يحدث ما دام التيار المادي في صالحه، أما وقد بدأ يتراجع في التقدم العلمي، والتقني، والمادي، فقد أحس بالخطر، وراح يبحث عن السبب، ويلتمس العلاج، ولكن هل يجدي ذلك في ظل هذا الانفلات الأعمى، والآلة العجيبة التي طحنت الإنسانية، وجرفت القيم، وعبثت بكل المعاني التي تميز الإنسان؟!

نمضي خطوة أخرى في رسم خريطة الواقع، ونظل في العالم الغربي لأنه أصبح موضع القدوة والاحتذاء من الشعوب عامة، والمسلمين خاصة، بدون التمييز بين ما هو مادي، وما هو إنساني.

كيف تسخر موارد الشعوب المقهورة، عبر التخطيط الدولي الأمريكي الغربي؟

يقول تقرير صادر عن معهد الرقابة العالمي في واشنطن (World watch institute): إن العالم أنفق منذ نهاية الحرب الباردة مقابل كل (١٤٠) دولاراً على التسلح، دولاراً واحداً لنزع السلاح، هذه صورة من صور التقدم العلمي واستخداماته.

وفي دراسة أخرى وضعها مايكل رينر Michael Renner وهو باحث أمريكي متخصص في قضايا الأمن والبيئة يذكر الأمور التالية:

ـ تتم إزالة (٨٠) ألف لغم سنوياً، لكن عدد الألغام الجديدة التي تزرع سنوياً يزيد عن المليونين.

ـ أنفق الجيش الأمريكي (٣٠٠) مليون دولار في عمليات إتلاف الكميات الفائضة من

(١) هذه المقاطع مأخوذة من ترجمة للمشروع الإستراتيجي لإصلاح التربية والتعليم في أمريكا الذي قدمه الرئيس جورج بوش.

الألغام ما بين ١٩٩٠ و١٩٩٥م، ومع ذلك فقد خصص نحو (٧) بلايين دولار لشراء ألغام جديدة.

ـ خصصت الحكومة الإيطالية (٣٢٠) مليون دولار لقضايا تحويل التكنولوجيا العسكرية إلى مدنية، لكنها اعتمدت نحو بليونين ونصف بليون دولار لدعم الصناعات العسكرية العائدة للدولة.

ـ ويبلغ الإنفاق العسكري العالمي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ما بين (٣٠ـ٣٥) تريليون دولار (التريليون يبلغ مليون مليون) وكان من الممكن أن تزيل هذه المبالغ الجسيمة جذور العنف لو تم إنفاقها على قضايا الأمن البشري مثل الصحة، والسكن والتعليم والقضاء على الفقر وحماية البيئة (١)

هذه الأرقام الخيالية تسرق من ثروات أمم الأرض بطرق شتى لتصنيع السلاح ـ ثم تصديره إلى هنا وهناك لإحداث النزاعات، والحروب حتى تبقى المصانع تعمل، ويحقق النمو الاقتصادي معدلاته المطلوبة ويستمتع الفرد الغربي، والأمريكي بحياته التي يريدها.

وهذه صورة أخرى من صور العصر العلمي، عصر التكنولوجيا المتقدمة، ومركبات الفضاء، والصواريخ العابرة للقارات، والحرية، والديمقراطية وحقوق الإنسان، والنظام العالمي.. إلى آخر هذه المسميات.

في هذا العصر الذي يموت الناس من الجوع، والفقر، والمرض، والجهل في أفريقيا، وآسيا، وبعض بلدان قارة أمريكا الجنوبية، في هذا العصر الذي لا تجد فيه أمريكا أي غرابة في أن تقوم إسرائيل بتدمير القرى والمدن وتهجير الناس من ديارهم، وقتل النساء والأطفال بحجة مكافحة الإرهاب، ولا تجد أي شيء يدعو للاحتجاج أو الشعور بالحزن عندما يقتل الجنود اليهود الأطفال الصغار؟ أو الشبان الذين لا يجدون غير الحجارة والخناجر للتعبير عن رفضهم للاحتلال والذل وكذلك يقصفون البيوت والمدارس،

---

(١) جريدة الحياة، العدد (١١٦٣٥) في ٢٥ رجب ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧ كانون أول (ديسمبر) ١٩٩٤م ص/ ١٢، ومن المعروف أن هذه الدول هي التي تبيع السلاح لجميع الفرقاء المتصارعين، وهي التي تحرّضهم على الاقتتال، وتثير بينهم الضغائن والمنازعات، وهي التي تنشئ المنظمات الإرهابية وتمدها بالوسائل ثم تجعل منها مبرراً للتدخل في شؤون الدول والشعوب المسلمة!!

ويجرفون الأشجار والمزروعـات، ويجري ذلك كله باسم مكافحة العنف ولا تجد أي إرهاب في أن يحمل مستوطن يهودي جاء من أقصى روسيا أو أقصى أفريقيا أو أوربا أو أمريكا ليطرد سكان فلسطين ويحتل دورهـم، يحمل هذا المستوطن بندقيته ويفتح النار على المصلين أو على أي مواطن آخر من أهل فلسطين، فيقتل من يقتل، ويجرح من يجرح، دون أن يعد ذلك إرهاباً أو هتكاً لحرية الإنسان وحقوقه، مادام القاتل يهودياً أو أمريكياً والمقتول مسلماً!

في هذا الوقت تنشر الإحصاءات في أمريكا أن القط المدلل يكلف صاحبه في مانهاتن خمسة آلاف دولار في السنة. أي أن القط يأتي في المرتبة الوسط بين دخل الفرد في اليونان (٧٥٠٠) دولاراً في السنة والمكسيك حيث يصل الدخل إلى (٤١٠٠) دولار في السنة. وأن دخل القط في أمريكا يزيد عن حوالي (١٥٠) من بلدان العالم الآخر.

والحد الأدنى لنفقات القط للطعام والشراب والطبابة، والتزين والتدريب واللباس والهدايا تبلغ (١٢٥٠) دولاراً.

ويعض سكان نيويورك لا يترددون في إنفاق (١٥) ألف دولار في السنة على تثقيف القط على أيدي علماء في علم نفس القطط. هذا غير ما تتمتع به القطط من مزايا أخرى كالنزهات اليومية والرحلات.

والقطط ليست الحيوانات الأليفة الوحيدة في الولايات المتحدة فإلى جانب (٦٣) مليون قطة، هناك (٥٧) مليون كلب، و(٧٠) مليون سمكة في حوالي (١٢) مليون حوض خاص، وثمانية ملايين طائر، و(٧,٣) مليون من الزواحف مثل الأفاعي، وسبعة ملايين من القوارض مثل الجرذان.

وقد بلغت كلفة صناعة الحيوانات الأليفة في أمريكا عام ١٩٩٥ (١٧) بليون دولار، وطبابتها بلغت وحدها سبعة بلايين دولار في السنة، وهذه تشمل العلاج من الأمراض المعروفة، إضافة للجراحة، واستبدال المفاصل، وطب الأسنان .... والقطط تتبادل بطاقات المعايدة، وتنتظر مواسم الأزياء، ولا ترتدي من الثياب إلا ما كان (سينييه).. وهناك مقابر خاصة بها، ومراسم دفن قطة هوليودية الأصول

قد تبلغ ألفي دولار [(١)]

إن الذي يطالع مثل هذه الأخبار يظن أنه يسمع عن عالم آخر، وليس عن العالم المتمدين على وجه هذه الأرض. أليس من الجريمة أن تجلب هذه البلدان ـ التي تدعي التقدم، والمحافظة على حقوق الإنسان ـ خيرات الدنيا بثمن بخس، وعن طريق النهب والاستغلال، ثم تترك الناس في الجوع والفقر والمرض، بل وتؤجج بينهم الحروب لكي توفر لقططها وكلابها وحيواناتها هذه الحياة!!؟ ولكي توفر لشعبها كل أنواع المتع المحرمة أو الشاذة باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان؟!!.

وننتقل إلى لوحة أخرى عن المجتمعات الغربية، وأوضاعها المأساوية: وضع المرأة، ووضع الرجل، ومع ذلك ينهض دعاة التغريب للمناداة بمتابعة هذه المجتمعات، وإعطاء المرأة حريتها الشخصية، وإعادة النظر في مسألة الجنس، وغير ذلك من الأمور.

ورد في التقارير الخاصة بالمجتمع الأمريكي أن ثلاثة آلاف أميركية يُقتلن كل سنة على أيدي شركائهن في العيش من زوج أو عشيق.

وأن أربعة ملايين أميركية يضربن كل سنة، بمعدل واحدة كل (١٥) ثانية وصدر عن وزارة العدل الأميركية تقرير يشير إلى أن عشرة آلاف أنثى دون الثامنة عشرة اغتصبن في العاصمة واشنطن، وإحدى عشرة ولاية سنة ١٩٩٢م، وأن (٣٨٠٠) من هؤلاء دون الثانية عشرة.

ويزداد رعب هذه الأرقام عندما نقرأ أن (٢٠٪) من الفتيات دون الثانية عشرة اغتصبهن آباؤهن، و(٢٦٪) اغتصبهن أقارب لهن، وأن ٥٠٪ اغتصبهن أصدقاء ومعارف. وهذا يعني أن أربعة في المائة فقط من حالات الاغتصاب قام به مجرمون لا يعرفون ضحاياهم. هذا ولم تستطع وزارة العدل جمع إحصاءات عن بقية الولايات. [(٢)].

وهذا الشذوذ وأمثاله بدأ يأخذ طريقة إلى التقنين، والاعتقادات الثابتة، تحت

---

(١) عن جريدة الحياة العدد (١٢١١٨) في ١٢ ذو الحجة ١٤١٦هـ الموافق ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٩٦م.

(٢) عن جريدة الحياة العدد(١١٤٥١) في ١٦ محرم ١٤١٥هـ الموافق ٢٥ حزيران(يونيو) ١٩٩٤.

مسميات أديان ونحل غريبة.

لقد حدثت أعمال شغب في مدينة (برادفورد) في سنة ١٩٩٥م بين سكان هذه المدينة من الأسيويين (من المسلمين الهنود والباكستانيين وغيرهم من المسلمين) وجيرانهم من الإنجليز، وسبب الشغب وجود فتيات ليل، ومواخير بينهم، فثار المسلمون لرفض مظاهر الإباحة والشذوذ التي يجلبها الإنجليز لأحيائهم.

والأغرب من هذا أن مطارنة كنيسة انجلترا بين مؤيد ومعارض لتقرير صدر عن رئاسة الكنيسة بعنوان «شيء يحتفل به» ورفع الحظر الكنسي التاريخي على المعاشرة الجنسية والعيش معاً دون زواج، واكتسب التقرير فوراً لقب «العيش في الخطيئة» وعارضه فريق من ألف كاهن ولكن هبّ للدفاع عنه بعض أبرز مطارنة الكنيسة، وسخرت الجرائد من الطرفين بالقول: إن العيش في الخطيئة لم يعد خطيئة. (١)

وفي بريطانيا صدمت سيارة النائب المحافظ (السيرنيكولاس سوث) سيارة أخرى، وهذه صدمت ثلاثة، وحُصر بينهما طفل صغير في عربة، وكان النائب آنذاك مخموراً، وبعد الحادث فر من المكان، وظلت زوجته في مكان الحادث، فوبخت الناس على الاهتمام به، وقالت: لماذا الضجة؟ الولد لم يمت، وهو ليس إنجليزياً.

ثم في موقع آخر جرت مقابلة بين النائب (السيرنيكولاس) وابنته (فكتوريا) في مجلة الأحد التابعة لجريدة انجليزية راقية، وابنته هذه من حزب العمال.

وتحدثت هذه الابنة عن والدها الذي وقف كوزير موقفاً ضد المعاقين، بعكس موقفها، وفي الوقت نفسه كان الوزير وابنته ـ عند المقابلة ـ يداعبان طفلاً في شهره الرابع، وضعته الابنة البارة (فكتوريا) من دون زواج، وقالت: إنها تقيم مع رفيقها (بيتر هانفتون) في شمال لندن. (٢) فأي مجتمع هذا المجتمع؟ وأي قيم تحكم هذه الطبقة الحاكمة؟ وأي إنسانية هذه التي ينتمي لها هؤلاء، ويحاكمون الناس على أساسها؟ ويلاحقون الحكام والشعوب الأخرى تحت اسم حقوق الإنسان لإخضاعهم

---

(١) جريدة الحياة (١١٨٠٤) في ١٩ محرم ١٤١٦هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٩٥م.

(٢) جريدة الحياة (١١٨٠٤) في ١٩ محرم ١٤١٦هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٩٥م

إلى هذه المقاييس والمعتقدات الغربية؟

وفي تقرير نشر في بريطانيا ورد أن سبعة من كل عشرة بريطانيين يقيمون مع بعضهم بعضاً قبل الزواج. [1].

ونشر الاتحاد الإيطالي للطب النفسي نتائج استطلاع أجراه في إيطاليا، وبين هذا الاستطلاع أن ٧٠٪ من رجال إيطاليا يعترفون بالخيانة الزوجية.

وقال التقرير بأن الخيانة في الدم، إذ جزم ٧٪ بأن العلاقة العابرة هي أمر وارد طبيعي بل ومستحسن [2].

وأشار تحقيق قامت به وزارة العدل الأميركية أن الإجرام عموماً زاد في الولايات المتحدة عام ١٩٩١م بالمقارنة مع عام ١٩٩٠، (وهذه النسبة تزداد بين عام وآخر) بنسبة ٧٪، في حين زادت حوادث الاغتصاب ومحاولات الاغتصاب بنسبة ٥٩٪ وفي عام ١٩٩١م وقع (٢٠٧) آلاف و(٦١٠) حادث اغتصاب أي بمعدل حادث لكل ألف نسمة. ووصلت الاعتداءات في هذا العام إلى (١ , ٥) مليون اعتداء.

ويلغت السرقات والسطو (٦ , ١٥) مليون[3] حادثة سرقة أو سطو.

بينما قال مكتب التحقيقات الأميركي أن الجرائم العنيفة، وصلت إلى أعلى مستوياتها في العام الماضي (أي عام ١٩٩١)، وأن المراهقين ارتكبوا سدس جرائم القتل. وأن ارتفاع نسبة الجرائم هي (٦ , ٣) في المئة. [4]

ونشرت جريدة الشرق الأوسط ملخص تقرير عن أمريكا تحت عنوان «أمريكا تعيش مشكلة مرعبة، وتتجنب مواجهتها، ضرب المسنين، وحرمانهم من الطعام تقليد أمريكي قديم عمره [3] قرون. وأوردت التقارير حالات مأساوية مرعبة عن تعذيب المسنين» [5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الشرق الأوسط العدد (٦٣٤٩) في ٢٧ ذو القعدة ١٤١٦هـ الموافق ١٦/ ٤/ ١٩٩٦م

(٣) جريدة الحياة العدد (١٠٦٦٥) في ١٩ شوال ١٤١٢هـ الموافق ٢١/ ٤/ ١٩٩٢م.

(٤) الشرق الأوسط العدد (٥٠٢٥) في ٣ ربيع الأول ١٤١٣ الموافق ٣١/ ٨/ ١٩٩٢م.

(٥) الشرق الأوسط (٢٣٠١) في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٠٥ الموافق ١٧/ ٣/ ١٩٨٥م.

وفي عنوان آخر تقول الجريدة: قوانين أمريكا تحمي الحيوانات لا الأطفال. وكذلك نشرت في عدد آخر أن شرطة لندن تحذر الشباب من السفر ليلاً في قطار الأنفاق، وتروي أخباراً عن عمليات اغتصاب للشباب من قبل عصابات تجوب قطارات الأنفاق في الليل[1].

وتزداد خطورة هذه الجرائم، والشذوذ والتدهور الأخلاقي في المجتمعات التي تحاكم الشعوب وتضطهدها باسم حقوق الإنسان، والحرية عندما تصبح شيئاً من التقاليد الراقية، أو تأخذ طابع التقنين، وتكسب رواجاً وقبولاً وتعاطفاً، عن طريق وسائل الإعلام التي يديرها أعداء البشرية الذين وضعوا هدف تدمير أخلاق الشعوب في أولى اهتماماتهم.

ونذكر في هذا السياق الاعترافات الخطيرة لولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز بالخيانة، واعترافات زوجته ديانا بارتكاب الخيانة مع حارس أو أحد عشاقها. وكان ذلك في مقابلة تلفزيونية أذيعت واكتسبت شهرة وتعاطفاً من المجتمع الغربي وكذلك ما تعلنه وسائل الإعلام من ممارسات جنسية للرئيس الأمريكي كلينتون أو لغيره من زعماء العالم الغربي وينسحب هذا على الطبقة الحاكمة هناك من أفراد العائلة الملكية والوزراء والرؤساء حتى أصبح هناك جرائد خاصة همها نشر أخبار الخيانات الزوجية لكبار الشخصيات[2].

بل أصبحت هذه الممارسات موضع تقدير واحتفال، لقد ظهرت صورة (كلود شيراك) ابنة الرئيس الفرنسي في مجلة (باري ماتش) وهي ترتدي كنزة طويلة فضفاضة تخفي وسطها، لأنها حامل من دون زواج[3]، واحتفل فيما بعد بالمولود السفاح في القصر الجمهوري (الأليزيه) لأن كلود مسؤولة عن مكتب الاتصالات والصحافة في القصر.

وتذكر الجريدة أن رئيس الجمهورية الفرنسية السابق (شيراك) يعترف بابنته غير الشرعية (مازاريف).

---

(١) الشرق الأوسط العدد (٥٠٣٤) في ١٢ ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق ٩/ ٩/ ١٩٩٢م.

(٢) مثل فضائح (سارة فيرجسون) زوجة الأمير أندرو، وبعض الوزراء

(٣) عن جريدة الحياة العدد (١١٩٣٤) في ١/ ٦/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٥م

وكذلك ذكرت الجريدة كثيراً من هذه الحالات، ومنها عن المذيعة التلفزيونية (كلود شازال) التي رزقت بطفل من دون زواج، ولقيت تعاطفاً من الجمهور. وأميرة موناكو (ستيفاني) وضعت طفلين قبل أن تتزوج حارسها الشخصي.

والأميرة ديانا تلقى التعاطف من الشعب البريطاني في مغامراتها الجنسية التي انتهت بموتها، وكذلك رئيس أمريكا.

والمثير في الأمر أن جريدة (صانداي تايمز) ناقشت هذه الأمور، ولم تجد فيها ما يثير، وعلقت (كلود شيراك) على نبأ حمل السفاح قائلة: إن الفرنسيين سيبتسمون لهذا الخبر، شأنهم شأن الإغريق القدامى الذين كانوا يهتمون بسعادة بنات ملوكهم [1].

ج ـ ٢ ـ دعوى التقدم والحضارة والمؤامرة على المجتمعات الإسلامية:

هذه الفوضى الأخلاقية والأخطار الاجتماعية المدمرة في الغرب تأخذ طابع التمدن والحضارة، وتحاول أن تجد لها حماية قانونية، بل استطاعت أن تحصل على ذلك في أكثر البلدان الغربية وأمريكا، وأصبح الشذوذ، والخيانات محمية من القانون، تحت مسمى الحرية الشخصية [2].

والخطير في الأمر أن الهيمنة المادية والعسكرية لأمريكا والغرب تسخّر من أجل فرض هذه الأخلاق على بلدان العالم كله، ومن أجل هذا عقدت مؤتمرات حول المرأة، والسكان، غير ذلك من المسميات لكي تجعل من هذا التدهور الأخلاقي حالة عامة سائدة، مقنّنة ومحمية من الدول المهيمنة، ومظللة بمظلة المنظمات الدولية ولا سيما هيئة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها.

وكان واضحاً في السنوات الأخيرة أن المخططات اليهودية المدعومة من أمريكا والغرب وضعت موضوع التنفيذ، لاقتحام المجتمعات الإسلامية وإشاعة الفوضى، والتخريب والتدهور الأخلاقي فيها، لأن هذه الوسيلة تضمن لهم الهيمنة، واستنزاف طاقات هذه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ثارت في الآونة الأخيرة ضجة إعلامية حول خطف الأطفال والشذوذ الجنسي في الغرب، حتى صارت تعقد لذلك المؤتمرات لحماية الأطفال من هذه الممارسات الشاذة.

الأمة التي أضحت في غاية الضعف والبؤس.

وأكتفي بإشارات بسيطة إلى بعض الأخبار التي تدل على المؤامرة الكبيرة التي تنفذ ضد المجتمعات الإسلامية، وبتنسيق وتعاون واضح بين اليهود والقوى العالمية، وأنصارها داخل هذه المجتمعات.

قالت إحدى الصحف ما يلي: «سوسو يا سوسو» واحدة من مجموعات أغنيات مثيرة وماجنة تسللت إلى أسواق الكاسيت في مصر، وصاحبة الشريط الكاسيت مطربة إسرائيلية [1] تدعى (وانا إنترناشيونال) وتنتحل اسماً مستعاراً هو «سعيدة سلطان» وخلال موسم الصيف حققت أغاني الشريط شهرة واسعة، وأصبح الأكثر مبيعاً، وارتفع سعره إلى (١٥) دولاراً أميركياً، أي ما يوازي خمسين جنيهاً مصرياً، وفي الوقت نفسه ذاعت شهرة (وانا) أو سعيدة في أوساط الشباب الذين يرتادون الأندية الراقية في القاهرة، ونادي الصيد في حي الدقي، ويقيم الشباب حفلات استماع لأغاني المطربة الإسرائيلية التي تمزج في أدائها بين اللهجة المصرية واللهجة الخليجية بصورة تجد قبولاً لدى مستمعيها من الشباب [2].

وهذه القصة جزء من ظاهرة تسميها بعض الجهات المصرية (الغزو الجنسي الإسرائيلي) الذي يهدف إلى تخريب الشباب المصري، إذ أقدمت مجلات على نشر إعلان مدفوع لجهات هولندية، تبين بعد ذلك أنه إعلان عن (الجنس التلفزيوني) حيث تقدم بائعات الهوى الإسرائيليات المتعة الحرام لراغبيها من مصر ودول عربية أخرى، ويستطيع الراغب من المشتركين أن يطلب رقماً في تل أبيب من أي مكان في العالم ليقضي وقتاً في هذه المتعة الحرام.

---

(١) الأفضل أن نقول يهودية، لأن النسبة لإسرائيل وهو النبي يعقوب كذب وزور، ويعقوب عليه السلام ـ بريء من هؤلاء المجرمين.

(٢) هذا الخبر يشير إلى نوعية هذه الأندية الراقية، التي من أهدافها تربية مجتمع يستمرئ الاختلاط، وبناء الصداقات والتعارف بين الشباب والفتيات، وممارسة قصص الحب، ولذلك فإن المسلسلات تجري كثيراً من أحداثها في هذه النوادي كدعاية لها، وإشارة لطريق الغواية.

وكذلك يشير الخبر إلى الهدف من هذه الأغاني التي مزجت بين اللهجة المصرية واللهجة الخليجية ولهذا دلالات لا تخفى على القارئ.

وفي مدينة المنصورة ضبطت شرطة الرقابة على المصنفات الفنية (١٥٠) شريطاً إباحياً مع أحد الشباب الذين سافروا إلى إسرائيل على أمل الحصول على فرصة عمل، تدر دخلاً كبيراً[١] .

ونشرت الجريدة نبأ القبض على أربعة من تجار اللبان الجنسي من عملاء الموساد[٢] فالأمر لم يعد أمر مجتمعات غربية وبعيدة عن عالمنا الإسلامي، وإنما أصبح خطراً فادحاً يهدد مجتمعاتنا، ويحاول تدمير الأخلاق والقيم وزعزعة الاستقرار والطمأنينة، للإجهاز على هذه المجتمعات بعد إبعادها عن دينها، وتشويه معتقداتها، وإفساد سلوكها، والسيطرة على كل مقدراتها وخيراتها.

تؤكد مصادر المنظمة العالمية للصحة التابعة للأمم المتحدة أن العدد الحقيقي للمصابين بالإيدز في العالم لا يقل عن ٤,٥ ميلون شخص، ومن المتوقع أن يتطور هذا العدد إلى عشرة ملايين مع حلول سنة ٢٠٠٠م.

وتشير مصادر المنظمة أيضاً إلى أن عدد الذين أصيبوا بهذا الفيروس منذ اكتشافه في مطلع الثمانينات حتى الآن يصل إلى (١٩,٥) مليون من بينهم (١,٥) مليون طفل.

وتقول بعض المصادر أن الأعداد غير المصرح بها، أو الحالات التي تكتشف بعد ستؤدي إلى ارتفاع العدد إلى (٣٠) مليون بحلول سنة (٢٠٠٠)م.

وأول ثلاث دول في العالم من حيث عدد الحالات بالترتيب هي: ١ـ الولايات المتحدة ٢ـ البرازيل ٣ـ كينيا.

وترتيب القارات كما يلي: ١ـ أمريكا، ٢ـ إفريقيا، ٣ـ أوربا، ٤ـ آسيا، ٥ـ أستراليا.

وأول دولة في أوربا هي فرنسا ثم إسبانيا ثم ألمانيا. وأول دولة في إفريقيا: كينيا ثم تنزانيا ثم أوغندا. وأول دولة في آسيا تايلاند ثم الهند ثم اليابان[٣]

---

(١) جريدة الحياة العدد (١١٩١٣) في ١٠ جمادى الأخره ١٤١٦هـ الموافق ٤/ ١٠/ ١٩٩٥م

(٢) جريدة الحياة العدد (١٢١٦٩) في ٤/ ٢/ ١٤١٧هـ الموافق ٢٠/ ٦/ ١٩٩٦م.

(٣) انظر مجلة المجتمع العدد (١٢١١) في ٢١ ربيع الأول ١٤١٧ الموافق ٦/ ٨/ ١٩٩٦من الصفحة ١٨ إلى ٢٨.

وواضح أن دول العالم الإسلامي رغم ضعفه، وتأخر الخدمات الطبية وضعفها فإنها أقل الدول تعرضاً لهذا المرض، ولا تفسير لذلك إلا طبيعة هذا الدين الذي يحرم الزنا، ويحافظ على الأخلاق ـ ويحارب هذه الفوضى الحيوانية، ويساير الفطرة الإنسانية السليمة.

ولعل من أبرز الصور لنتائج الحضارة الغربية المادية التي أرادت إغراق البشر بالماديات، وجعلهم حقلاً لتجاربهم، وسوقاً لتجارتهم، ومنبعاً رخيصاً لثرواتهم، صورة المرض الجديد نقص المناعة أو (الإيدز) أو مرض الحضارة الغربية، لأنه نتيجة من نتائج الفوضى الأخلاقية والممارسات الشاذة التي روجتها أمريكا والغرب، وصدرتها كنموذج لحرية الإنسان وحقوقه.

ومع أن هذه الدول، التي تستكبر على دول العالم، لا تريد وضع العالم في الصورة الصحيحة عن هذا المرض، وأسبابه ونتائجه، فإن الصورة بدت مفزعة، والاعترافات التي ندّت عن بعضهم كانت أقوى دليل على هذه الحضارة الخاسرة، التي أفسدت المجتمعات، وحطمت القيم وأشاعت الجريمة والفوضى الجنسية، اتباعاً لتعاليم يهود.

وأنقل هنا بعض العناوين والأخبار التي رشحت عن هذا المرض (الإيدز) ورد في تقرير المركز الدولي لأبحاث الإيدز، أن المجتمع الدولي قد يفقد السيطرة على انتشار هذا المرض، وأشار التقرير إلى عدم المساواة في تلقي العلاج بين الدول الغربية والدول النامية، وأن الأخيرة لم يكن من نصيبها سوى ٦٪ من النفقات الإجمالية للوقاية (١) .

وتشير الدراسات أن (١,٥) مليون مصاب في أمريكا، وأعلنت منظمة الصحة العالمية أن أكبر رقم مبلغ لها في العالم هو في الولايات المتحدة. (٢) .

وأعلن مسؤولو الصحة الأميركيون أن الإيدز أصبح على رأس الأسباب المؤدية إلى وفاة الرجال الأميركيين الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٥و٤٤) عاماً وأنه أصبح يحتل

---

(١) جريدة الحياة العدد (١٠٧١٠) في ٥ ذو الحجة ١٤١٢هـ الموافق ٥/ ٦/ ١٩٩٢.
والشرق الأوسط (٤٩٥٠) في ١٦ ذو الحجة ١٤١٢هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٩٢م.
(٢) جريدة الشرق الأوسط (٣٦٥٨) في ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٩هـ الموافق ٣/ ١٢/ ١٩٨٨م.

المركز الرابع في قائمة أسباب وفاة النساء في الفئة العمرية ذاتها. [1] .

ونشر معهد بابوس (وهو هيئة إعلامية مستقلة) أن شخصاً واحداً يصاب كل دقيقة في العالم بفيروس الإيدز [2] .

وجاء في تقرير لعددٍ من الخبراء الأمريكيين عُرض أمام لجنة تابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي أن كلفة علاج مرض الإيدز في الولايات المتحدة قد تزيد بنسبة ٤٨٪ بين عامي ١٩٩٢و١٩٩٥م لتصل إلى (١٥,٢) مليار دولار سنوياً [3] .

وقد حذر أحد الخبراء العالميين من أن هذا المرض سيخرج عن نطاق السيطرة وقد يصيب (١٢٠) مليون إنسان في العالم في عام (٢٠٠٠)م [4] .

وإذا قارنا هذه الأعداد والأخبار بأمور أخرى وجدنا سبباً واضحاً لفعل هذه الحضارة، يقول أحد الخبراء الديموغرافيين في مكتب الإحصاء الأمريكي أن تصور العائلة المكونة من أب وأم وأطفالهما، أي العائلة العادية الطبيعية في أمريكا هي حالة لايعيشها سوى نصف أطفال الولايات المتحدة، وأن هناك طفل أمريكي واحد من كل طفلين لا يعيش ضمن ما يصفه مكتب الإحصاء بالأسرة النواة. [5] .

وتشير التقارير أن ٢٦٪ بالنسبة للأطفال السود في أمريكا هم الذين يعيشون ضمن أسر تقليدية. ويعيش ثلاثة أرباع الأطفال في أسر ذات أبوين ليسا الأبوين الحقيقيين بالضرورة، ويشير أحد علماء الاجتماع أن عدداً كبيراً من الأطفال يعيشون مع والدين غير متزوجين.

هذا غيض من فيض مما رشح من الأوبئة التي تصدرها أمريكا والغرب إلى العالم، نتيجة لهذه الحضارة المادية الجنسية، اللا أخلاقية.

والغريب أن العالم الإسلامي يرى مثل هذه الحقائق، ولكنه يغمض عيونه عنها،

---

(١) جريدة الشرق الأوسط

(٢) جريدة المدينة المنورة العدد (٧٨١٧) في ١٨/ ٢/ ١٤٠٩هـ

(٣) الشرق الأوسط (٥١٣٢) في ٢٢ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ١٦/ ١٢/ ١٩٩٢م.

(٤) الشرق الأوسط العدد (٤٩٥٠) في ١٦/ ١٢/ ١٤١٢هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٩٢م، وجاء هذا التحذير عن الدكتور (جونثان مان) الرئيس السابق لبرنامج الإيدز في منظمة الصحة العالمية.

(٥) جريدة الشرق الأوسط (٥٧٥٥) في ٣١/ ٨/ ١٩٩٤ والموافق ٢٤/ ٣/ ١٤١٥هـ

ويركض وراء المنتجات الاستهلاكية الحديثة، ليخدع نفسه بأنه أصبح متحضراً[1].

ومن نتائج هذه الحضارة المادية، والهوس بالمال، والجنس، وكل ملهيات الدنيا، والحيازة على الأموال، والثروات، أن هذه الحضارة أفسدت الحياة البيئية في العالم، أفسدت التربة بكثرة المواد الكيماوية، وأفسدت الهواء، والغلاف الجوي للأرض، والمياه العذبة، ومياه الأنهار والبحار، وأخَلَّتْ بالتوازن الفطري للحياة النباتية والحيوانية وحياة الإنسان[2]، وتراجعت مكانة الإنسان درجات ليحل محلها معدلات الإنتاج، والنمو الاقتصادي، وأسعار الأسهم والسوق، ومضاربات البنوك، وأصبح الإنسان عبداً لهذه الأمور، وحقلاً للتجارب، بعيداً عن الشعور بالطمأنينة والسعادة الحقيقة، التي استبدل بها الألعاب الصاخبة، والمغامرات، والأضواء الباهرة، وتدخلت يد الجنون لرفع معدلات النمو، لمضاعفة الإنتاج الزراعي وغيره بطرق غير طبيعية، وامتلأت الخضراوات بالكيماويات السامة التي أثرت على صحة البشر، وأورثتهم الأوجاع والآلام المختلفة، والكآبة وعدم الراحة، وكذلك الشأن في تربية الدواجن والحيوانات. ويكفي مثلاً على ذلك مرض جنون البقر الذي تدور حوله صراعات بين الدول الأوربية. إنها حضارة لا مكان فيها للإنسان والقيم الإنسانية، مهما حاول صانعوها، ودهاقنتها التظاهر بأنها لصالح الإنسانية، والمحافظة على البشرية، ومهما ادعوا أنها إنسانية، تدافع عن حقوق الإنسان وحريته.

---

(١) انظر كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي رحمه الله، فهو يفصل الحديث في هذا، ويبين الفرق بين الركام والبناء والحضارة والأشياء..

ونشرت إحصائيات تشير إلى أن دول الخليج العربية وحدها تستورد مواداً استهلاكية بـ(١٥) بليون دولار سنوياً. جريدة الحياة في ٤/ ١١/ ١٤١٤هـ الموافق ١٥/ ٤/ ١٩٩٤م.

(٢) رفع المتظاهرون عدة شعارات ضد منظمة التجارة العالمية التي عقدت أحد مؤتمراتها في (سياتل) بالولايات المتحدة، ومنها: (السلاحف تقول لا لمنظمة التجارة العالمية) (الفراشات تقول لا لمنظمة التجارة العالمية) (الدلافين تقول لا ...) (الرأسمالية تقتل كل مظاهر الحياة) (البيئة ضد منظمة التجارة العالمية) (منظمة التجارة العالمية تفسد الطعام) (منظمة التجارة العالمية منظمة للرق) (منظمة التجارة العالمية مصاص الدماء).

جريدة الحياة (١٣٤١٧) ٢ كانون الأول ١٩٩٩م ٢٤ شعبان ١٤٢٠هـ

إنه الإنسان الذي تريده اليهودية ـ الإنسان المنبتّ عن شرع الله ـ الرافض للاحتكام إلى دستور الإنسانية الذي ارتضاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها.

الإنسان الذي لايعترف بغير الحس المادي، والنفعية الدنيوية، والحرية المبنية على هذه الأمور، المتفلتة من كل القيم، المسخر للأبالسة المتألهين. أما إذا رفض الإنسان هذا المنحدر لإنسانيته، وتمسك بقيمه، فإنه يحرم من حق الإنسانية، ويتخلى عنه النظام الجديد، ويعده خارجاً عن قوانين العالم، خطراً على مصلحة هذه الدول التي ترعى هذه القوانين(١). وهذه هي المبررات التي يحاربون بها دول العالم الإسلامي.

إن الأمر لم يعد خافياً، وواقع الحال ماثل للعيان في كل بقعة من ديار الإسلام، ينزف دماً ومآسي ونكبات، والمسلمون في شتات وحيرة وضياع.

إنه غزو رهيب، تقوده القوى العالمية، بكل أسلحتها الجديدة: الإرهاب العسكري، والسيطرة الاقتصادية، والإعلام المضلل والمصالح المختلفة، والدعايات المغرضه، والإغراءات والإثارات التي تسلب الناس أحلامهم، وسوق ذلك باسم التقدم العلمي، والتقنية الحديثة. والمسلم بحاجة لإدراك هذا الواقع، والمرأة أكثر حاجة لوعي هذا الواقع، لأنها ـ في نظرهم ـ أول الحلفاء الذين يطمعون في معونتهم، للدخول إلى صلب المجتمعات ولا سيما داخل الأسرة، بل إلى داخل النفوس والعقول لصياغتها كما يريدون، صياغة الشياطين والطغاة، والقضاء على دعاة الله، ودعوة الله. ولكن المسلم يظل واثقاً من ربه، واثقاً من أن الله عز وجل سيمكن للمسلمين يوم يجد عندهم الصدق والاستقامة والصبر والعزم، وستكون العاقبة لهم إن شاء الله، مهما زاد الخطر، واشتدّ البلاء.

---

(١) إن ما يجري في مناطق كثيرة دليل واضح على ذلك، فحين يختار الشعب وفي ظل الحكومات العلمانية وقوانينها التوجه إلى الإسلام، يرفض النظام العالمي هذا الاختيار، ويباركون الدكتاتورية، أو أي إجراء لإقصاء الإسلاميين عن تحقيق رغبة الشعب، وكذلك بالنسبة للقضاء، فإذا حكم ببراءة الإسلاميين، أو بتجريم المنحرفين اتهم القضاء بالبعد عن الحق، وإذا حكم بالعكس قام الإعلام بالإشادة بالقضاء.

ج-٣-اليهود وسيطرتهم على المال والإعلام:

إن الوسائل التي أصبحت ذات تأثير كبير على الأفراد والمجتمعات كثيرة، منها ما يبدو تأثيرها مباشراً وواضحاً، وبعضها غير مباشر، ولكنها جميعاً تنال الاهتمام الكبير من أعداء الإسلام، بل هي في غالبيتها ملك لهم، وتعمل بتوجيه من يهود، الذين التفتوا منذ عقود، بل من القرن الماضي إلى هذه الوسائل راحوا يهيمنون عليها، ويرسمون لها الخطط والبرامج لتعطي ثمارها.

لقد هيمن اليهود ـ في هذا القرن ـ على أكثر الوسائل المؤثرة في المجتمعات العالمية، وخاصة في أوربا وأمريكا وغيرها، وراحوا يصوغون العلوم، والاقتصاد والفنون، والتربية، والإعلام وفق معتقداتهم، وبما يخدم أغراضهم[1] وليس هذا ادعاء، وإنما هي

(١) إنه من الغريب، ونحن نعاني من مكائد يهود، واحتلالهم لأراضينا المقدسة، وتشريدهم لشعوبنا واقترافهم لأبشع الجرائم، وتسخير الدول الكبرى لتحطيم معنوياتنا وقوانا وكل قيمنا، من الغريب ألا نحاول نحن ـ المسلمين عامة والعرب خاصة ـ فهم اليهود وطبيعتهم، وأن نشيح بوجوهنا عما ورد في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله عنهم، ونصغي بدلاً من ذلك إلى كلام أعدائنا الذين صوروهم بالمظلومين وأصحاب الحق. كما يقول د. حسن ظاظا، في كتابه (الشخصية الإسرائيلية): أن دراسة الشخصية الإسرائيلية من أجدر الدراسات بالتقديم لمن يحاول أن يفهم الأسس التي استطاع بها دعاة الصهيونية أن يقلبوا نفور يهود العالم منهم في البداية إلى إقبال وتأييد واقتناع. . . ويقول: إن تقصيرنا في دراسة الخصم قد جر علينا الوقوع في أخطاء ـ بل نكبات ومصائب ـ عسكرية وسياسية واقتصادية ما زلنا نكتوي بنارها حتى الآن، ولاندري كيف يسوغ هنا أن نجد من العرب من تبحّر في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية وغيرها. . . ولا نجد بعد مترجمين وكتّاباً يتقنون العبرية ويضربون في مسالك الفكر الإسرائيلي، كالسمك في الماء ـ مقدمة الكتاب ـ دمشق ـ الطبعة الأولى. وقد أشارت دراسة قيمة بعنوان (اليهود في القرآن والسنة) للدكتور محمد أديب الصالح إلى عدد من خلائقهم، كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مثل التحايل على أحكام الله والصدّ عن سبيله ونقضهم للعهود، واللجاجة في الجدل وعدم الطاعة، ومقابلة النعم بالجحود، والتطلع إلى عبادة الأوثان، والتجرؤ على رب العالمين سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك. والكتاب ليس ادعاء بشرياً، وإنما يتحدث عن الحقائق الربانية التي وصمتهم باللعنة، بعد سرد هذه الخصال الشريرة. وكذلك يعرض كتاب الشيخ عبد الرحمن الدوسري (يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ) لخلائق يهود، اعتماداً على نصوص الكتاب والسنة أيضاً، ومنها، الكفر بنعم الله ـ عز وجل ـ تبديل القول وقلب الحقائق، اللجاجة والجدال، ونقض العهد، والكفر بالأنبياء والإصرار على الكفر، الحرص على الحياة وعداوتهم لجبريل ـ عليه السلام ـ وتبعيتهم للشيطان. وسعيهم =

حقائق تنبع من معتقداتهم التي تحكم تصرفاتهم وأعمالهم. ورد في كتبهم ما يلي: «اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أما الشعوب والأمم الأخرى فهي حيوانات» . «اليهود من جوهر الله، كما أن الولد من جوهر أبيه». «لولا اليهود لامتنعت البركة عن الأرض، وانقطع المطر، واحتجبت الشمس، لذلك لاتستطيع شعوب الأرض الحياة بغير اليهود» .

«إن الله خلق غير اليهود على صورة البشر إكراماً لليهود وتكريماً، لأن غير اليهود خلقوا لخدمة اليهود ليل نهار، ولا يليق بخدمة الأمير أن يكون خادمه حيواناً على صورة الحيوان، بل يجب أن يكون الخادم حيواناً على صورة إنسان». «يسوع الناصري ـ أي عيسى عليه السلام ـ ابن غير شرعي، حملته أمه وهي حائض سفاحاً من العسكري باندارا، وهو كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني ومخبول». «مات يسوع كبهيمة، ودفن في كومة قذرة». «يسوع الناصري في لجج الجحيم بين القار والنار» . أما اليهود ـ كما يعتقدون في كتاباتهم المزورة ـ فهم الشعب المختار. «أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض» . «نطفة القويم ـ كل ما عدا اليهود ـ مثل نطفة البهائم» .

وهم مأمورون بقتل كل الناس دون استثناء، حتى الأطفال والنساء والشيوخ: «وكلم الرب موسى . . . قائلاً: كلِّمْ بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون مرتفعاتهم، تملكون الأرض، وتسكنون فيها، لأني أعطيتكم الأرض لكي تملكوها» ويدعي اليهود أن ربهم أمرهم بقتل الرضع والنساء والبهائم: «اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً» .

وحيث إنهم يعتقدون بارتكاب أنبيائهم أبشع الجرائم والمنكرات ومنها الزنى بالمحارم ولذلك جعلوا رسالتهم في العالم إشاعة الفواحش والمنكرات، وتنظيم الجرائم

= في خراب المساجد، وعداؤهم الدائم لرسول الله ـ ﷺ ـ ودين الإسلام. وانظر أيضاً كتاب (التطور والثبات) للأستاذ محمد قطب، وسعي اليهود لتخريب الفكر والمجتمع والاقتصاد، ولاسيما في فصل (اليهود الثلاثة . . .) ولكننا مع كل هذه الحقائق ما نزال نذير لها ظهورنا، نبحث عن طعام وشراب ولهو، ونترك أعز ما يملكه الإنسان عرضة للزوال.

والإرهاب، يقول غوستاف لوبون في كتابه (اليهود) ص١٥ «ليس زنا الأزواج هو الجرم الوحيد الذي تحرمه الشريعة على مزاج بني إسرائيل الداعر، ففي شريعتهم تعداد لدعارات عنيفة مع شدة عقوبة من يقترف إحداها، وتثبت هذه الشدة كثرة المخالفات». «وسفاح ذوي القربى، أي الزنا بالأخت والزنا بالأم، واللواط، والمساحقه ومواقعة البهائم، من أكثر الآثام التي كانت شائعة بين الشعب الذي نص ناسيت على شبق له لايروي غليله»[1]. إن التعرف على طبيعة يهود، ومعرفة مخططاتهم أمر ضروري للمسلم حتى يكون على بينة مما يحدث حوله، وحتى يكون على بصيرة في بواعث البرامج والمخططات في شتى الاتجاهات والتخصصات. بل لايمكن للمسلم فقه الواقع الذي يعيشه، وطبيعة المجتمعات حوله إلا إذا فهم طبيعة اليهود، ومعتقداتهم، وبواعثهم، وأنشطتهم في شتى أمور الحياة، ومؤامراتهم على المسلمين بخاصة، والبشرية بعامة.

د. التعليم وآثاره:

ومن الوسائل المؤثرة في المجتمعات والأفراد في هذا العصر، التعليم. حيث أصبح لدى الناس، من المسلَّمات، المدرسة حلقة من حلقات التربية مع الأسرة، بل أصبح للمدرسة تأثير أكبر من تأثير الأسرة في الوقت الحاضر، لما تملكه من وسائل وأجهزة، وأنشطة، ومؤثرات تفوق مالدى الأسرة، ولانشغال الوالدين بأمور أخرى خارج نطاق الأسرة.

ولكن هل نظر المسلم إلى مسألة التعليم نظرة فاحصة دقيقة؟ وهل بحث الأب والأم فيما يتلقاه الطفل والناشئ والشاب في معاهد التعليم المختلفة؟

وهل يستطيع المسلم الاطمئنان إلى مناهج التعليم المختلفة، والمقررات الدراسية التي تصوغ الجيل، وتربيه ليكون صاحب المسؤولية في الغد؟

إنه من النادر أن يلجأ أولياء الأمور إلى مثل هذا البحث المتعب لأنه يعتقد أن المدارس أنشئت لتربية أولادهم وتعليمهم وترقيتهم، وبناء مستقبلهم ومستقبل مجتمعهم.

والناس معذورون في هذا بعض العذر، لأن هذا المفهوم صحيح من حيث الأساس،

---

(١) كتاب مؤامرة الصهيونية على العالم، أحمد عبد الغفور عطار ص٢٩ ما بين ص٥ وص٣٣، وهو كتاب مهم في هذا الباب.

وإن كان غير صحيح من حيث الواقع والممارسة.

ولكي تدرك المسلمة بعض الحقائق، وهي تتصدى للقيام بمهمة الداعية والمربية، والحارسة لأجيال الغد، الحاضنة للطفولة، المنشئة للرجال، نتوقف عند بعض قضايا التعليم في هذا العصر، محاولين إلقاء الضوء على أهدافه واتجاهاته، لندرك مدى توافقه مع أهداف المسلم وغاياته، ومدى تحقيقه للصورة التي يريدها المسلم لأبنائه ومجتمعه.

لقد كان الصراع بين المسلمين والغربيين في القرون الوسطى صراعاً عسكرياً، وبعد فشل الحملات الصليبية على بلاد المسلمين، أيقن الغربيون ـ من تجاربهم ومعرفتهم لواقع المجتمعات الإسلامية، واحتكاكهم بالشعوب الإسلامية ـ أن السيطرة على العالم الإسلامي لن يكتب لها النجاح إلا بإبعاد المسلمين عن دينهم، وإضعاف الصلة بينهم وبين ربهم، وإدخال المعتقدات والأفكار المختلفة إلى عقولهم، وإشاعة العادات والتقاليد المناقضة لدينهم وأخلاقهم، وتعميم التعليم الغربي في شتى دولهم.

ولذلك أخذوا يخططون لغزو فكري واجتماعي طويل الأمد، ويفتشون عن مداخل وأسباب تحقق لهم الوصول إلى أهدافهم، فكان من أهم المداخل التي ولجوا منها إلى العالم الإسلامي، مدخل العلم، والتعليم، والثقافة والتربية، لأن التربية هي التنمية، وهي الثقافة، وهي الرحم الذي تزرع فيه الأجنّة، وتتعهد لتنطلق في جميع مجالات الحياة[1].

ولذلك التفت الغربيون إلى الثقافة، وإلى التربية، وكان هدفهم كما قال الأب (زويمر) مقرر مؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦م: «ليست مهمتنا هي تنصير المسلمين، فهذا شرف ليسوا جديرين به (!) ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، ومن ذلك نجحنا نجاحاً باهراً بفضل مدارسنا التبشيرية والسياسة التعليمية التي وضعناها للبلاد الإسلامية»[2].

---

(١) مقومات الشخصية المسلمة ـ د. ماجد عرسان الكيلاني ـ كتاب الأمة ٢٩ ص٣٩.

(٢) انظر (الغارة على العالم الإسلامي) ترجمة محب الدين الخطيب، و(واقعنا المعاصر) للأستاذ محمد قطب ص/ ١٩٦ـ١٩٧، و(غزو في الصميم) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص/ ٢٦ـ٢٧.

وابتدأ هذا المخطط بفتح المدارس التبشيرية والجامعات، تحت مسميات تعليمية وتربوية، في عدد من المدن العربية مع تقديم الدعم والعون المادي والمعنوي لها ولخرِّيجيها.

وكان تركيز الغربيين في ذلك على مصر لأنها مركز إشعاع روحي وثقافي، وذات تأثير على بقية شعوب العالم العربي، والعالم الإسلامي، فضلاً عن ميزات خاصة في المجتمع المصري مما جعل الغربيين يسعون إلى تحقيق أهدافهم، ويستغلون كل الظروف والعوامل الداخلية لتحقيق أطماعهم.

لقد سار الغربيون في مخططهم هذا في عدة قنوات منها:

١ـ تشجيع البلدان الإسلامية على إرسال البعثات إلى الغرب، لنيل الشهادات وتحصيل العلوم، وكانوا يتدخلون بطريقة أو أخرى لاختيار الشباب الأذكياء بقصد تأهيلهم لحمل أفكارهم ومناهجهم.

٢ـ افتتاح المدارس التبشيرية المختلفة في بلدان العالم الإسلامي لجذب الجيل الجديد وتأهيله، وبث الأفكار وإشاعة الأجواء الغربية في التعامل والأخلاق.

٣ـ نشر الكتب والمؤلفات المختلفة التي تحمل أفكارهم ومبادئهم بطريقة خبيثة ومدروسة، وطباعة كتب تراثية مختارة بعد إدخال كثير من التعديلات والتحريفات عليها.

٤ـ إدخال الفنون الحديثة مثل التمثيل والرقص والغناء، والموسيقى وخلع الألقاب والثناء على أصحابها [(١)].

٥ـ إنشاء المجلات والجرائد ودور النشر الجديدة التي تحمل أفكارهم، وتبشر بآرائهم، وتؤثر على الناس بما تحمل من دعايات وأخبار [(٢)]، وتمجيد لكل ما هو مناقض

---

(١) لقد ذكر الجبرتي أن نابليون عندما احتل مصر، جاء معه ببعض الساقطات وصرن ينشرن الفاحشة، ويتجولن بالأسواق لإشاعة السفور، وزعزعة المجتمع المصري. واقد ارتبط ما يسمى بفن المسرح بشخصيات يهودية، أو نصرانية حاقدة على الإسلام والمسلمين (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢/ ٤٣٦.

(٢) يذكر في ذلك أن ثلاث دور صحفية كبيرة تأسست في مصر على يد عائلات نصرانية مارونية لبنانية وهي: دار الأهرام لآل تقلا ـ ودار الهلال لآل زيدان ـ ودار المقطم لآل صروف. انظر (واقعنا المعاصر) / ٢٣٧ـ٢٣٨.

للإسلام، وإحياء كل المؤثرات التي تبعد الناس عن دينهم باسم الوطنية والتراث، والحضارة القديمة، والتقاليد الخاصة، . . . إلخ.

٦ـ وضع الأسس التربوية للمناهج التي تدرس في مختلف الأقطار الإسلامية، والهيمنة على المؤسسات التربوية بشتى الوسائل، وربط المقررات التي تدرس في كليات التربية ـ بالذات ـ بالأهداف والأسس التربوية السائدة في الغرب.

لقد أوضح زويمر، رئيس المؤتمر التبشيري الذي عقد في القدس في شهر نيسان سنة ١٩٣٥م هذا الأمر فقال:

«لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس، والجمعيات، والمدارس المسيحية الكثيرة، التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية. . .» .

وأضاف «إنكم أعددتم له بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد. .

إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، إن تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء»(١) .

وقال زويمر في مناسبة أخرى: «ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية، فلا بد أن ننشىء لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب»(٢) .

---

(١) غزو في الصميم ص/ ٢٧ـ٢٨ وانظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص/ ٢١٦ـ٢١٧ للشيخ محمد محمود الصواف، يرحمه الله. والمحزن أن واقع الأمة يؤيد ذلك.

(٢) غزو في الصميم، وهذا تصريح واضح بغاية هذه المدارس التي أصبحت أساس التعليم.

وقال المبشر (تكلي): «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلّموا اللغات الأجنبية»[1].

وقال المستر (بزوز) عندما تسلم رئاسة الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٨م: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان...»[2].

ولذا نجد أن أولى الخطوات التي كانت تتخذ في الدول الإسلامية التي هيمن الغربيون عليها بشكل أو بآخر، وضع التعليم تحت إشراف جهاز واحد، ومناهج غربية ولكن بمسميات ومصطلحات خادعة، علمية وتربوية عامة.

وعلى سبيل المثال، كان من أوائل القرارات التي اتخذت في تركيا - العلمانية - بعد إلغاء الخلافة؛ إلغاء وزارة الأوقاف، وتوحيد التعليم تحت إشراف وزارة المعارف، وتبع ذلك إغلاق المدارس الإسلامية، وتحويل الكتابة عن حروف الخط العربي إلى الحرف اللاتيني، لتجهيل الناس، وإبعادهم عن قراءة القرآن الكريم - بل مدارسته وفهمه - وقطع الصلة بينهم وبين كل تراث إسلامي لهم، وتجهيلهم بماضيهم مع عدم السماح بأي شكل من أشكال التعليم الديني[3].

فأمرُ التخطيط الغربي المبكّر للسيطرة على التربية والتعليم في العالم الإسلامي - بعامة - والعربي - بخاصة - أصبح معلناً، بعدما نجح الغرب في ذلك، وكان من أولى ثماره القضاء على الدولة العثمانية، واحتلال أجزاء من دول العالم العربي، وإقامة حكومات علمانية

---

(١) المرجع السابق وانظر كتاب (التبشير والاستعمار) للدكتور عمر فروخ و د. خالدي ص٨٨ وهذا يفسر انكباب كثير من المدارس على الأخذ بالنهج الغربي، والاهتمام باللغة الأجنبية بحجة العلم والعصر...

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر كتاب (السلطان عبد الحميد الثاني) للدكتور محمد حرب، في سلسلة أعلام المسلمين. ولا سيما الباب الرابع من ٢٣١، وكيف عمل اليهود والنصارى والعلمانيون جميعاً على بث الأفكار الخبيثة لمحاربة الإسلام أولاً، ولإلغاء الخلافة والقضاء عليها كرمز لتجمع المسلمين واستخدموا لذلك شتى الأساليب وقد نجحوا بعد أن ربوا من أبناء المسلمين من يحمل أفكارهم ويسعى في نشر مبادئهم وتحقيق مخططاتهم.

بأزياء وشعارات وطنية، وأصبحت هذه الحكومات تتفاخر بأنها تريد اللحاق بالغرب في حضارته وتقدمه. يقول المستشرق الكبير «جب» (Gibb) في كتابه «وجهة الإسلام»: «والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي، والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي، هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين... والواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفي، فليست هي في حقيقة الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق، لأنها لا تغني شيئاً في قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية، وللوصول إلى هذا التطور الأبعد يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة»(١).

هذه الأهداف التي تحدث عنها المستشرق جيب قد تحققت في العالم الإسلامي - إن كان على صعيد التعليم، أو على صعيد الإعلام - ولا سيما في مجال الصحافة والمجلات المختلفة، ولهذا رأينا أن نشوء الصحافة في الوطن العربي كان على يد نصارى، وعلمانيين ارتبطوا مباشرة بالغربيين، واستطاعوا أن يكوِّنوا رأياً عاماً بعيداً عن الإسلام، معجباً بالغرب، ومدنيَّته وأفكاره، وقد صرح بذلك المستشرق جيب حينما قال:

«عن طريق المدارس العصرية والصحافة، قد ترك في المسلمين - من غير وعي منهم - أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم لا دينيين إلى حد بعيد» وأضاف: «الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلاً من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام بوصفه... قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته». «وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - د. محمد محمد حسين ط٣ ص٢١٦-٢١٧.

وقد كان المستشرق جيب أحد مستشاري الخارجية الإنجليزية، وهذا يؤكد أن السياسة الغربية تجاه العالم الإسلامي، تقوم على دراسات استقصائية شاملة لمعرفة طرق السيطرة عليه. ويؤكد أن هؤلاء لا يدرسون العلوم الإسلامية للعلم، وإنما خدمة لمخططاتهم.

أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل، ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية، قد لا يعرف أصولها ومصادرها، ولكنه يعرف على كل حال أنها ليست مأخوذة من القرآن» «وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وكان الذين أدركوا هذا التطور قلة ضئيلة من المثقفين» (١).

ومن العجيب أن نقرأ للمفكرين الغربيين آراء عن التربية، وأنها ليست كالبضاعة التي تباع وتشرى، ومع ذلك لا نأخذ بمثل هذه الآراء، بل نقلد الغربيين، ونستسلم لأفكارهم حتى تقتل في داخلنا كل مقومات شخصيتنا الإسلامية، وقيمنا الإيمانية، وعوامل النهوض الحقيقية لدينا.

يقول الدكتور كونانت Dr. J.B.Conant في كتابه التربية والحرية:

«إن عملية التربية ليست تعاطياً وبيعاً وشراءً، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوربية إلى بلادنا الأمريكية» (٢).

هذه شهادات الغربيين، ولكننا كنا كالعميان في هذا الأمر، لم ننظر إلى مصلحة بلداننا، بل تابعنا الآخرين بغباوة فائقة بكل ما يقال لنا، ومن الغريب أن ترى شاباً عليه سمات الالتزام بدينه، ومع ذلك يعود من بعثته إلى الغرب بانبهار وهزيمة، يحمل أفكار الآخرين، ويروج تقاليدهم، ويتحدث بلسانهم، ويقرر نظرياتهم، ويردد ما تعلمه في مدارسهم وجامعاتهم بدون فهم ولا وعي. ولعل أكثر هذه المظاهر وضوحاً في مجالات التعليم والتربية، ففي الدراسات والمقررات التربوية، وما يتعلق بالاجتماع وعلم

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٢١٨-٢١٩، وانظر (نحو التربية الإسلامية الحرة) للشيخ أبي الحسن الندوي / ٣٣. والمستشرقون والقادة الغربيون يتحدثون عن كل ذلك بوضوح وصراحة، لأنهم يعرفون أن المسلمين لم يعودوا يقرؤون أو يعون وأنهم أصبحوا في غفلة عن واقعهم وما يدور حولهم.

(٢) التربية الإسلامية الحرة / ٤٨.

النفس[1] ونظريات التربية، والتعليم، والمناهج والأساليب. ينقل أكثر المتخصصين ما يُدرَّس في الغرب من نظريات وأفكار وطرق ودراسات، ويأخذونها كحقائق ثابتة، وعلوم مطبقة، مع أنها تتعارض مع طبيعة النفس التي بيَّنها لنا الإسلام، ولذا تركت أجواء من الشك والاضطراب والقلق والتمزق في نفوس الدارسين، لأنها ابتعدت عن الحقيقة الكاملة، واقتصرت على الجانب المادي وحده، فالتمست منه مقوماتها ومفاهيمها.

وأخطر ما في مفاهيم النفس الغربية من التعميم والتصور.. هو القول بأن الجنس هو أساس الدوافع النفسية جميعاً، وأن الإنسان مقسور في إطار من الجبر الذي تفرضه هذه الغريزة على كل تصرفاته بحيث يعجز عن أن تكون له إرادته الخاصة[2].

وتجلى التأثير الغربي، بل التطبيق العملي للبرامج الغربية، والمخططات الغربية بما يلي:

١ ـ افتتاح المدارس والمعاهد والجامعات المرتبطة بالغرب مباشرة مثل الجامعات الأمريكية في تركيا ومصر ولبنان وغيرها من الدول الإسلامية وقد عملت هذه الجامعات على تخريج أجيال يحملون المفاهيم الغربية والأفكار الأمريكية، وكان الكثير منهم يلقى الرعاية المستمرة من الدوائر الاستعمارية حتى بعد تخرجهم، بل إن الكثيرين كانوا يحتلون المناصب القيادية في بلدانهم، وفق المخطط الذي وضع لهم.

وظلت هذه الجامعات ترعى خريجيها عن طريق الاتصالات المختلفة تحت مظلة العلم، والفكر، والأدب ـ وكذلك تحت مظلة خريجي هذه الجامعات، ولا نحتاج إلى الوقوف عند أمثلة لذلك. وإذا كان هذا تأثير هذه الجامعات على الشباب، فكيف يكون

---

(١) إن الدراسات النفسية التي يجريها الغربيون على الفئران والأرانب والقردة لإثبات نظرياتهم يسحبونها على الإنسان ـ ويطلقون عليها علماً، مع أنها نظرات غير ثابتة ـ وكثير منها غير صحيح، لأنه قائم على نظرة جانبية مادية للإنسان تنكر صفة الخلق، والغيب، والخالق عز وجل والروح وتفتقد الثبات والتفسير المنطقي الصحيح، ومع ذلك نقلنا هذه الدراسات على أنها حقائق علمية ثابتة، بدلاً من إعادة النظر فيها، واستخلاص العلم الحقيقي للنفس الإنسانية من نصوص كتاب الله عز وجل، الخالق العليم بخلقه، ومن نصوص الحديث الشريف مع الاستفادة من دراسات العلماء المسلمين في ذلك.

(٢) أخطاء المنهج الغربي الوافد ـ أنور الجندي / ٣٨٧.

تأثيرها على النساء، وقد تزايدت أعداد الطالبات اللواتي يلتحقن بهذه الجامعات.

وهناك جامعات أخرى مرتبطة بدول غربية كفرنسا وبريطانيا وغيرهما، فضلاً عن المدارس الكثيرة المنتشرة في مدن وبلدان العالم الإسلامي، التي أسهمت في إعداد الأجيال لحمل الأفكار والأخلاق الغربية، وكل هذه الجامعات والمدارس كانت تدار من الجماعات التبشيرية (التنصيرية)، بشكل مباشر وتطبق المناهج الغربية في الدراسات المختلفة، وبعضها كان تابعاً لجامعات أخرى في الغرب.

وكان جل اهتمامها ينصب على ما يسمى بالدراسات الإنسانية واللغات الأجنبية، كالتربية، وعلم النفس، والآداب، وعلم الاجتماع، والاقتصاد والسياسة، والتاريخ، وعن طريق هذه التخصصات يدخلون أفكارهم، وفلسفاتهم، وأخلاقهم وعقائدهم، ويبثون الشكوك والأكاذيب حول الإسلام وتاريخه. ونستطيع أن نقول بأن أكثر الدراسات والمذاهب الحديثة خرجت من هذه الجامعات في ثوب علمي فضفاض بل إن هذه الجامعات كانت تمد الجامعات الوطنية بعدد من الأساتذة الذي ينقلون عدوى التغريب، ويبثون الأفكار المسمومة في بقية الجامعات.

فضلاً عن هذا فقد كان لبعض هذه الجامعات دور بارز في سياسة المنطقة، وتوجيه هذه السياسة في المنحى الذي يتوافق مع السياسات الغربية.

٢ـ الهيمنة على الدراسات التربوية والنفسية، وعلم الاجتماع في كل البلدان الإسلامية، وبطرق شتى، وتوجيه هذه العلوم الوجهة العلمانية المادية بعيداً عن الأديان بعامة، والإسلام بخاصة، وكان التركيز على هذه التخصصات بقصد توجيه الناشئة والتعليم في البلدان؛ الوجهة التي تعادي الإسلام، وزرع الأفكار والعقائد التي تتنافى مع حقائق الفطرة الإنسانية، ومقومات الشخصية كما خلقها الله عز وجل، وإيجاد الهوة الفاصلة بين مفاهيم الدين، ومعطيات هذه العلوم، حتى أصبح المتعلم وبشكل تلقائي، يؤمن ويوقن بما تحمله هذه الدراسات باسم العلم، بينما يضع ما يأتيه من الدين جانباً، فهو لا يقول عنه باطلاً، وإنما لا يتعاطى معه ولا يتفاعل لأنه أمر غيبي، والغيب غير الحقيقة العلمية.

إنها مغالطات عجيبة، استقرت في أذهان الكثيرين، حتى عند الذين يلتزمون بأداء الشعائر الدينية، والسلوك الإسلامي في بعض الأمور الأخلاقية، فإذا قيل للطالب مثلاً: أثبت العلم كذا وكذا، رأيته يصغي ويذعن ويتقبل هذه المعلومات مهما كانت غريبة أو شاذة، ولكنه لا يتعامل كذلك عندما يسمع كلام الله عز وجل.

ولو كان مثل هؤلاء على وعي صحيح لأيقنوا أن الحقيقة التي لا سبيل لنقضها هي الأمور التي جاءت في كتاب الله العزيز العليم، أو وردت على لسان نبيه المرسل للعالمين، وأن كل حقيقة سواها، قابلة للنقض والخطأ والتغيير حتى تلك التي نتعامل معها بأنفسنا في الموازين والمكاييل والحسابات والبراهين، لأنها تخضع لحواسنا البشرية، وقدراتنا المخلوقة، وهذه من صفاتها القصور، والنقص، والمحدودية. أما ما يأتي من عند الله فهو الحقيقة الثابتة الناصعة، فكيف بعد هذا يقبل شعوذات المربين الغربيين، والفلاسفة، وعلماء النفس الذين يتكلمون عن هذه الأمور من خلال أحلامهم الشيطانية أو تجاربهم المادية والحيوانية القاصرة؟!

والأمر الملحوظ أن كل المعاهد والكليات التربوية في عالمنا الإسلامي - إلا من رحم ربك - تخضع للمناهج الغربية، والقليلون جداً هم الذين استطاعوا الإفلات والخروج عن هذا الطوق، وظل الكثيرون يدورون في فلك الأفكار الغربية في قضايا التربية والاجتماع والدراسات النفسية مع توشيح هذه الأفكار ببعض النصوص الإسلامية.

٣- وضع المناهج التعليمية المختلفة بعد تحديد أهدافها التي تتراوح بين العصبية الضيقة، أو العنصرية القومية أو الإنسانية مع التركيز على الجوانب المادية والنفعية، في صياغة هذه الأهداف، بحيث يكون المراد تربية النشء للاهتمام بالأمور المادية، وربط هذه الاهتمامات بالغايات المادية، والنفع الدنيوي، حتى في مجال السلوك والأخلاق، وإبعاد هذه الأهداف عن الارتباط بالله الخالق، مالك يوم الدين، والوصل بين عمل الإنسان وسلوكه ونشاطه الدنيوي، ومصيره بعد الموت، حتى في مجال العلوم الدينية تبقى المعاني الخاصة بالإيمان والإسلام في مجال العموميات التي يمكن تفسيرها وفق رغبات واضعي المناهج فالإيمان قضية مطلقة غير محددة، والإسلام نوع من التعامل والتهذيب الخلقي،

والشعائر التعبدية قضايا خاصة بالفرد وعلاقته مع ربه، ولا صلة لها بمستقبله أو نشاطاته أو مجتمعه، أو تعديل سلوكه وتعامله مع المجتمع.

ولو عدنا إلى السياسات التعليمية في العديد من البلدان الإسلامية، وإلى مناهجها التعليمية لرأينا العجب العجاب، لأنها تهدف إلى تربية نشء لا علاقة له بربه، ولا مجال لديه بالتفكير بغير نطاقه المادي، ومنفعته الدنيوية، ولا تأثير في وجدانه لغير هذه المؤثرات الدنيوية المادية، مع الحرص كل الحرص على ربط النشء بالدولة، والخضوع لتوجيهات رجالاتها مهما كانت توجهاتهم وأفكارهم.

وكلما زاد ارتقاء النشء في التعليم زاد بعده عن مفهوم الإسلام الصحيح، وعن القبول بالاحتكام إلى شرع الله، والتسليم المطلق لكل ما يأمر به وينهى عنه.

إن هذه المفاهيم أصبحت مشوشة، وغير واضحة، حتى في أذهان الذين يحملون هموم الدعوة، حيث دخلت في أذهانهم، وقلوبهم أفكار وقضايا مشبوهة، وصاروا يجادلون فيها باسم النظر والتفكر، والتطور والمعاصرة، ومن باب صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وأن غاية الإسلام الرقي البشري، وسعادة الإنسانية، وراح بعضهم يحمل المصطلحات الغربية الحديثة عن الإسلام بدلاً من المصطلحات الإسلامية الشرعية الأصلية[1].

يقول أحد المبشرين: «إن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون في يوم آخر قادةً في أوطانهم»[2].

وإن أمر المناهج الدراسية، ومنطلقاتها، وأهدافها، وخططها[3] والمقررات الدراسية التي تنشأ عنها، والكتب المدرسية التي تؤلف لتحقيقها في غاية الأهمية، ومع الأسف فإن المسلمين في غفلة عنها، وهم يأخذونها باستسلام عجيب عن الغرب، ويقسمون موادها

---

(١) مثل: الإنسان المعاصر والخطاب الإسلامي وغيرها من المصطلحات.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / ٦١-٦٢.

(٣) أرجو الله عز وجل أن يعينني للتحدث عن ذلك في موضوع مستقل إن شاء الله.

كما رسم الغرب لنا، حتى أصبحت المدرسة طريقاً سهلاً لاستلاب عقولنا، وأخذ أولادنا، وإبعادنا عن ديننا، وصياغة نشء لا يهتم إلا بالماديات، ولديه مثلٌ أعلى يتمثل في حيازة المال، أو المنصب، وله الفخر والشرف بأن يتقن التكلم بالإنجليزية أو الفرنسية، ولو لم يكن يحسن قراءة سطر واحد بلغته العربية قراءة صحيحة أو تلاوة آية من كتاب الله ولا يستطيع أن يفكر بجد ومسؤولية، ويتحمل أعباء عمله بأمانة، أو يحوز على مهارة حقيقية في اختصاصه ودراسته مردداً أكاذيب وشعوذات غريبة، ومدعياً بأن الإنجليزية هي لغة العلم، وأن تعلمها يدل على التقدم، وهذا أمر في غاية العجب حين يصل أمر الانبهار بالغرب من ناحية، وانعدام الثقة بالذات، أو الشخصية الإسلامية. والعربية إلى هذا الحد، وأن يصدق متعلم بأن مقدوره فهم المعارف والثقافات والعلوم بلغات أخرى أكثر من فهمها بلغته، وكأن الإنسان من ناحية أخرى، لا يستطيع فهم الحقائق، وحيازة العلم إلا من لغة أجنبية !! غير مدرك بأن العلم لا علاقة له بهذا الأمر، لأن الإنسان ـ أي إنسان ـ يستطيع فهم الأمور وإدراك الحقائق والعلوم عن طريق لغته بشكل أوسع وأعمق وأدق. ولو كان أصحاب هذه الآراء صادقين ومخلصين لأوطانهم، لاجتهدوا في نقل العلوم والمعارف النافعة وترجمتها إلى لغاتهم لتصبح في يد الناس كافة، وهذا هو الأمر الصحيح. والأسهل والممكن، بدلاً من محاولة نقل شعوبهم إلى تلك الدول ليتحدثوا بلغاتها ويأخذوا عاداتها ليضيعوا دون حصولهم على شيء.

يقول الرافعي ـ رحمه الله ـ عن اللغة، كلاماً عميقاً وجميلاً: «اللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجوداً متميزاً قائماً بخصائصه» ثم يقول: «لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته [1]، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من

---

(١) ولهذا حرص أتاتورك في تركيا على تغيير الحرف العربي، وإحلال اللاتيني، لقطع الصلة بين الأتراك وكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله، والتراث الإسلامي، ولم يكن بمقدوره بناء دولة علمانية، والقضاء على الخلافة والحكم الإسلامي إلا بهذه الطريقة، إضافة لما عمله في تركيا.

وكذلك فعلت فرنسا بالجزائر خاصة، والمغرب العربي ـ عامة ـ حينما جعلت الفرنسية لغة الناس، وحرّمت العربية لإبعاد أهل البلاد عن دينهم وأوطانهم. =

نسب لغته انقطع من نسب ماضيه . . . وما ذلّت لغة شعب إلا ذلّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبسُ لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع . . . »(1) وهذه حقيقة يعرفها أكثر المهتمين بهذا الأمر.

وكتب الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته عن قصة للراوية الفرنسي (الفونس دوده) في قصة عنوانها (الدرس الأخير). وفيها يذكر كيف أن الأستاذ يقول لطلابه في الدرس الأخير قبل اجتياح ألمانيا لفرنسا قائلاً: «أولادي، هذه آخر ساعة أراكم فيها، ثم نفترق إلى غير تلاق، لأن بلادكم قد احتلها الألمان، واستبدلوا لغتهم الجرمانية بلغتكم الفرنسية، فلا فرنسية بعد اليوم، وخنقته العبرات، فما استطاع أن يتم كلامه، فعلمت لِمَ كان الناس يسارعون إلى دار الحاكم، فوا أسفاه عليك يا لغتي الفرنسية، يا لغة أمي. . . » ثم تابع الأستاذ بقوله لطلابه: «ولكن اعلموا يا أولادي، أنكم أضعتم بلادكم وسلّمتموها إلى عدوكم بإهمالكم لغتكم. . . »(2) .

هذا الاستطرد، استدعاه موضوع اللغة الذي أصبح نوعاً من المرض الشائع في أكثر البلدان الإسلامية، ووصلت عدواه إلى كثيرين من حملة الدعوة الإسلامية.

مع أن صياغة الشخصية الإنسانية، بعقيدتها، وعاداتها وسلوكها، ومفاهيمها، وتزويدها بالأفكار، والخبرات، والثقافة؛ له علاقة باللغة، وهو أمر خاص بكل أمة، ينبع من معتقدها، وقيمها، وحاجاتها، ولا يمكن ـ أبداً ـ استعارته من غيرها، وإهمال الناس للغتهم يؤدي إلى الاستهانة بالخضوع والتبعية للآخرين.

= وفي المقابل سعى اليهود على إحياء لغتهم العبرانية كلغة رسمية في دولتهم المغتصبة، ولغة علم وأدب مع أنهم من بلدان ولغات شتى في العالم، بينما يقوم دعاة التطور في البلدان الإسلامية بمحاربة اللغة العربية والدعوة إلى اللغات الأجنبية، فيا للعجب!!

(1) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان، ط٨ ٣/ ٣٥ـ٣٧.

(2) ذكريات ٢/ ١٨.

٤ـ الاهتمام بالمرأة:

لا يمكن إفساد أي مجتمع دون البدء بإفساد المرأة، والرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يقول في ذلك: «اتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»(١).

وقال أيضاً: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»(٢).

وهذا الأمر واضح للعيان على مدار التاريخ، وفي واقع المجتمعات الإنسانية فاليهود اتخذوا المرأة، والمال، والإعلام وسائل للسيطرة على الشعوب وتحقيق مآربهم.

ومن الحقائق، أن الغربيين ما دخلوا بلداً إسلامياً إلا بدؤوا بدعوة النساء للخروج والتحرر، باسم التقدم والعلم والحرية، ومن العجب أنهم يفعلون هذا قبل تأمين الحاجات الضرورية لأفراد الشعب.

لقد استغل أعداء الإسلام جهل المسلمين بدينهم ـ من ناحية ـ وتأخر أحوالهم المعيشية، والعلمية، والصحية. فراحوا يبثون أفكارهم الخبيثة، ويدعون إلى خروج المرأة من بيتها أولاً، وسفورها وتبرجها واختلاطها بالرجال، ومنافستهم في أعمالهم، وتصنع المغريات التي تثير الغرائز وتفسد الأخلاق، وتقيم العلاقات الآثمة.

وفعلت الصحافة فعلها، وأصبح هناك جيش لجب من المجلات والصحف التي تخاطب المرأة، وتعلمها كيف تبرز مفاتنها، وتغير من ملامح وجهها، وشكل جسمها لتبدو رشيقة جميلة مثيرة، وأصبحت هناك سوق كبيرة لاستهلاك أدوات الزينة والتجميل والإغراء والثياب التي تبرز بعض جوانب الجسد بطريقة مغرية.

بل راحت الأقلام الخبيثة تلبس هذه الدعوات ثياب العلم والمجتمع والتطور، تدعو إلى رفع ولاية الرجل على المرأة، وإطلاق العنان للنساء لكي يتصرفن بالطريقة التي تحلو لهن.

ورويداً رويداً بدأ الأساس الاجتماعي، أساس الترابط والبناء، والتماسك والنماء

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي.

يتفكك، أو ينهار، وأقصد به الأسرة التي هي رباط المجتمع وأساسه.

باسم العلم جعلوا المرأة تتخلى عن حشمتها، وحجابها، وتدخل في حلبة المغريات والاستعراضات، وإبراز المفاتن، والاختلاط.

وباسم التعلم، أخرجوها من البيت، ودعوها لمزاحمة الرجال في أعمالهم، وترك أعز ما لديها من عفة، وحياء، والتعرض لأمور لا تتناسب مع طبيعتها وكانت دعاوى الذين يسعون لإفساد المرأة وإخراجها عن فطرتها قائمة على أسس غير صحيحة، مثل تحقيق مساواة المرأة بالرجل، وإعطائها حقوقها، ورفع المظالم عنها، والاستفادة من طاقاتها المعطلة، لأنها تمثل نصف المجتمع، وينبغي ألا يتعطل هذا النصف.

وأصبحت الأسرة في مهب الريح، ونشأ عن ذلك مشكلات كثيرة ففضلاً عن المخالفات الشرعية، والخروج عن سياج الأحكام والآداب الإسلامية. فهناك نتائج مادية ومعنوية كثيرة منها:

١ ـ ضعف رابطة الأسرة، أو تفككها، وانعدام روح التآلف الحقيقي والمودة الصحيحة، والثقة المتبادلة بين الزوجين، وبين الأولاد والوالدين، وبين الأولاد بعضهم بعضاً، وفقدان معنى الأسرة الحقيقي.

٢ ـ ظهور أخلاق غير حميدة ولا سوية، وبروز بعض التصرفات الشاذة، والأفكار الغريبة عند الأولاد نتيجة انعدام التربية الواعية، والمتابعة الصحيحة من قبل الوالدين، وتأثير الخدم والمربيات الأجنبيات والسائقين والمجتمع.

٣ ـ ظهور بعض المفاسد، والأعمال السيئة من بعض أفراد الأسرة نتيجة للاختلاط غير الشرعي، وغياب الأم عن رعاية الأسرة، والعناية بالبيت، والقيام بواجبها تجاه الزوج والأولاد.

٤ ـ تضاعف النفقات الاستهلاكية الزائدة واضطراب اقتصاد الأسرة، وزيادة الإنفاق نتيجة لمطالب المرأة واحتياجاتها الجديدة التي تناسب وضعها، ومكانتها في المجتمع، واختلاطها بالأخريات، وشعورها بأنها منتجة ولها حرية التصرف بما تملك، مما يؤدي إلى انعدام الرقابة والانضباط، والتعاون والتكافل داخل الأسرة.

٥ـ دخول عناصر غريبة عن الأسرة، والمجتمع، بأخلاقها وتربيتها، وتأثيرها السلبي على القيم والعادات الاجتماعية وعلى نشأة الأولاد بشكل خاص.

٦ـ زيادة الهدر المادي من اقتصاديات المجتمع، أو الدولة، نتيجة دخول عدد كبير من الذين يعملون داخل البيوت والأسر كخادمات، أو سائقين أو مربيات، مع زيادة الاستيراد للمواد الاستهلاكية، وأدوات الزينة والأزياء.

٧ـ ضعف اللغة وتفشي العجمة، واللكنة الأجنبية عند الأطفال الصغار، وبالتالي ضعف الوازع الديني، والتربية الإسلامية.

وبالاختصار فإن فهم المرأة المسلمة لما يقال حول المرأة، وما يراد لها، والتنبه إلى الأخطار المحدقة بالأسرة المسلمة، والمجتمعات الإسلامية أمر مهم. وإن ذلك عسير، وعسير جداً حتى على المرأة المسلمة التي ندبت نفسها لخدمة دينها، لأن الحقيقة في هذا المجال أصبحت تحت ركام ثقيل من الافتراءات والانحرافات والتشويهات التي اختلطت بقضية التعليم، والتربية، ونمو المجتمعات، وحقوق المرأة، وأمور كثيرة نجحت أبواق يهود، وإعلامهم الهائل في إثارته، حتى بات عسيراً على المرء أن يدرك الحقيقة، لو لا أن الله عز وجل، أنزل كتابه العزيز، وجعله دستوراً باقياً محفوظاً من كل تغيير أو تبديل أو تحريف، وترك لنا سنة نبيه ـ ﷺ ـ وسيرته العملية ليكونا لنا مناراً ودستوراً وأساساً لكل شؤوننا. وعلى ذلك فإن تكاثر الضباب وانعدام الرؤية عند الآخرين، لا يشمل المسلمين لأن لديهم بحمد الله، نور من الله مبين، لمن أراد أن يذكّر ويستبين. والمرأة المسلمة بحاجة إلى فهم ذلك، ومعرفة ما يدور حول المرأة في العالم، وما يراد بالمجتمعات والشعوب ـ ولا سيما الإسلامية منها ـ عن طريق إفسادها، وإخراجها عن فطرتها، وعفتها، ومهمتها، وزجّها في دروب الاختلاط، والتبرج، والمظاهر الفاسدة.

ومن الملاحظ أن أعداء الإسلام نشطوا في السنوات الأخيرة من أجل الزج بالمرأة المسلمة في حمأة الحياة العصرية، بكل آثامها وجرائرها، وراحت الدول الغربية تقيم المؤتمرات، وتدعو الحكومات والمنظمات تحت شعارات براقة، كتنظيم الأسرة، أو غير ذلك لجر المرأة إلى الفتنة، وإقحامها في أتون الحياة المتبذلة، الخارجة على كل شرع وكل خلق.

وهم ـ لخبثهم ـ يغلّفون دعاواهم بحقوق الإنسان، ويصمون الشعوب والحكومات التي ترفض الاستجابة لهذه الدعوات المفسدة، بأنها ضد حقوق الإنسان، والمحزن أن كثيراً من دول العالم الإسلامي راحت تستجيب لهذه الدعوات، وتطبق البرامج والخطط التي تخرج بها هذه المؤتمرات للقضاء على عفة المرأة، وتماسك الأسرة، للهيمنة على المجتمعات المختلفة عن هذا الطريق.

هـ. تأثير وسائل الإعلام:

كثير من الناس يطلق على هذا العصر، عصر الاتصالات، وذلك للنقلة التي وصل إليها هذا العلم، ودخوله إلى بيوت الناس، ونقله الصوت والصورة، وكل ما يريده الإعلام إلى جميع أنحاء الدنيا [1]. واستطاع الغرب (أمريكا والدول الأوربية) الهيمنة على وسائل الاتصال، وتسخيره لأغراضها. بل إن (يهود) المشتتين في العالم، هم الذين يسيطرون على الإعلام، ويكفي أن يكونوا وراء أي أمر لنعلم كيف سيكون!! [2].

ونستشهد على ذلك بما ورد في كتاب (النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة) (٣).

«خلال الحقبة الزمنية الممتدة بين سنتي ١٧٢٨م و١٩٠٤م أصدر اليهود حوالي (٩٧٥) مطبوعة، ما بين صحيفة، ومجلة، ونشرة يومية، ونصف أسبوعية... وتوزعت هذه المطبوعات على (١٧) لغة، كانت تصدر في (٢٥) بلداً منها حوالي (٥٧٩) مطبوعة في بلدان أوربا الغربية والشرقية، و(٢٩٨) مطبوعة في أمريكا الشمالية، و(٣) مطبوعات في أمريكا الجنوبية، و(٦٩) مطبوعة في آسيا، و(٢٥) مطبوعة في مصر وشمالي أفريقيا، و(١١) مطبوعة في استراليا..»

«وحسب إحصاءات أجريت، في النصف الثاني من القرن العشرين، يتبين أن أموال اليهود تملك تسعين بالمائة من صناعة السينما والتمثيل وصالات الترفيه، وخمساً وسبعين

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١/ ٣٧.

(٢) انظر إلى كتاب (اليهود في القرآن والسنة) للدكتور محمد أديب الصالح. نشر دار الهدى، الرياض. وكتاب (الشخصية الإسرائيلية) للدكتور حسن ظاظا ـ نشر دار القلم ـ دمشق.

(٣) من تأليف غازي محمد فريج ـ نشر دار النفائس.

بالمائة من مؤسسات الطباعة والنشر والدعاية ، ومائة بالمائة من المؤسسات الصحافية ، كما أن ثمانية وثمانين بالمائة من نجوم السينما والتلفزيون هم من اليهود» .

«ويمارس اليهود سيطرتهم على الصحافة من خلال طريقتين : الأولى شراء أو إنشاء الصحف والمجلات ووكالات الأنباء .

والثانية : التغلغل في الصحف والمجلات الكبرى ، واحتلال مراكز قيادية فيها . . .

وتمتلك عائلات يهودية صحيفتي «نيويورك تايمز» و«الواشنطن بوست» الواسعتي الانتشار في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم ، وهما اثنتان من أربع صحف كبرى في أمريكا تؤثر تأثيراً كبيراً في مجالات السياسة الأمريكية . والاثنتان الأخريان هما : «نيويورك بوست» و«وول ستريت جورنال» ومدراء التحرير في هذه الصحف جميعاً هم من اليهود . وكذلك هناك عدد من المجلات الثقافية ذات التأثير الكبير يتولى إدارة تحريرها يهود . . .

وهناك حوالي (٢١٨) مجلة فصلية يهودية ، تتلقى مساعدات مالية من مصادر صهيونية . .

هذا فضلاً عن دور النشر التي يسيطر اليهود على عدد كبير منها . . .» .

وأما في مجال الإذاعة والتلفزيون «فيمتلك اليهود الشبكات الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية وهي : شركة الإذاعة الوطنية (N.B.C) وشبكة كولومبيا الإذاعية (C.B.S) وشركة الإذاعة الأميركية (A.B.C) . كما يسيطر اليهود على مؤسستين وطنيتين من أصل ثلاث مؤسسات تقوم بإجراء استفتاءات الرأي العام» .

وينطبق هذا على السينما أيضاً ، فهم يمتلكون كبريات شركات السينما العالمية ، ولهم نفوذ على بقية الشركات والمنتجين والممثلين . «وصناعة السينما في أمريكا هي يهودية بأكملها ، ويتحكمون فيها دون منازعة من أحد ، ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم ، وجميع العاملين فيها هم إما من اليهود أو من صنائعهم ، وإن هوليود تعتبر اليوم (سدوم) العصر الحديث ، حيث تنحر الفضيلة وتنشر الرذيلة . وتنهب الأموال . .» [1] .

---

(١) انظر كتاب (النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة) . الفصل الثامن (السيطرة على وسائل الإعلام والتضليل الإعلامي) من ص٢٧١ إلى ٣٠٦ .

وهذه النتيجة لم تأت عفو الخاطر، بل كانت نتيجة تخطيط وعمل مدروس على مدى أكثر من قرن، فلقد كان زعماؤهم (حكماؤهم) يخططون لهذا من أجل الوصول إلى حكم العالم، وراحت أشتاتهم المفسدة، ومجموعاتهم المنتشرة في بلدان العالم يعملون متكاتفين لتحقيق مخططاتهم، وهذه شواهد واقعية على ذلك.

هـ. ١ـ البروتوكولات والإعلام:

وها نحن نورد بعض ما ورد في هذه المخططات التي ضمتها بروتوكولات حكماء صهيون، التي ترجمت إلى العربية عدة ترجمات.

قالوا في هذه المخططات الخبيثة عن الصحافة ما يلي:

«الصحافة: ما عملها في الوقت الحاضر؟ الجواب واضح. إن عملها إضرام نيران الأهواء السيئة، وخدمة أنانية الأحزاب وليس غير، وكل ذلك عائد علينا بالنفع الذي تخلو منه، يضاف إلى هذا أنها جائرة وكذوب، وأكثر الناس لا يدركون حقيقة مهامها..» (١).

وجاء في موطن آخر: «ولا مراء أن الأدب والصحافة أعظم قوى التثقيف، وهذا ما يحمل حكومتنا على امتلاك أكثر الدوريات، ليكون في وسعنا إبطال التأثير السيء الذي تحدثه كل صحيفة فردية مستقلة، كما تكون لنا السيادة الشاملة على الرأي العام، وإذا سمحنا للقويم ـ أي غير اليهودي ـ بإصدار عشر صحف، أصدرنا نحن ثلاثين صحيفة، وكذلك تكون النسبة في كل مجال» (٢).

ثم قسموا الصحافة إلى أنواع، ووصفوا هذه الأنواع بما يلي:

«وتأتي في الصف الأول الصحافة الرسمية، ومهمتها السهر على مصالحنا، وبهذا تفقد في الرأي العام بعض نفوذها... وأما صحافة الصف الثالث، فهي الصحافة التي تعارضنا في الظاهر، وتتخذ أسلوب النقد الجارح الذي لا تخلو منه صحيفة، وتتخصص صحيفة منها على الأقل في حمل راية منابذتنا ومهاجمتنا، فيثق أعداؤنا الحقيقيون في هذه

---

(١) (مؤامرة الصهيونية على العالم) ـ عبد الغفور عطار ص٢٤٦.

(٢) المرجع السابق / ٢٤٩.

الصحافة التي تعبر عما في سرائرهم، ويبدون ما كانوا يبطنون من آراء، فيُعرَفون لدينا عندما يكشفون أوراقهم...

وتكون لنا صحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادئ...

وستكون هذه الصحف مثل (فشنو) الإله الهندي الموصوف بأن له مئة يد، وكل يد من أيدي الصحف يجسُّ نبض الرأي العام، فإذا اشتد النبض فإن اليد الجاسة التي ترشد إلى الرأي الذي نَبْضَهُ، فنجتذبه إلينا ونعالجه بما نرى»[1].

إن الشواهد التي قدمت في هذه الفقرة تدل بوضوح على أن اليهود يحرصون كل الحرص على امتلاك كل وسائل الإعلام، والسيطرة عليها، واليهود رأس الفساد والحقد في العالم، لا نقول عنهم ذلك ادعاءً أو كراهية، ولكننا نذكر بعض ما ورد عنهم في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ فهم المغضوب عليهم، وهم المفسدون في الأرض، وهم قتلة الأنبياء، الذين ينقضون العهد والميثاق، الحاقدون الحاسدون لشعوب الأرض المتآمرون عليهم[2].

هـ. ٢. خطط السيطرة على وسائل الإعلام:

وإن سيطرتهم على وسائل الإعلام لم تأت عبثاً، بل كانت لسوق العالم في دروبهم الضالة. واستغلال الشعوب لمطامعهم ومخططاتهم، واستخدام المرأة لتحقيق شرورهم.

لقد جاء في إحدى نشرات جمعية (القبالا) اليهودية، التي تخاطب اليهود ما يلي:

«وأخيراً، يا أبناء إسرائيل، اسعدوا واستبشروا خيراً، لقد اقتربت الساعة التي سنحشر فيها هذه الكتل الحيوانية في اصطبلاتها، وسنخضعها لإرادتنا، ونسخرها لخدمتنا..»[3].

---

(١) المرجع السابق / ٢٤٩ـ ٢٥٠ وهذا الكتاب ترجمة لبروتوكولات حكماء صهيون. وانظر كتاب البروتوكولات للتونسي ص١٤٤ـ١٤٥ وانظر إلى هذا المخطط والمكر الذي ضمن لهم السيطرة والتأثير.

(٢) انظر كتاب (يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ) للشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري ـ وكتاب (الشخصية الإسرائيلية) للدكتور حسن ظاظا، وكتاب (اليهود في القرآن والسنة) (١-٤) للدكتور محمد أديب الصالح.

(٣) مؤامرة الصهيونية على العالم / ٨٧.

وإن الحكم على يهود ليس حكم الناس الذين ذاقوا الويلات على أيديهم، بل من رب العالمين، خالق الخلق، الحكيم العليم. فهو سبحانه وتعالى، أمرنا أن نردد في كل ركعة من صلواتنا ــ إن كنا مؤمنين طائعين عابدين ــ نردد هذه الآيات: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمين، يا رب العالمين.

فهل يُقبل من مسلم ـ ذكراً أو أنثى ـ أن يرى في الصراط الذي يدعو إليه هؤلاء المغضوب عليهم، طريقاً للصلاح، أو النجاح؟! وهل يمكن للذين وصفهم الله بالضلال أن يكونوا مصلحين؟ إنه الضلال المبين، والمجاهرة بالمعصية لله ـ عز وجل ـ عندما يتناطح بعض الناس، ويدعون أن الدعوات التي يسوقها هؤلاء دعوات علم، أو تقدم، أو خير[1].

اليهود آلوا على أنفسهم إفساد البشرية، والسيطرة على مقدرات الشعوب والأمم ـ ولا سيما المسلمون ـ واستخدموا كل الوسائل لأغراضهم، وكان للإعلام دور كبير، وكانت المرأة موضع اهتمامهم.

يقول أحد زعمائهم: «يجب أن ننشر في كل الأمم الخمور والمخدرات، وفساد الخلق، وكل صنوف الرذائل لإفساد الأجيال الصاعدة... وأن ندرِّب هؤلاء العملاء

---

(١) ورد في تفسير الطبري حول الآية ﴿غير المغضوب عليهم﴾ ما يلي قال: «فإن قال لنا قائل فمن هم المغضوب عليهم، الذين أمرنا الله ـ جل ثناؤه ـ بمسألته أن لا يجعلنا منهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله ـ جل ثناؤه ـ في تنزيله، فقال: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبةً عند الله، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٦٠] فأعلمنا ـ جل ذكره ـ بمنّه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه، ثم علّمنا منه، منّة علينا وجه السبيل إلى النجاة، من أجل أن يحل بنا مثل الذي حلّ بهم من المثلات، ورأفة منه بنا.

فإن قال: وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله على ما وصفت؟

قيل: حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «المغضوب عليهم، اليهود» الطبري ١/ ٦١. وساق عدداً من الروايات في ذلك، وكلها تؤكد أن المغضوب عليهم هم اليهود. فهل بعد هذا البيان من مبرر للذين يصغون لليهود في ما يعملون ويقولون، أو للركون إليهم، ومتابعتهم، أو ودّهم وقربهم؟!

لشغل الوظائف المختلفة في المجتمع، فيكون منهم الأساتذة والكتاب والمربون والمربيات، وأن ننتقي نساء يعملن في أماكن اللهو والفجور التي يرتادها القويم ـ أي غير اليهود ـ وأضيف إلى هذه الفئة من نساء المتعة بعض سيدات المجتمع اللواتي سيتطوعن من تلقاء أنفسهن لمنافسة الأخريات في ميادين الفساد والترف على أنه يجب ألا نقف عند أي حدٍّ في ميادين الرشوة والفساد والفضائح والخيانة، ويجب أن نستغل كل شيء في سبيل الوصول إلى الهدف النهائي»[1] .

ولتحقيق أهدافهم، راحوا يتغلغلون في المجتمعات عن طريق المال والجنس والخمر والإغراءات المتنوعة، وسيطروا على كبريات الصحف والمجلات، ووكالات الأنباء، والإذاعات، والتلفازات. حتى أصبحت الأخبار، والمعلومات والآراء والدعايات تخضع لإرادتهم ومخططاتهم. وكان للمرأة دور واهتمام في هذه المخططات. لذلك نشروا الدعوات الكثيرة لإثارة النساء على الرجال ودفعهن للخروج من البيت إلى المعامل، والوظائف، والاختلاط بالرجال.

واستخدموا المرأة في شتى المجالات لزعزعة استقرار المجتمعات، وتحطيم بنية الأسرة باسم الشعارات البراقة التي انحطّت بالمرأة إلى درجة السلعة التي تباع وتشرى بطرق شيطانية.

فالمرأة عندهم وسيلة للإفساد، والسيطرة على مقدرات الغير، وتنفيذ المؤامرات، والقيام بالعمليات الإرهابية، وخداع الناس لشراء السلع المختلفة... إلخ.

والمحزن في ذلك أن الشياطين الذين سخّروا المرأة لهذا كله رفعوا شعارات الحرية، والمساواة، والإنسانية، والدفاع عن حقوق المرأة، وانخدع بذلك الكثيرون.

وكان لوسائل الإعلام تأثير كبير ودور مهم في هذا السبيل. ولهذا نرى أن المرأة ـ بصورها المختلفة ـ تسيطر على وسائل الإعلام. لا لتثبيت القيم، وتربية المجتمع على الخير، ورفع قيمة الأمة ودفعها نحو التقدم والعلم، وإنما للإفساد والإغراء والخداع. فلا غرابة أن نرى عشرات المجلات الخاصة بالمرأة مقابل القليل من المجلات الثقافية أو الأدبية،

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم / ١١٢-١١٣.

كما نرى الشكل والمظهر شرط أساس في اختيار مقدمات البرامج .

وفي دراسة للصحافة النسائية العربية(1) ، تبين أن هذه الصحافة تهتم بعرض الأزياء الأوربية الغربية ، والترغيب بها على أنها سمة من سمات المجتمعات الراقية الحديثة .

والاهتمام بتقديم الشخصيات الفنية والسياسية . . . (2) مع إبراز نجاح العاملات في مهد الرجال (3)، لدفعهن إلى مثل هذه الأعمال والاختلاط بالرجال .

وكثير من هذه المجلات ـ إن لم تكن كلها ـ تدعو إلى تغريب المرأة المسلمة ، وتحثها على تطبيق كل ما هو غربي أجنبي (4) .

وتخصص المجلات النسائية تحقيقاً للغرض الذي أنشئت من أجله أبواباً للفن وأهله وبأشكال مختلفة كالحوار والمقابلة والحديث (5) .

وعند رصد الأفكار التي تتردد في هذه المجلات نرى أن أفكار التبرج والاختلاط تحتل المركز الأول في تكرار الأفكار الفرعية (6) ثم تأتي أفكار الرقص والغناء ، ثم العلاقة بين الجنسين . . .

والآراء التي يستشهد فيها لإقناع القارئات ، يأتي في طليعتها آراء أهل الفن ، وخبراء الأزياء والتجميل ، وأمثالها ، قبل القرآن الكريم ، أو السنة النبوية ، أو أراء العلماء والمفكرين(7) وكذلك تتكرر شخصيات أهل الفن ، والنساء المتبرجات القائدات في طليعة من تتكرر أسماؤهن وصورهن في هذه المجلات(8) .

وتحتل إعلانات الأزياء والعطور والحلي ومستحضرات التجميل والساعات النسائية ،

---

(1) الصحافة النسائية العربية ـ رسالة دكتوراه . للدكتور أسامة محمد علي مشعل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (مخطوط) .
(2) المرجع السابق / ٢٣٣ .
(3) المرجع السابق / ٢٦٣ .
(4) المرجع السابق / ٢٧١ .
(5) المرجع السابق / ٢٨١ .
(6) المرجع السابق / ٢٦٥و٢٦٩ .
(7) المرجع السابق / ٣٧٩ .
(8) المرجع السابق / ٤٠٥ .

النسبة الكبيرة من جميع الإعلانات ٣, ٥٤٪ [1] .

هـذه الحقـائق لبعـض المجـلات النسـائية ، فكيـف بالأقنيـة التلفزيونيـة والأغـاني ، والمسرحيات ، والأفلام؟

إن الإعلام في هذا القرن وجّه اهتماماً كبيراً للمرأة ، واتخذ صوراً مختلفة ، ولبس أردية العلم ، والثقافة ، والحرية ، والمساواة واستطاع أن يزلزل كثيراً من المجتمعات ، ويهدد كياناتها ، ويفتت الوحدات الأساسية المكونة لها وهي الأسرة .

وفي عالمنا الإسلامي ، قامت الدعوات الكثيرة في وسائل الإعلام لجرّ المرأة إلى هذا الحريق ، ونجحت في كثير من المواقع ، وفشلت في أخرى ، واختلطت الحقائق بالأكاذيب ، وتحرَّفت الفضائل ، وامتزجت بالرذائل ، وأصبحت القيم موضع شك ، حتى أصبحنا بحاجة إلى غربلة كل شيء ، والحذر من كل الثقافات والأفكار ، ووسائل التعليم والتربية .

والمرأة بحاجة إلى وعي هذه الحقائق ، وإلى وعي ما أريد لها ، وما وصلت إليه في الحقيقة ، باسم المساواة والحرية [2] .

إن الواقع الذي تعيشه المرأة في هذا العصر واقع مخيف ، لأنها تخضع لحملة إعلامية طاغية لسلخها عن فطرتها ، ودينها وخلقها وحيائها باسم التعليم ، والتحرر ، والمساواة . . .

والغريب أن المرأة تنساق بطواعية لهذه الافتراءات ، وتخضع لتأثيراتها المختلفة بشكل مباشر أو غير مباشر ، وتتجاوب ـ بتفاوت ـ لكثير من الآراء والأفكار التي يقصد منها استغلال المرأة في إفساد الأجيال ، والخروج على التعاليم الإسلامية ، والغريب ـ أيضاً ـ أن المرأة لا تتوقف عند الصور التي تنشر ، أو تعلن على شاشات التلفاز ، وكلها تعرض مفاتن المرأة لترويج السلع ، أو جلب الانتباه إلى المُعلن عنه ، وكان حرياً بها أن تتساءل عن صورة المرأة العاقلة الفاضلة ، المربية العالمة ، لماذا لاتعرض؟ وهل الحرية ، والتقدم ،

---

(١) المرجع السابق / ٥٦٨ .

(٢) انظر كتاب (واقعنا المعاصر) / ٢٥٠ وما بعدها .

والتعليم مقترن بالعريّ والتبرج، والإغراء؟

إن الواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة واقع مأساوي غريب، والشياطين من اليهود وأتباعهم يستغلون طبيعة المرأة وحبها للظهور، ويستخدمون بعض الصور والممارسات الخاطئة في العالم الإسلامي لتبرير دعواتهم، وتحريض المرأة على الشذوذ والثورة على الأخلاق، ويقرنون ـ بخبث ـ بين الصور المشوهة، والأوضاع السيئة في المجتمعات الإسلامية، والإسلام. أليس عجيباً أن ينخدع المسلمون كل هذا الانخداع، حيث إن اليهود والغرب يحاربون الإسلام، ويقصونه من حياة الناس، ويدفعُون المجتمعات الإسلامية الشاردة إلى الابتعاد عن الدين، ورفض الاحتكام لشريعة الله، ووصم الدعاة إلى الله بكل الصفات السيئة، كالتأخر والجمود، والجهل، ثم التطرف والإرهاب، ويصدّق المخدوعون من المسؤولين والشعوب بهذه الافتراءات. ومع أن هؤلاء يثنون على الأوضاع، والحكومات التي أعلنت الحرب على الدين، ورفعت شعار العلمانية، بصوره المختلفة، مع كل هذا فإن أي صورة سيئة، أو تصرف غريب، أو وضع شاذ في هذه المجتمعات يلصق بالإسلام، حتى ولو كانت صادرة من أكثر الناس عداءً للإسلام، وتطرفاً في محاربته، واستكانة إلى الفلسفات الغربية، فإذا أحسنوا، حُسبت هذه الحسنات من ثمار العلمانية والحداثة والديمقراطية، والفكر الغربي، وإن أساؤوا كانت السيئة من ثمار الدين والرجعية الإسلامية.

إن عرضنا لهذه الصور والحقائق من واقع عصرنا أمام المرأة هدفه شحذ وعيها لإعادة النظر فيما ترى وتسمع وتقرأ، وللتفكير ملياً في صور هذا الواقع ومايقبع خلفها، وللتنبه إلى الدعوات التي تثار باسم التعليم، والاستفادة من طاقات المرأة، وعدم تعطيل نصف المجتمع، و.... و....

بل إن عرض هذه الصور مهم لإدراك الخطر الأكيد الذي يهدد الأسرة، يهدد أسس الزوجية الكريمة النظيفة، وأجوائها الحانية الودودة الرحيمة. ثم يهدد الأطفال الذين تنصب على رؤوسهم صواعق مدمرة، لتفسد فطرهم البريئة، وتحرفهم عن الاستقامة، وتملأ عقولهم وأبصارهم وأسماعهم بكل منكر، بعيد عن الأخلاق، عن طريق المجلات

الكثيرة ـ والأفلام، والبرامج المتعددة للحاسب الآلي، وغير ذلك من الأساليب.

المرأة، حين تفقد بصيرتها، وتصغي للدعوات المنحرفة، تهدم البيت، وتجر الأسرة إلى الانحراف والفساد، والمجتمع إلى الانهيار.

فمسؤوليتها مضاعفة، ووعيها لما يبثه الإعلام بوسائله المختلفة أمر في غاية الأهمية والضرورة، لأن ذلك يشملها، وهي ركن الأسرة، بل ركن المجتمع، ويشمل الأسرة كلها، ومن ورائها المجتمع كله.

وهي إن لم تستطع مجابهة كل هذه الأخطار، والوقوف أمامها بصلابة، فإنها تستطيع تجنب الكثير منها، والحذر من مخاطرها، وعدم المخاطرة بنفسها وبأسرتها في تجارب لاتملك الوعي أو السلاح لمجابهة ما يواجهها من أخطار.

وبإمكانها أن تضع لنفسها ميزاناً يتوافق مع الوقاية والتحصين، فهي لا تقبل أمراً ولا تخوض تجربة إلا بعد اليقين بأنها نافعة ومفيدة ولا ضرر منها. ولا تقبل أن تجازف بأمر لاتدري نهايته، ولا تعرف تفصيلاته. وفي الوقت ذاته تحرص على زيادة المعرفة والوعي، معرفة أحكام دينها، ومعرفة ما يدور حولها، لكي لا تغرق في هذا العجيج الخطير.

الفصل الثالث

المرأة الداعيـة والأسـرة

٣-أهمية بناء الأسرة على المسؤولية والمودة.

لا مراء بأن الأسرة أساس المجتمع، فإذا كانت بنية الأسرة سليمة قوية، مستقيمة في أخلاقها وسلوكها، متمسكة بدينها، أصبح المجتمع قوياً سليماً مستقيماً. فكل ما يسود الأسرة من صفات ومزايا، وقيم وسلوك، ينعكس على المجتمع أيضاً، فصلاحه من صلاحها، وفساده من فسادها.

والأسرة ركناها الزوجان، ولذلك جاءت النصوص الشرعية لتحدد واجبات الزوجين، وتحدد طبيعة العلاقة الصحيحة بينهما، ومنهج الحياة السليمة التي ينبغي اتباعه.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

إن الله - عز وجل - جعل من الآيات الدالة على عظمته وكمال قدرته خلق المرأة من نفس الرجل، من ضلعه الأقصر الأيسر، وجعلها سكينة للرجل وطمأنينة، وجعل بين الزوجين - مهما كان تباعدهما من قبل - المودة، والمحبة، والتعاطف، والرحمة والرأفة[٢] فربط ذلك بين قلبيهما، وجعلهما إلفين متحابين، فالمرأة من جنس الرجل. من بني آدم - وهذا من رحمة الله - لكي تميل نفس الرجل إليها، كما تميل نفس المرأة إلى الرجل، لأن المجانسة من دواعي النظام والتعارف، كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر، ونشأ من ذلك - بفضل من الله - المودة والرحمة من غير أن يكون بينهما معرفة سابقة، ولذلك قيل: المودة والرحمة من الله تعالى، والفرك - وهو بغض أحد الزوجين الآخر - من الشيطان.

---

(١) سورة الروم (٢١).

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٩ ط مكتبة دار الفيحاء.

ومن المودة ينشأ الزواج والنكاح، ومن الرحمة يرزق الزوجان بالولد[1] وفي هذا آيات عظيمة للإنسانية، آيات لقوم يتفكرون ويدركون ويعلمون أنه الإله الذي لا يعجزه شيء أراده ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه[2] ويعلق صاحب الظلال على هذه الآية فيقول: والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأُنْساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء... إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة الطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما، وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد»[3] هذه الحقيقة التي تقررها هذه الآية الكريمة مهمة للمرأة والرجل معاً، لأنها تعني أن نجاح الأسرة في تأدية واجباتها، وصلاح المجتمع كله - فيما بعد - يبدأ من هذه الحقيقة.

والمرأة ركن البيت والأسرة - وركن المجتمع كله. والبيت الذي تنعدم فيه المودة والرحمة، وينعدم فيه الوئام والطمأنينة بيت عاجز عن صنع حياة مطمئنة، أو تربية أولاد أسوياء صالحين، وهو بيت عاجز عن أن يقوم الرجل، أو المرأة بأي عمل في المجتمع بشكل صحيح ومناسب.

ومن هنا تبدأ مسؤولية المرأة، وهي مسؤولية كبيرة ودقيقة ومهمة، تفوق في أهميتها أي مسؤولية أخرى للمرأة في المجتمع، والحياة. والمرأة التي تعجز، أو تفشل، أو تقصِّر،

---

(١) روح المعاني، للألوسي ٢١/ ٣٠-٣١.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢١ والقرطبي ٦/ ٥٠٩٩.

(٣) في ظلال القرآن الكريم ٥/ ٢٧٦٣.

أو تترك القيام بهذه المسؤولية بشكل صحيح لن تستطيع تعويض هذه الخسارة في أي موقع آخر، حتى لو نجحت في علمها أو عملها الاجتماعي، أو خدماتها ونشاطاتها المختلفة، بل إن خسارة هذا الموقع أشبه ما يكون بخسارة الإنسان لأرضه التي يعيش عليها، وخروجه هائماً غريباً في ديار مختلفة، لا يحس فيها بالطمأنينة والأمان والاستقرار، ولا يستطيع أن يحقق ماتتطلبه الحياة من علاقات مختلفة.

ولهذا فإن أول مهمة للمرأة الداعية أن تحقق - في بيتها وأسرتها ومع زوجها - هذا المعنى العميق الشامل، أي أن تبني هذه القاعدة الصلبة لحياتها المقبلة، والظلال الندية، والينبوع الثر الطيب لعملها في الحياة والمجتمع وهو إيجاد «المودة والرحمة».

والمودة لاتعني الجانب العاطفي فقط، وإنما تشمل كل أشكال التعامل والسلوك مع الزوج وبين أفراد الأسرة جميعاً والأماني والآمال التي يرسمها الزوجان للمستقبل، والروح التي تمدّ النشاطات والعلاقات في حياتهما بالحياة، والحيوية والبقاء، وتظلل أفراد الأسرة كلهم بهذه الظلال المهمة.

جاء في معنى كلمة الود ما يلي:

الود: مصدر المودة، والود: الحب، يكون في جميع مداخل الخير - عن ابن زيد - وودِدتُ الشيءَ، أودُّ، وهو من الأمنية... يَوَدُّ: يتمنى.

الودود، في أسماء الله - عز وجل - المحبُّ لعبادِهِ. قال ابن الأثير: الودود في أسماء الله تعالى، فعول بمعنى مفعول، من الود المحبة... والله تعالى مودود: أي محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فَعول بمعنى فاعل، أي يحبُّ عباده الصالحين، بمعنى: يرضى عنهم... والودُّ: الصَّديق.

وفي حديث الحسن: «فإن وافق قولٌ عملاً فآخه وأودِدْهُ» أي أَحْبِبْهُ وصادِقْه[1]. والأنثى ودودٌ، والودود: المحبُّ... وتودَّدَ إليه وتحبَّبَ[2].

فالمودة هنا الحب الذي يجمع بين الزوجين، والخير الذي يربط بينهما، والأماني

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/ ١٦٥.

(٢) لسان العرب ٣/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

والآمال التي تعقد بين حياتهما، والصدق، والصداقة، والتعاون والتراحم الذي ينشأ ويزداد، ويتعمق ويتوطد بين قلبيهما. والمرأة الودود هي المرأة المحبة، الفاعلة في أسرتها المؤثرة فيما حولها، الرابطة بين قلوب أفراد الأسرة، الجامعة لهم على الخير والتعاون والتراحم.

وهذا الشعور هو الأمر الطبيعي الصحيح، لأن المرأة خلقت من نفس الرجل، وبينهما من التشابه والتكامل ما يجعل حياتهما المشتركة صورة سعيدة ناجحة مطمئنة.

والرحمة كذلك صفة لازمة للزوجين معاً، وقاعدة للبيت السعيد[1] والرحمة ليست عملاً تتصنَّعه المرأة للزوج، بل هي صنعة المسلم أو المسلمة في كل حين، هي غريزة ملازمة، كالغدة التي إفرازها حسن المعاشرة، ولين القول، وإخلاص النصحية وحسن التعامل مع الجميع، مع الصغار والكبار، والقريبين والأبعدين، والإنسان والحيوان، ومصداق ذلك ماروي عن المرأة التي كانت كثيرة الصلاة، ولكنها تؤذي جيرانها، فقال عنها رسول الله ﷺ «إنها في النار». وعن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

والآية الكريمة تنتهي بهذا التوكيد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فلماذا لانعطي هذا التوكيد حقه، حتى يستغرق التفكير المطلوب حول هذه الآيات: «أي خلق المرأة من نفس الرجل، وجعل المودة والرحمة بين الزوجين» كل الجوانب والأبعاد، وحتى ندرك المسؤولية الملقاه على المرأة كزوجة، ثم أم، ثم مربية للمجتمع. فيكون التفكير في أسرار الخلق ذاته، ويكون التفكير في القدرة الإلهية التي خلقت الزوجة من نفس الرجل، في عالم الغيب، ثم جمعت بينهما بهذه المودة والرحمة، ويكون التفكير في حقيقة المودة والرحمة، وكيف تنشأ المودة والرحمة، هل هي مشاعر وعواطف؟ أم أفكار ومعتقدات؟ أم هي سلوكيات وأخلاق؟ ماكُنْهُ هذا الشعور؟ وما السر في بقائه وامتداده؟ ولماذا جعله الله عميقاً في نفس الزوجين، ممتزجاً في كيانهما، ومشاعرهما، وتفكيرهما، وآمالهما؟ أسئلة كثيرة تثيرها هذه الآية ثم لا بد من التفكير في الغاية من وجود هذه المشاعر، أو هذه المودة

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي ـ ط٢ عبد المتعال محمد الجبري / ٤٦.

والرحمة بين الزوجين؟ هل هي من أجل البقاء معاً فقط؟ أم لها أبعاد اجتماعية وفكرية بعيدة وواسعة؟ أم هي سبيل لضمان بناء الأسرة وتحمل مشاقها والصبر على متاعبها؟ إن كل هذه الأسئلة وغيرها مشروعية في البحث عن مدلولات الآية، وما تتركه من آثار مهمة في حياة الأسرة ذاتها، وفي العلاقات التي تقوم وتتوطّد بين الزوجين، وللعلاقات التي تنشأ بين أفراد الأسرة الواحدة مهما تعدد أفرادها، ثم العلاقات التي تربط بين ذوي الأرحام، حتى تصبح هذه العلاقات المتالية حلقات متداخلة مترابطة تشمل المجتمع المسلم كله، ويكون الكيان الاجتماعي محققاً للحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١).

وهذه الصورة لا تتحقق إلا إذا بدأت من البنية الأولى، الزوجين ثم الأسرة، وهذه الحقيقة تجعلنا نعود إلى هذه البنية لنحقق فيها الشروط التي تجعلها صالحة لتوليد البنى الكثيرة، وإنشاء المجتمع المؤمن، المتراحم، مجتمع الجسد الواحد. وللرجل مسؤوليته الكبيرة في ذلك، لأنه المسؤول الأول في هذه البنية، بل هو الأصل الذي نشأت من ضلعه الزوجة، ولذلك تمثلت مسؤوليته ابتداءً من اختيار الزوجة الصالحة، وفق المقياس الإسلامي، مقياس الإيمان الذي يحقق نجاح الاختيار، ونجاح التجربة، وقيام البنية الأولى، (الأسرة) على أسس صحيحة، وهذا الاختيار ليس شكلياً - بل يحتاج إلى جدية ووعي وإرادة. وإذا كان ذلك سهلاً في أوقات وعصور أخرى، فإنه صعب في هذا العصر، أمام التشويه المتعمد لفطرة الإنسان، والتأثير الصارخ لوسائل الإعلام، ومؤثرات العصر المختلفة.

فالاختيار الصحيح، وفق الشروط الإسلامية للزوجة، يعني وضع اللبنة الأولى في بناء الأسرة، التي تمثل البنية الأولى والأساس للمجتمع.

كما تتمثل مسؤولية الرجل في الإشراف والمتابعة والتوجيه وتهيئة الأجواء والوسائل الكفيلة بحياة أسرية سليمة وسعيدة.

---

(١) متفق عليه.

ولكننا نتجاوز هـذه المسـؤولية[1] لنتوقف عند مسؤولية المرأة لأهميتها في تكوين الأسرة وصلاحها. فإذا كان الرجل ـ في العادة ـ يتحمل مسؤولية السعي خارج البيت، والإنفاق على الأسرة، والإسهام في الأعمال والنشاطات المختلفة خارج بيته، فيما يعود عليه وعلى أسرته بالفائدة والنفع، فإنه يبقى الجهد الأكبر والمسؤولية الأهم للمرأة، للقيام بمهمة التربية الحقيقية للأبناء: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2].

فالبنون (ذكوراً وإناثاً) والحفدة، ثمرة الزواج، والمرأة مسؤولة عن البنين ثم الأحفاد، كما هي مسؤولة عن جوانب خاصة بالرجل، أي إنها مسؤولة عن الأسرة، وعن بنائها، ومسيرتها، ومودتها، ورحمتها، وتآلفها، وهذا النسيج الأهم ـ كالروح ـ هو الذي يمثل الأسرة بترابطها وتعاونها ونجاحها، كما أن انعدامه يمثل الأسرة بفشلها، وتفككها وفساد العلاقات والتصرفات لأفرادها.

وهذا حقل مهم من حقول الدعوة التي تباشرها المرأة، بل لعله الحقل الأهم والأولى والأكثر ضرورة وحظراً، ومهمتها الدعوية هنا تحتاج إلى فهم وتحقيق لأن الدعوة في عمومها ـ تحقيق هذا الدين وتبليغه للناس، والعمل على تزكية نفوسهم، وتنمية حياتهم بالخيرات والصلاح في الدنيا والآخرة، وتعليمهم أمور دينهم[3]. وبالاختصار هي دعوة هؤلاء الناس للالتزام بأحكام الدين، والاحتكام إلى شرع الله ـ عز وجل ـ في كل أمورهم، ونبذ المعتقدات والسلوكيات والمعاملات التي تخالف ذلك.

وما دام الأمر كذلك فإن اهتمام المرأة بالأسرة، بكل جوانبها، نوع من الدعوة إلى الله بطريقة عملية، وهو تطبيق لأمر الله عز وجل في مخاطبته نبيه محمداً ﷺ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[4] كما هو تأسٍ به ﷺ حينما أوحي له، وأمر بالدعوة،

---

(١) مسؤولية الرجل تحتاج إلى بحث منفصل. وهناك كتب تطرقت إلى هذا الموضوع، وبحثنا هنا يتعلق بجانب المرأة ومسؤوليتها.

(٢) سورة النحل (٧٢).

(٣) فقه الدعوة إلى الله ١/ ٣١٢.

(٤) سورة الشعراء (٢١٤).

فخرج حتى أتى الصفا، وصعد عليه ونادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه، فقال: «يابني عبد المطلب، يابني عبد مناف، يابني... يابني... أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أصدقتموني؟». قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[1]. ثم قال فيما قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، يا صفية عمة رسول الله ﷺ يا بني كعب بن لؤي، يابني هاشم، يابني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من النار»[2].

وفي رواية لمسلم: «يا فاطمة بنت محمد، ياصفيه بنت عبد المطلب... لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ماشئتم».

وهذه الروايات تشير إلى ما قام به رسول الله ﷺ من تنفيذ أمر ربه في الدعوة، والبدء بقرابته، لأن القرابة والنسب لاتنفع شيئاً عند الله، إن لم يكن للإنسان عمل صالح مقبول، والناس جميعاً عند الله سواسية، وحب الإنسان الخير لغيره يجعله - بفطرته - إلى حب هذا الخير لقرابته وذوي رحمه. لأنه لا تنفع قريباً قرابته بدون عمل، ولا يضر بعيداً بعده فالخلق كلهم عباد الله. وعياله، فمن آمن منهم بالله ورسوله ﷺ كان عند الله براً تقياً، ومن لم يؤمن بالله ورسوله كان عند الله فاجراً شقياً[3].

وأن الخلاص من دينونة الله تعالى لايكون إلا بالإيمان به إلهاً واحداً، وإخلاص العبودية له. وأن إنذار الأقربين بِرٌّ بهم، ومودة وتحريك لدوافع حمية القربى فيهم، لقبول الهدي، وأن رسول الله ﷺ الذي يرعى الرحم، وسيبلها ببلا لها، يختار - وبأمرٍ من الله - أن يكون أعظم الرعاية للقربى والرحم، وأحسن البلال الذي سيقوم به هذه الدعوة المخلصة لهم، لإنقاذهم من النار. وهل أعظم من هذا مودة في الدنيا؟ وهل يعدل مال، أو منصب، أو أي تكريم للقربى والرحم، إنقاذهم من الوقوع في جهنم؟ وما نفع كل قربى ومودة وإبلال مع خسران الآخرة؟

(١) الرحيق المختوم / ٩٠.

(٢) السيرة النبويه لابن حبان / ٦٩ - ٧٠.

(٣) محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون ٢/ ١٦١ - ١٦٢.

فهذا هدي رسول الله ﷺ في الاتجاه إلى أولي القربى في أول مايتوجه إليه المسلم في دعوته، فإذا كان هذا في مجال الرجال، فكيف يكون في مجال النساء؟ إنه أكثر ضرورة وتأكيداً، أن تتجه المرأة الداعية إلى أسرتها، وأن تكون الدائرة الأهم في هذا المجال دائرة الأسرة، دائرة المودة والرحمة، والبنية الأساس للمجتمع.

والزوج أول من تهتم به، وأولى من تتوجه إليه في دعوتها لمرضاة الله عز وجل، ودعوتها له تتجلّى بالمشاركة والمودة والتعاون والصبر والمعاملة وحسن التدبير... ومع الزوج، وبعده يكون الأولاد، ثم تكون دائرة ذوي الأرحام. ولعل بعض الناس يتساءلون: وكيف تكون الدعوة مع الزوج؟

والإجابة تعيدنا إلى ماسبق عن الدعوة وهدفها، وأي جهد يساعد على تحقيق غاية الدعوة يعد من الدعوة ذاتها، وأي مسعى يحقق صلاح الأسرة، وتماسكها يعد من الدعوة أيضاً. فالزوج الذي يسعى على أولاده، ويقوم بواجبه في مجتمعه يحتاج إلى جو أليف ودود، ودفع وشحذٍ مستمرين لكي يبقى قوي العزيمة، عالي الهمة، متفائلاً لاتثنيه الصعاب ولا العقبات، وليس أفضل من جو الأسرة المطمئنة السعيدة، ولا أكبر من عون الزوجة الصالحة ـ بعد توفيق الله عز وجل ـ في شحذ عزيمة الزوج ليمضي في سبيله، ويقوم بواجبه، متحملاً العناء وهو راض مطمئن مهما لقي من الصعاب خارج البيت. وكلما كان عطاء المرأة لزوجها من خلال المودة والمحبة، والمشاركة والنصيحة كان النجاح أكبر وأكثر ضماناً للزوج وللأسرة.

٢ـب ـ مسؤولية الزوجة وأثر ذلك في بناء الأسرة:

الزوجة هي التي تستطيع أن تُحيل جو الأسرة إلى دوحة من الود والرحمة والهناء، وأن تضفي على أفرادها ظلالاً ندية، تؤنس وحشة الزوج وتقوي عزيمته وتشد من أزره، كما تهيء للأولاد ـ فيما بعد ـ جو الألفة والتراحم والتعاون والترابط، وحب القيام بالواجب، وتزرع فيهم القيم والسلوكيات الإيجابية.

وأهم مجالات الدعوة أمام المرأة مجال الأسرة التي تعد مسؤولة عنها مسؤولية مباشرة، بل تعد الأسرة مكان تأدية واجبها ومسؤوليتها في الحياة بشكل مباشر، وهو

الأهم من أي واجب آخر، بحيث يرتبط أي نشاط آخر تقوم به في الحياة بواجبها تجاه الأسرة، وكل أمر يحول دون القيام بهذه المسؤولية يصبح هدراً وضرراً لاتَعْدِلُه أي فائدة أخرى. والحديث الشريف يحدد ذلك: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...»[١] . فهي راعية، والرعاية أمانة ومسؤولية. وهذه المسؤولية متعددة الجوانب، تستغرق كل قدرات المرأة ونشاطاتها واهتماماتها وأوقاتها، لأنها تتعدى ما ألفناه من صور ممسوخة للأسرة التي أصبحت في خطر من التفكك والاندثار.

الزوجة ـ والمرأة عموماً ـ هي محور الأسرة في جميع شؤونها التربوية، والمالية والعلمية، والجمالية، والاجتماعية.

وأولى مسؤوليتها هي تجاه الزوج: يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] .

والآية تشير إلى أمر مهم للمجتمعات: للرجال والنساء على مدار التاريخ، لكي لاتأخذهم الدعوات والتغيرات المادية إلى أحوال تضطرب فيها هذه الحياة، وتعاند الفطرة والحقائق، فتنعدم الطمأنينة والسكينة.

والرجل والمرأة المخلوقان من نفس واحدة ينبغي أن يتفكرا في هذه الحقيقة الأزلية، ويعودا إلى أعماق الفطرة والأحاسيس؛ ليستيقنا أن حياتهما لن ترى الاستقرار والطمأنينة، والنماء المثمر، والسعادة الحقيقية إلا بالتسليم واليقين بهذه الحقيقة، ومعرفة ماينبغي أن يتصرف به كلٌّ من الرجل والمرأة استجابة لهذه الفطرة وفي حدودها، وعدم تجاوزها، أو تجاهلها ومصادمتها، فالمرأة والرجل متكاملان، والحياة لاتعرف الاستقرار إلا بهذا التكامل، وتختل وتفسد وتضطرب حين يتجاهل الرجل، أو تتجاهل المرأة هذه لحقيقة الفطرية، الحقيقة التي جعلها الله عز وجل أساساً للحياة، والاستقرار والنماء، والله عز وجل دعانا أن نفكر في هذا وأن نخافه ونتقيه ـ

(١) من الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وهو متفق عليه.

(٢) سورة الروم (٢١).

عـز وجـل ـ الـذي يعلـم السـر وأخفـى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(١) .

ويقول عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾(٢) .

ويقـول سـبحانه وتعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٣) .

ويقـول : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾(٤) .

والآيات السابقة كلها تؤكد هذه الحقيقة بأن الرجل والمرأة من نفس واحدة وبأن لإنسانية كلها من هذه النفس ، والمرأة خلقها الله ـ عز وجل ـ من نفس الرجل ، لتكون له زوجاً ، فتتكامل هذه النفس ، وبدون ذلك يظل الجزء في نقصان وحاجة واضطراب ، ولايمكن لجزء أن يكون بديلاً للآخر ، لأن التكامل لايعني التضايق في كل الأشياء ، ولهذا جاء في جميع الآيات ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ و﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ ﴿ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ .

والغاية واحدة أيضاً : ﴿ وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا ﴾ .

فدوام الحياة ، واستمرار النسل الإنساني لن يكون إلا من اجتماع شقي هذه

---

(١) سورة النساء (١) .

(٢) سورة النحل (٧٢) .

(٣) سورة الأعراف : (١٨٩) .

(٤) سورة الزمر (٦) .

النفس بوئام ومودة ووفاق، وكذلك تحقيق السكن والطمأنينة والسعادة لايتم إلا من ذلك أيضاً ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

ولذلك كان منهج الله - عز وجل - في هذا ثابتاً - على مدار القرون (لأنه يتعامل مع الإنسان، وللإنسان كينونة ثابتة، فهو لايتبدل منها كينونة أخرى، وكل التحورات والتطورات التي تلابس حياته لا تغير من طبيعته، ولا يتبدل من كينونته، ولا تحوّله خلقاً آخر، إنما هي تغيرات وتطورات سطحية كالأمواج في الخضم - لا تغير من طبيعته المائية، بل لاتؤثر في تياراته التحتية الدائمة المحكومة بعوامل طبيعية ثابتة) (١).

ولهذا كان خطاب الله - عز وجل - للناس كافة، لردهم في كل أمورهم، وفي أمر حياتهم واجتماعهم إلى ربهم الذي خلقهم، وهو عليم بما ينفعهم. فلقد خلقهم من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس زوجها، وبث من الزوجين رجالاً كثيراً ونساءً، وهذه الآية التي ابتدأت بها سورة النساء تؤكد للناس حقائق كثيرة منها:

١ - تذكر الناس بمصدرهم الذي صدروا عنه، وتردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم لكي يأخذوا من هذا المصدر كل شيء لأن الله الذي خلقهم وحده الذي يعرف عنهم كل شيء، ويقدر لهم كل خير، ويشرع لهم ما يصلح هذه النفس، والإنسانية كلها.

٢ - إن البشرية التي خلقها الله - عز وجل - تتصل في رحم واحدة (من نفس واحدة) ومن هذه الوحدة نشأت الأجيال، ونشأت الوشائج، وبالتالي فإن المودة، والوحده الإنسانية تحتاج إلى التقوى من البشر لاستبعاد كل صراع وكل انحراف.

٣ - وإن الزوجة خلقت من هذه النفس، فهي شق الرجل، وشطر مكمل لشطر، خلقت للرجل، كما خلق الرجل لها، وإنهما زوجان متكاملان ولكنهما ليسا فردين متماثلين، ولو كانا كذلك لما كان هناك معنى ومجال للتكامل.

٤ - والقاعدة الأساسية للحياة البشرية هي الأسرة، والأسرة ابتدأت من هذه النفس الواحدة التي خلقها الله - عز وجل - وخلق منها زوجها، فكانت أسرة من

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٥٦.

زوجين، وبث منهما رجلاً كثيراً ونساءً.

ولم يخلق الله عز وجل - ابتداءً - رجالاً كثيراً ونساءً، ويزوجهم ليكوّنوا أسراً بل خلق نفساً واحدة، وخلق منها زوجها لتقوم هذه الرابطة على وشيجة الرحم، ووحدة الأصل - والتكامل بين الشقين، وبهذا فإن النسل الذي نتج عن هذا التزاوج مصدره الخالق الواحد الأحد الذي خلقه، ومرجعه إلى وشيجة الأسرة التي يقوم عليها نظام المجتمع كله، وفي ظل العقيدة.

وهذا يؤكد همية الأسرة، وأهمية رعايتها، وتوثيق عراها، وتثبيت بنيانها وحمايتها من جميع المؤثرات التي توهن هذا البناء، وفي أول هذه المؤثرات مجانبة الفطرة، وتجاهل استعدادات الرجل - واستعدادات المرأة، وتناسق هذه الاستعدادات، وتكاملها مع بعضها البعض، وتكاملها لإقامة الأسرة من ذكر وأنثى.

٥ - وفي ختام الآية تردُّ الناس إلى تقوى الله - عز وجل - وإلى تقوى الأرحام التي يرجعون إليها جميعاً. والله - عز وجل - هو الخالق الذي يعلم من خلق، وهو العليم الخبير، وهو الرقيب على الناس[١].

من هذا كله نتوضح مسؤولية المرأة نحو زوجها، الذي هو شقها الآخر، ومسؤولة عن تهيئة الحياة المطمئنة التي تملؤها السكينة والمودة والرحمة والأمن وسعادة الحياة الدنيا. وكذلك مسؤوليتها عن بث روح التفاهم والتعاون والتناصح والمحبة في الأسرة كلها[٢] ولدى الزوج خاصة.

والزوجة التي تؤثر مرضاة الله - عز وجل - وترجو مغفرته وثوابه - وتود أن تكون في كل حياتها داعية مسلمة مؤمنة تؤدي دورها وتقوم بمسؤوليتها، هذه المرأة هي التي تضع في أولى اهتماماتها تحويل جو أسرتها إلى دوحة من الود والرحمة والهناء، وإلى خلية فاعلة بالمحبة والتعاون، ليجد الزوج في جو الأسرة ومع شقه الودود ظلال الأنس من وحشة الحياة، وقوة العزيمة أمام صعاب الطريق، فتشد من أزر الرجل إذا تكاثفت أمامه

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٧٣-٧٥٦.

(٢) شخصية المرأة المسلمة، د/ محمد علي الهاشمي/ ١٤٤.

الصعاب، وتضيء له الدرب إذا أظلمت الدنيا في عينيه، وتستل من نفسه آثار الهجوم كلما أحس بالتعب، وبذلك تدفعه للمضي ساعياً في الحياة للخير، ومطمئناً إلى هذه المؤازرة، قوياً بهذا الأنس، مستسهلاً الصعاب مع هذه المودة والمحبة.

إن الثواب الذي تناله الزوجة في هذا عظيم عظيم، والمرأة التي تدرك ذلك تعيش - مع هذا الثواب العظيم - في سعادة وطمأنينة، وتستعذب كل الصعاب أمام انتصارها في صنع خلية المجتمع الأولى الأسرة، وتفرح بكل ماتلقاه من ظفر أو سعادة أو ثبات وعزم على وجه زوجها في جهاده وسعيه في الحياة، وحينها تحقق الصورة الواقعية، والمثل الذي يحتذى للمرأة، شق الرجل، الذي عناه رسول الله ﷺ في هذا الحديث: عن ثوبان قال: لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ. . .﴾ إلى آخر الآية، كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير لاتخذناه، فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه» (١).

وفي رواية: «ليتخذْ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة، تعين أحدكم على أمر الآخرة» (٢). وكل نشاط ابن آدم في الحياة لأجل الآخرة، والزوجة المؤمنة من أكبر العوامل والمؤثرات لنجاح الرجل في الحياة، وعطائه للمجتمع، وقدرته على الصبر والثبات. وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ. . .﴾ كَبُرَ ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أفرِّج عنكم، فانطلق فقال: يا نبي الله، إنه كبر على أصحابك هذه لآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب مابقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم» فكبّر عمر، ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» (٣).

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن.

(٢) ابن ماجه.

(٣) أبو داود.

وفي حديث آخر: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[1] .

وفي حديث آخر: «ماستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[2] .

وعنه ﷺ أنه قال: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده»[3] .

وهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أهمية المرأة في بناء الأسرة، وفي نفس الزوج بالذات، فهي موطن أسراره، ومكمن استقراره وطمأنينته وتوازنه. وهي ذات دلالة واضحة أيضاً على مكانة المرأة ومسؤوليتها، وهذه المكانة بسبب ماتؤديه نحو زوجها وأسرتها، من رعاية حقيقية لكل شؤونه، مما جعلها تعدل كنوز الذهب والفضة، وأغلى من كل متاع يمتلكه الإنسان في دنياه، وأعظم فائدة من كل مايستفيده الرجل في سعيه وحياته، فهي المؤانس، والمؤازر، والمطيع، والناصح، وهي مبعث الغبطة والسرور والود والأنس، وهي مودع الأسرار، وصمام الأمان، وسياج العفة.

هل هذا قليل للمرأة؟ وهل تستطيع أن تقوم بحقه، وبمسؤوليتها في ذلك إن لم تكن مؤمنة صالحة ـ تعرف هذه الحقائق ـ فلا تقفز مع المعاندين للفطرة، المبتغين للفتنة.

يقول الإمام أبو العباس أحمد القسطلاني في شرحه لمسؤولية المرأة: (والمرأة راعية على أهل بيت زوجها، تحسن التدبير في أمر بيته، والتعهد لخدمته وأضيافه).

وعن مسؤوليتها تجاه الولد «أن تقوم بحسن تربيته وتعهده»[4] .

ومسؤولية المرأة تجاه زوجها تتمثل في عدة أمور منها:

١ ـ تحقيق السعادة والمحبة، وإشاعة الود والطمأنينة في الأسرة مع الزوج.

---

(١) مسلم.

(٢) ابن ماجه .

(٣) البخاري ومسلم والبزار.

(٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ١٠/ ٢١٦.

٢ـ زرع الثقة والتعاون، والتناصح مع الزوج.

٣ـ رعاية الأمور المادية، بالمحافظة على مال الزوج، وحسن التصرف والاعتدال في النفقة، والتخطيط لاقتصاد الأسرة.

٤ـ القيام على شؤون التربية، بالاستعداد النفسي والفكري لهذا الأمر، والتزود بكل مايعين على نجاح المرأة في ذلك.

٥ـ بناء العلاقات الاجتماعية على قواعد القيام بالمسؤولية وطاعة الزوج، لمرضاة الله عز وجل الذي أمرها بذلك، فتراعي حق ذوي الرحم، وتساعد الزوج على تأدية واجبه نحو والديه، وإخوته، وذوي رحمه. ويبني العلاقة معهم على الثقة، والمحبة، وإيثار الخير والتعاون، وتقديم كل ما يؤدي إلى كسب ودهم ورضاهم.

وكذلك مع الجيران، والأصدقاء، وكل من له علاقة بالزوج والأسرة.

٦ ـ التخطيط لمستقبل الأسرة لتكون بنية اجتماعية إسلامية، ومحضناً لجيل جديد يتهيأ ويتربى ليكون لبنة صالحة في نسيج المجتمع.

٧ـ تحديد الأوليات في الواجبات، ووضع البرامج التي تزيد من خبرة المرأة وفهمها للحياة، وإدراك واجباتها، ومعرفة ماينبغي أن تقوم به في حياتها.

إن تحقيق هذه الأمور مهم جداً للزوجين والأسرة والمجتمع كله، فبسبب ذلك يتحقق للزوجين سعادة مشتركة، ويضفي على البيت مشاعر الود، والأنس والتعاون والطمأنينية والبهجة، بما تحققه الزوجة لزوجها من السعادة وراحة البال، وراحة الأعصاب، والثقة. وهذا الأمر بمثابة الروح التي تحيي الأسرة، وتبعث فيها الحياة والثقة والأمل، وتعين الزوجين على مرضاة الله عز وجل أولاً، ثم على القيام بجميع الواجبات، مع إنشاء جيل مؤمن بالله عز وجل، يعيش حياته في ظل العبودية الحقيقة لله سبحانه وتعالى[1] .

وكما أن هذا الأمر مهم، وضروري، فهو سهل وصعب معاً. سهل لأن المرأة تملك مفاتيح ذلك كله، وفطرتها وطبيعتها تواتيها لتحقيق ذلك ولا سيما إذا ابتغت في ذلك رضوان الله عز وجل, وصعب لأن المرأة ـ بطبيعتها أيضاً ـ

(١) كتاب (المرأة المسلمة) ـ وهبي سليمان غاوجي الألباني.

كثيرة التقلب، وشديدة التأثر بما تراه وتسمعه وتتبع عاطفتها، وتسارع في الحكم وفق هواها، إلا من هداها الله عز وجل، ولذلك ذكّر رسول الله ﷺ النساء بهذا الأمر، لتكون كل واحدة منهن على بينة، ولتسلك السبيل الأصلح والأقوم والأقصر لحيازة مرضاة الله والجنة. فقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاءت امرأة إلى النبي - ﷺ - فقالت: يارسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يُصيبوا أُجروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟

فقال النبي ﷺ: «أبلغي من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج، واعترافاً بحقه يَعْدِلُ ذلك، وقليل منكن من يفعله»(١).

وفي رواية أخرى: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة»(٢).

والأمر المهم في هذا، أن المرأة تنال أكبر ثواب وأحسن جائزة على قيامها بهذا الأمر، الذي يحفظ الود في الأسرة، ويضمن الوئام والتعاون لها، ألا وهو الجنة.

ومع بساطة الأمور المطلوبة من المرأة التي تيسِّر لها طريق الجنة، فإن القليل من النساء من يفعل ذلك!!

وهذا الواقع يحتاج إلى تأمل من المرأة التي تحمل هموم الدعوة وتسعى لمرضاة الله عز وجل، وتحرص على بناء الأسرة الإسلامية.

إن غاية المسلم الظفر بمرضاة الله عز وجل، والوصول إلى الجنة، وليس قيام المسلم بما عليه من فرائض وواجبات، وتضحيته بالمال والنفس إلا لهذا الغرض، فإذا وجد سبيلاً لتحقيق هذا الهدف فإنه يسرع إلى سلوكه.

---

(١) رواه البزار، وقال الهيثمي: وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف (٤/ ٣٠٥)، ورواه الطبراني وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ورشدين حدث عنه جماعة. كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ١٨١.

(٢) رواه البزار، وفيه داود بن الجراح وثقه أحمد وجماعة، وضعفه جماعة، وقال ابن معين: وهم في هذا الحديث. وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٤/ ٣٥.

والرجل يسعى للرزق، ويتعرض للتعب الجسدي، والفتنة والمشاق للحصول على النفقة الحلال، وقد تعرض أمامه الشبهات، ويزين له الحرام لكي يتنازل عن استقامته.

والرجل يؤدي واجبات كثيرة نحو نفسه وأسرته وأبويه، والناس، وكل كلمة أو عمل محسوب له أو عليه، والواجبات كثيرة مما يجعل طريق الجنة محفوفة بالمكارة، بينما طريق النار تحيط بها الشهوات والمغريات، مما يجعل الوصول إلى مرضاة الله عز وجل أمراً صعباً يحتاج إلى النية الصادقة، والعزم الأكيد، والجد في أداء الواجبات وفي المقابل فإن المرأة تحصل على هذا الهدف إذا قامت بأداء عبادتها: (من صلاة وصوم و . .) تحفظ نفسها، وتطيع زوجها.

هذه الواجبات تعدل كل عمل الرجل في صلاته وصيامه وحجه وجهاده وصدقاته، وسعيه في الحياة، وتحمله المشقات والتبعات. أليس في ذلك تكرمة للمرأة؟

أليس في هذا مراعاة لطبيعتها وفطرتها، وتقديراً لمسؤوليتها في الأسرة، واهتمامها بشؤون زوجها؟

أليس في قيام المرأة بهذا الواجب جهاد ينبغي أن توطن نفسها عليه لتنال هذه المرتبة، وتظفر برضاء الله والجنة؟

أليس في هذا إشارة إلى أهمية هذا الأمر المنوط في المرأة بالنسبة لزوجها وأسرتها، وأن تخليها عن ذلك يؤدي إلى خلل خطير في الحياة، بل ربما كان نوعاً من الفتنة التي حذر منها رسول الله ﷺ؟

أليس في هذا قيام بأهم أبجديات الدعوة في مجال الأسرة، وفي بيت المرأة، ومملكتها الحقيقية؟

أليس في تحقيق هذا النجاح يتيح لها أن تمتلك القوة الحقيقية التي تجعل منها ركناً قوياً وأساساً متيناً لأسرتها، ومحوراً لنمو هذه الأسرة ونجاحها وأدائها لواجبها كخلية فاعلة في المجتمع؟

ألا يعد ذلك قوة حقيقية للزوج الذي يجد بجانبه دعماً قوياً، يعطيه إلى جانب الأمور المادية والعملية، روحاً من المؤازرة والمشاركة والحنو والتعاطف لا يستطيع أن

يجد مثيلاً لها من غير الزوجة الصالحة؟

إنه كذلك حقاً، ولهذا كان وعد الله ورسوله لها بالجنة والرضوان جزاء قيامها بهذه المهمة، وجعل عملها هذا معادلاً لكل عمل الرجل وجهاده وتضحيته طريق سهل واضح ميسور لمن أرادت أن تسلك طريق الدعوة، وتسعى لمرضاة الله عز وجل، والظفر بالجنة، عن طريق الاحتكام إلى منهج الله عز وجل في هذا الأمر، والتعامل مع حقائق الفطرة التي فطر الله المرأة عليها.

وطريق سهل واضح ميسور لمن أرادت أن تقفل أبواب الفتنة، وتصد دعوات الشياطين، وتأبى الخضوع للإغراءات والنزوات والمهالك في الخروج عن فطرتها، وتنكبها عن طريق مسؤوليتها وواجبها في الحياة.

وفي الوقت ذاته فهو طريق صعب، أمام الحرب الشرسة التي أعلنت على المرأة المسلمة، والمجتمع الإسلامي.

طريق صعب لأن الجنة حفت بالمكاره ـ والنار حفت بالشهوات، وفتنة المجتمعات ـ كما أخبرنا رسول الله ﷺ ـ تبدأ بالنساء، وأسلحة الشر والفتن كثيرة وخطيرة، ولهذا قال رسول الله ﷺ ـ للمرأة التي سألته عن ذلك «وقليل منكن من يفعله».

٣ـ ج ـ الدعوات المضللة لإبعاد المرأة عن فطرتها ومسؤوليتها.

يريد دعاة الشر والفتنة حرمان المرأة من المكانة التي بشرها بها رسول الله ﷺ وإبعادها عن هذا الفضل وهذه المكرمة.

ودعاة التحرر ـ من الإنسانية وكرامتها، والفطرة واستقامتها، والحرية ونظافتها، والحياة الكريمة وأخلاقيتها ـ يدعون المرأة للتمرد على الفطرة وتنكب طريق الكرامة والعفة والواجب !!

لقد أدرك أعداء الإنسانية أهمية الأسرة، ومكانة المرأة فيها، وفي تكوينها، ولذلك انصب اهتمامهم في العقود الأخيرة على تحطيم بنية الأسرة بطرق وأساليب مختلفة، مغلفة بالتطور، والحاجات الاجتماعية، وحاجات التنمية وغير ذلك، فضلاً عن

التظاهر باحترام المرأة، والدفاع عن حقوقها، والمطالبة بمساواتها بالرجل، وإعطائها الحرية الكاملة ومن أجل ذلك سعت هذه القوى الشيطانية المدمرة إلى عقد المؤتمرات لتحقيق هذا الهدف ومن ذلك مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة خلال الفترة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٨ ربيع الآخر سنة ١٤١٥ هـ الموافق (٥ ـ ١٣) إيلول (سبتمبر) من عام ١٩٩٤م.

وقمة الأرض التي عقدت في ريودي جانيرو في البرازيل في عام ١٩٩٢م، والمؤتمر العالمي حول حقوق الإنسان الذي عقد في فيينا بالنمسا في عام ١٩٩٣م، والمؤتمر العالمي للحد من الكوارث الطبيعية الذي عقد في يوكوهوما باليابان في عام ١٩٩٤م، والقمة العالمية للتنمية الاجتماعية التي عقدت في كوبنهاجن في الدانمارك في عام ١٩٩٥م، والمؤتمر العالمي الرابع للمرأة الذي عقد في بكين بالصين في عام ١٩٩٥م، ومؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية الذي عقد في إسطنبول في مطلع حزيران (يونيو) من عام ١٩٩٦م وهذه المؤتمرات ـ بمختلف مسمياتها وأساليبها التي تظهر عناوين براقة كحقوق الإنسان، وكوارث الطبيعة، والتنمية الاجتماعية... إلخ ـ ترمي إلى ابتداع أنماط وأشكال جديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، تحطم من خلالها الحواجز الأخلاقية «وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، وتشجع على التحلل باسم التحرر؛ حيث لم يقف واضعو البرامج لهذه المؤتمرات عند حد التشكيك في اعتبار الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن غير طريق الزواج، واعتبار ذلك من الشؤون الشخصية، أو من الحرية الشخصية، ولكنهم قفزوا فوق الكثير من الضوابط والقيم الدينية الأخرى أيضاً، ليقرروا بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يشرعه الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً، وقيداً على الحرية الشخصية، لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط، وضمن الإطار الشرعي ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين (أسر بينهم)، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والعلاقات الزوجية ضمن الأسرة، معتبرين أن ذلك مجرد أدوار وأشكال لاتخرج عن كونها مما اعتاد الناس ودرجوا عليه وألفوه حتى دخل في

طور التقاليد المتوارثة، لذلك حاولوا الترويج والإقرار لأنماط أسرية بديلة دون أدنى اعتبار للنواحي الشرعية والقانونية والأخلاقية» (١) .

ودعوا إلى زواج الجنس الواحد، والمعاشرة بدون زواج، وتحديد النسل وتشجيع موانع الحمل، وتيسير سبل الإجهاض(٢) .

لقد قضي على الأسرة في الغرب، ولم يعد لها إلا اسم بلا مسمى، حيث تحللت من جميع قيمها وقيودها وضوابطها، ووصلت إلى مستويات هابطة، وأصبحت الفضائح الجنسية تغطي شرائح المجتمع كلها، ونتيجة لانهيار الأسرة في الغرب، وانهيار القيم العائلية، استبدل الأب بالشرطي، واستبدلت الأم بجليسة الأطفال، وتحوّل دور الأسرة من بيئة تنقل القيم الأخلاقية إلى الجيل الجديد، إلى مطعم يأكلون فيه، وفندق ينامون تحت سقفه(٣) .

ولقد مرت في الفصول الأولى من هذا الكتاب مقتطفات مما ينشر في الصحف والمجلات، نقلاً عن تقارير رسمية في أمريكا والغرب، عن أوضاع المجتمع بعامة، وأوضاع المرأة بخاصة، وصور الشذوذ الجنسي الذي أصبح عنوان الحياة هناك كما مرت فقرات من تقرير الرئيس الأمريكي (بوش) حول التعليم في أمريكا ولكن مما يثير القلق أن تنتقل هذه العدوى إلى البلدان الإسلامية، بوسائل الإعلام المختلفة، وشبكات الإنترنت، وغيرها، فتنتشر مظاهر الانحراف شيئاً فشيئاً، وتحضنها مؤسسات دولية، وأجهزة محلية وعالمية، وتروج لها مجلات وصحف وبرامج تلفازية مختلفة وأن تسهم بعض الدول الإسلامية في الحملة العالمية التي تهدف إلى تحطيم الأسرة، وإشاعة الصورة الغربية في هذه البلدان تحت ستار التقدم المادي الغربي، وضرورة اللحاق به، والسير على منواله للوصول إلى ما وصل إليه من تقدم علمي وتقني، فتعقد المؤتمرات العالمية ـ أيضاً ـ وتقيم النوادي

---

(١) وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ـ رؤية شرعية ـ د/ الحسيني سليمان جاد، كتاب الأمة (٥٣) ص١٢ ـ ١٣ .

(٢) مثل هذه الدعوات تتضافر في الأمور الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية ـ وليست الحداثة إلا صورة أخرى لذلك، وهدفها واحد.

(٣) جريدة الحياة العدد (١١٩٦٧) في ٥ رجب ١٤١٦هـ الموافق ٢٧/ ١١/ ١٩٩٥م ـ زاوية دنيا للأستاذ أحمد بهجت.

والمؤسسات الاجتماعية المختلفة ولا عجب بعد ذلك أن ترشح من هذا كله مظاهر خطرة لما يجري داخل المجتمع مثل: «زواج الهبة التي غدت ظاهرة تهدد طلاب الجامعات المصرية» كما ورد في بعض الصحف المصرية. وملخص الخبر أنه «بعد انتشار ظاهرة الزواج العرفي بين طلاب الجامعة ظهرت في هذه الآونة ظاهرة (زواج الهبة) حيث تهب الفتاة نفسها لزميلها في الكلية من دون أي مقابل، وتعيش معه حياة الأزواج. مما يعد خطراً قادماً يهدد كيان الأسرة المصرية، ويؤدي إلى انتشار الانحرافات» (١).

وهذه المظاهر ـ كما قلنا ـ بعض ما يرشح من المجتمعات الإسلامية، لأننا لم نتعود أن نرى الحقائق مبسوطة وواضحة أمام الناس، كما هو في الغرب، ولهذا فإن كثيراً من الانحرافات لا يعرفها إلا المتابعون أو ممن لهم صلة بها.

ومن المؤسف أيضاً، أن بعض الناس، ممن بهره الغرب، أو أصابته الهزيمة الداخلية، وانهار أمام المغريات، واتبع الشهوات، راح يغري الناس، ولا سيما الشباب والنساء بالحياة الغربية بدعوى تقدم الغرب العلمي والتقني، والخلط بين هذا المظهر المادي والمظاهر الاجتماعية السيئة.

إن هذه الحقائق التي عرضنا صورة منها كفيلة بإيقاظ أصحاب العقول السليمة، والفطر السوية، وتنبيههم إلى ما يهدد الأسرة والمجتمع كله من هذا التقليد الأعمى، وانسياق المرأة إلى هذا المستوى الهابط الذي يتلاعب به الأبالسة، ويتاجرون بالأعراض والكرامة والناس لتحقيق مآربهم، وهذا مصداق ما ورد في مخططات يهود لتدمير الأخلاق والسيطرة على مقدرات العالم:

(يجب أن تظل سلطتنا المنبثقة عن سيطرتنا على المال خفيّة عن أعين الجميع حتى يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه السلطة إلى درجة من القوة يستحيل معها على أي قوة أخرى أن تكون خطراً عليها...) (٢).

---

(١) جريدة الحياة العدد (١٣٢٦٨) في ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٦/ ٧/ ١٩٩٩م نقلاً عن الصحف المصرية.

(٢) ويبدو أنهم وصلوا إلى هذه المرحلة من السيطرة المالية والسياسية وغيرها.

«يجب أن ننشر في كل الأمم الخمور والمخدرات وفساد الخلق، وكل صنوف الرذائل لإفساد الأجيال الصاعدة، وأن يقوم بذلك عملاؤنا السريون المنتشرون في أقطار الأرض، وأن ندرب هؤلاء العملاء لشغل الوظائف المختلفة في المجتمع، فيكون منهم الأساتذة والكتاب والمربون والمربيات [١] وأن ننتقي نساء يعملن في أماكن اللهو والفجور التي يرتادها القوييم[٢] ، وأضيف إلى هذه الفئة من نساء المتعة بعض سيدات المجتمع اللواتي سيتطوعن من تلقاء أنفسهن لمنافسة الأخريات في ميادين الفساد والترف، على أنه يجب ألا نقف عند أي حد في ميادين الرشوة والفساد والفضائح والخيانة، ويجب أن نستغل كل شيء في سبيل الوصول إلى الهدف النهائي» [٣] .

والواقع الذي نشهده يؤكد هذه الأهداف التي رسمها يهود للعالم كله، وللمسلمين بشكل أخص. والوسائل التي نراها في الإعلام والتعليم ومراكز توجيه الشباب، والمؤسسات الاجتماعية، والنوادي والمنتديات وغير ذلك كلها تؤكد أن المخطط الذي وضعه اليهود حقق كثيراً من أهدافه في العالم، وهو يتوجه إلى العالم الإسلامي ليقضي على البقية الباقية من القيم الإسلامية، والبنى الإسلامية وأولها الأسرة. وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ فقد حذر المسلمين من فتنة النساء، وأن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء.

من كل ما سبق يتبين لنا أن دعاة الشر يريدون إخراج المرأة المسلمة من مملكتها، وإفسادها، وإفساد فطرتها.

وسهل جداً أن تخرج المرأة ـ كما يريدونها متحررة ـ عن استقامة فطرتها، فتترك أعظم واجباتها وأهمها في الأسرة والبيت، وتتخلى عن أكرم منازلها ومكانتها في الحياة، وتدع لأدعياء السوء أن يصوغوا مستقبلها، ومستقبل أولادها ومجتمعها.

سهل جداً على المرأة أن تدير ظهرها للزوج والأسرة والولد، ولمبررات كاذبة كثيرة، باسم العلم والتعليم، وباسم الوظيفة والعمل، وباسم خدمة المجتمع وتشغيل الطاقات المعطلة، وباسم استغلال إمكانات نصف المجتمع.

---

(١) وجود المربين والمربيات خطوة لتدمير الأسرة، وأخذ دور الأم والمرأة فيها.

(٢) القوييم Goyem معناها عند اليهود: البهائم والخنازير والمرتدون والوثنيون والأنجاس والخونة والفساق.

(٣) مؤامرة الصهيونية على العالم، أحمد عبد الغفور عطار / ١١٢-١١٣.

وباسم الحصول على الحقوق ورفع الظلم، وباسم الحصول على القيمة الإنسانية للمرأة، وبمبررات أخرى كثيرة عمل دعاة الشر على سوقها حسب الحالة والظرف والوقت. وحين تدير المرأة ظهرها للزوج والأسرة والولد، وتستجيب للدعوات الخادعة، وتصبح أداة هدم للمجتمع، بل تهدم أسرتها ومملكتها وسعادتها، وتكتب على نفسها الضياع والشقاء في الدنيا والآخرة، وتخضع لدواعي الفتنة التي حذرنا رسول الله منها.

وإن تخليها عن الأسرة، وانشغالها بأي أمر آخر، ولأي مبرر من المبررات يعني تسليم بيتها لعبث العابثين، وتهديم هذا الكيان الآمن، والركن الحصين، والقضاء على كل مشاعر المودة والألفة والسكينة والرحمة التي تظلل الأسرة، واستبدال ذلك بعلاقات وظيفة تؤديها: مادية أو جنسية، أو غير ذلك، تضع نفسها موضع المرأة الجنس بدلاً من المرأة الزوجة التي أكرمها الله عز وجل ذلك الإكرام - ووضعها في ذلك الموضع الشريف، وتزاحم الرجل فيما يصلح لها وما لا يصلح، وتخرج عن فطرتها عند القيام بأعمال لا تناسبها ولا تليق بها وربما كان الحديث الشريف الذي يحدد مسؤولية المرأة، ويربط هذه المسؤولية بالبيت هو القاعدة المثلى في معرفة المرأة ما يصلح لها ولأسرتها ولمجتمعها. «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وفي رواية: «والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم»(١).

والحديث واضح الدلالة والتحديد للمسؤوليات، وكلٌّ مكلف بعملٍ ينبغي المحافظة عليه، والقيام بواجباته، لأنه مؤتمن عليه، ومطلوب منه العدل فيه، والمرأة هنا حددت مسؤوليتها في رعاية بيت الزوج بكل ما تحتاج إليه من إشراف ومتابعة وتربية وأمانة وعفة، والرجل والمرأة شريكان في الحياة الزوجية، وعلى الرجل مسؤولية تجاه بيته، وعلى المرأة مسؤولية أيضاً عن أغلى ما في حياة الناس في هذه الحياة، بعد دين الله عز وجل، وهو المال

---

(١) متفق عليه.

والولد، والراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه، فهو مطلوب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه [1] وورد في حديث آخر «أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أو ضيّعه» [2] .

وهذه المسؤولية تحتاج إلى كثير من الجهد والوعي، والإعداد الصحيح لتنهض بالمسؤولية، ولتحصّن البيت المسلم من عوادي الشر، وتنشئته على الخير والفضائل.

وإن أي عمل مفيد للمرأة ومؤثر في خاصة شأنها أو في مجتمعها ينطلق من بيتها، فهو القاعدة، وهو المنطلق، فإذا كانت صالحة مستقيمة واعية أمينة، تستطيع أن تقدم لأسرتها ومجتمعها شيئاً نافعاً، وإن عجزت في مجال أسرتها وزواجها، فإنها ستفشل عن تقديم ما يفيد وينفع في المجتمع.

والمرأة المسلمة الداعية، لا تمارس عملها في الدعوة بالخطابة والكتابة، والخوض في المجتمعات، وإنما تمارس عملها في الدعوة من خلال سلوكها العملي، وتعاملها اليومي، وقيامها بالواجبات نحو زوجها وبيتها وأسرتها ومجتمعها.

ويمكن أن تحدد لنفسها برنامجاً واضحاً، تمارس فيه نشاطها، وتؤدي واجبها نحو ربها ـ عز وجل ـ ونحو نفسها وزوجها وبيتها ومجتمعها.

إن مسؤولية الأسرة أكبر بكثير مما يصوره أعداء المرأة، ودعاة إهانتها، لأن الأسرة هي المؤسسة الأصل في المجتمع، وهي أساس البناء الاجتماعي والاقتصادي، والفكري، والتربوي للأمة، الأسرة هي قبل المدرسة ومعها وبعدها، هي مع كل وسيلة أخرى من وسائل التأثير في المجتمع، وغياب دورها يعني تسليم الأجيال للمجهول، ووضع الأولاد في مهب الريح، والتنازل عن الأبناء للآخرين، وترك قيادة الأمة للأقوياء والأدعياء. . .

الأسرة مؤسسة تحتاج إلى رعاية دقيقة وأمينة وواعية ولا يصلح ـ مطلقاً ـ أن يديرها أحد غير الأم، لأن علاقاتها تقوم على وشائج الرحم، وعناصرها مكونات من هذا النسيج الإنساني الذي يحمل عطف الأب وحنو الأم وحبها ورحمتها وعاطفتها نحو

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١١٢.

(٢) رواه ابن عدي بسند صحيح.

الأبناء. والأب يشرف على الأسرة، وعلى جميع شؤونها داخل الأسرة وخارجها.

وإشرافه يرتبط بالتوجيه العام، والمراقبة، وتأمين جميع حاجياتها ومتطلباتها وحمايتها، وتوفير الجو الآمن لحياتها ونشاطها. ولكنه لا يستطيع أن يباشر بنفسه كل الأعمال، أو يتابع كل الأمور، أو يشرف على الجزئيات وباختصار لا يمكنه القيام بالمسؤولية التنفيذية والتربوية اليومية للأسرة. وهذا من عمل الأم التي تشترك مع الأب في وضع الخطوط العامة لحياة الأسرة، وتقدم الرأي والمشورة والنصح بشأن ما يصلح أفراد الأسرة، ثم تقوم بمتابعة كل الأمور بنفسها يوماً بيوم، وساعة بساعة، إذا كانت تريد أن ينشأ أولادها نشأة صالحة، وأن تعدهم للحياة إعداداً جيداً مناسباً، وتحميهم من المؤثرات السلبية الضارة.

وهذا العمل اليومي الذي يحتاج إلى كثير من الجهد والجد والإخلاص والمتابعة والخبرة هو عمل المرأة، وهمها الأول في الحياة. لأن إدارتها للأسرة، ونجاحها في ذلك يعني إدارتها للمجتمع، ونجاحها في إعداده وتوجيهه إلى الخير، وصدق من قال: إن الأم التي تهز السرير بيمينها، تهز العالم بشمالها.

وإذا كانت طبيعة المرأة، واستعداداتها الفطرية تساعدها على أداء هذه المهمة، فإن تعليمها، وثقافتها، وإعدادها العلمي والتربوي المسبق عامل مهم في نجاحها.

وبرغم ما يقدمه التعليم من معلومات وخبرات للمرأة تعينها وتساعدها على القيام بمسؤوليتها في الحياة، فإن إعدادها يحتاج إلى أمور أخرى تناسب فطرتها، وتزودها بالخبرة الحقيقية، والثقافة الضرورية لأداء مهمتها.

٣.د.المساواة والفروق بين الرجل والمرأة وعلاقة ذلك بواجباتهما:

التعليم يخضع ـ في العادة ـ لأهداف ومبادئ البلدان المختلفة، وينبع من فلسفة أو عقيدة أو مبادئ تؤمن بها البلدان، وهي تختلف من بلد لآخر، ولذلك تلون المناهج والعلوم التي تعطى للمتعلمة بالألوان المناسبة لهذه المبادئ والفلسفات، ولذا لم يعد التعليم الرسمي كافياً أو ملبياً لما تحتاجه المرأة، بما يتناسب مع فطرتها التي خلقها الله عليها. وأكثر مناهج التعليم في العالم الإسلامي تلغي الفروق بين الذكر والأنثى، ولذلك تعلّم

البنات العلوم ذاتها التي يتعلمها الأولاد. وتعطى الموضوعات والمقررات والمهارات والخبرات والسلوكيات ذاتها للرجل والمرأة، وهذا الواقع يؤدي -بصورة غير مباشرة- إلى إلغاء شخصية المرأة وخصوصيتها، ويقضي على مميزاتها، ويلحق بالرجل - قهراً وتعنتاً - وكأن التعليم يردد على البنت لمدة لا تقل عن خمس عشرة سنة كلمة: أنت ذكر ولست أنثى، أو الذكر كالأنثى. يخاطبها بلغة الذكورة، ويعرض عليها تفكير الذكور، واهتماماتهم، وتجاربهم ومهنهم، وأهدافهم ويقولون لها: لا بد لك من أن تلبسي إهاب الذكور، تختاري مهنة من مهنهم، وتفكري مثلهم، وتتنازلي عن كل خصائصك لكي تتساوي بالرجل، ولا مكان لك في الحياة ولا نجاح في المجتمع إن لم تخرجي من إرهاب هذه الأنوثة.....

قهر للمرأة، وامتهان لها، وإذلال، وحكم عليها بأنها أدنى من الرجل. المرأة مثل الرجل في الخلقة، والقيمة الإنسانية وما يترتب عليها من حقوق وواجبات.

والله - عز وجل - لم يفرق بينهما في الأوامر والنواهي، والثواب والعقاب والتكاليف الشرعية، ولذلك جاء الخطاب من الله عز وجل في كثير من الأحكام للمرأة والرجل. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١) فالخطاب والثواب والعقاب لكليهما معاً.

ويقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾(٢).

ويقول: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾(٣).

وكذلك في الاعتقاد والمسؤولية وأداء الأمانة:

---

(١) سورة الأحزاب (٣٥).

(٢) سورة المائدة (٣٨).

(٣) سورة النور (٢).

ويقـــول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(1). ويقـــول: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾(2).

فالآيات السابقة خاطبت الرجل والمرأة على السواء، وهذا يدل على أنهن في كل هذه التكاليف والثواب والعقاب مثل الرجال(3).

وكذلك المساواة قائمة بين الرجل والمرأة في المجال الاجتماعي، والمجال الحقوقي، لذلك فتح الإسلام أمام المرأة مجال التعليم والتربية والتهذيب والرعاية الاجتماعية، بل جعل لها أموراً واجبة التعلم وأموراً كفائية التعلم، كما للرجل أيضاً.

واعطاها الأهلية المالية الكاملة بعد بلوغها سن الرشد، وحدد لها نصيبها في الميراث، وحريتها في التصرف بالمال(4).

وهذه المساواة لاتتعارض مع تميّز المرأة وخصوصيتها، وتميز الرجل وخصوصيته ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾(5).

لأن الحياة قامت على المزاوجة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾(6).

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(7). ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾(8).

فكيف نجعل المرأة رجلاً أو ندعي أنها كالرجل؟ وهل هناك أكبر من هذه الغربة عندما نأتي إلى المرأة (الأنثى) فنمسخ هذا المخلوق السوي الجميل، ونحاول أن نجعل منه مخلوقاً آخر؟

---

(1) سورة الأحزاب: (٣٦).

(2) سورة آل عمران (١٩٥)

(5) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ٤/ ١٧٧

(4) المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة. د/ أحمد أبا يطين/ ٥٦ ـ ٨٣. والمرأة بين الفقه والقانون/ ٢٥ ـ ٣٠.

(5) سورة آل عمران (٣٦).

(6) سورة الشعراء (٧).

(7) سورة الذاريات (٤٩).

(8) سورة النجم (٤٥).

ألا يتناقض هذا مع أبسط بدهيات العقل والعلم والواقع والحقيقة عندما نقول الرجل كالمرأة، والذكر كالأنثى؟

ألا يعني دفاع هؤلاء المفترين عن المرأة تأكيداً منهم على أنها ليست مساوية للرجل في الحقوق والواجبات، وأنها أدنى منه في خلْقها وآدميتها وإنسانيتها، ولهذا يلبسونها ثوب الرجل، ويطلونها بلونه حتى يرفعوا من قدرها ومكانتها؟

إن الله عز وجل وهو الخالق العليم الحكيم، خلق الإنسان وجعل منه الذكر والأنثى، ولكن البشر الأبالسة يريدون أن يقولوا لنا: نحن أعلم وأعدل من الله ـ غفرانك ـ فالرجل هو الرجل، والمرأة أيضاً رجل آخر.

هذا بهتان عظيم ـ وافتراء واستهتار بالمرأة وإذلال لها وتحقير لإنسانيتها ومكانتها.

إن الفروق بين المرأة والرجل واقع وحقيقة، وفروق جسدية (ابتداء من تكوين الخلية، إلى الأعضاء) وفروق نفسية[1]. وهذه الفروق ترتبط بمسؤولية كل منهما في الحياة، ودوره ومهمته.

المرأة تحمل، وتلد وترضع وتربي... والرجل ليس كذلك.

كثير من الأعضاء تختلف في وجودها وعدمه، وشكلها، وبنيتها، ووزنها، ووظيفتها.

ولذا فإن الرجل غير المرأة، وليس الذكر كالأنثى.

ووظيفة كل واحد منهما يتبع هذه الخصائص والمؤهلات الجسدية والفطرية والنفسية، وكلاهما يتكاملان، ويشتركان في المسؤولية، ولكنهما يختلفان في الوظيفة تبعاً لمميزات كل منهما، وهذا الاختلاف في الوظيفة والعمل يشبه الاختلاف الحاصل في الوظيفة والعمل في عالم الرجال أو عالم النساء بين الطبيب والمهندس، والمعلم والعامل، دون أن يكون هذا الاختلاف سبباً في عدم المساواة، أو إنقاص حق أي منهم.

ولكن وضع أحدهم موضع الآخر يبين النتائج السيئة لهذا الوضع، فلو وضع المهندس مكان المعلم، والعامل مكان الطبيب لنتج فساد كبير، ولكان هذا نوعاً من الجنون والخطل.

---

(١) المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاوجي الألباني/ ٤٩، والحجاب لأبي الأعلى المودودي/ ١٨٥ ـ ١٩١.

الفصل الرابع

المرأة وبيت الزوجية

٤.أ.إعداد المرأة لبيت الزوجية:

هذه الحقائق التي تؤكد الفروق الجسدية والنفسية والفطرية بين الذكر والأنثى، واختلاف وظائفهما وطبيعتيهما تستدعي إعادة النظر في إعداد المرأة للحياة، ابتداء من ولادتها وتدرجها في الأسرة، واكتسابها للأفكار والسلوكيات والعادات في مرحلة الطفولة، وتدريبها العملي في حياة اجتماعية متكاملة في أسرتها ومجتمعها. ثم في المدرسة، وما يحيط بها من أجواء تناسب فطرتها، ولدى اختيار المناهج ووضع المقررات الدراسية المناسبة لها، وتحديد الأهداف الخاصة بتربيتها وإعدادها، وكذلك اختيار الأساليب والوسائل، والفروع والتخصصات، وافتتاح المدارس والكليات، وطرق تزويدها بما يناسب الفتاة، ويؤدي إلى إعدادها بشكل سليم، حتى لا تصطدم فيما بعد في الواقع الاجتماعي المناقض لطبيعتها، ولاتعاني من الكلم والقهر والإحباط، ولكي تتكامل وظائفها ومسؤولياتها مع وظائف الرجل ومسؤولياته، ولا تتعارضا أو تتنافسا كما يريد المعتدون على الفطرة الإنسانية، والمجتمع.

وهذا الإعداد يشمل كل الأمور، وفي جميع الأحوال والمراحل التي تمر بها المرأة وهو يتطلب برامج علمية وعملية واجتماعية وثقافية تستند إلى حقائق الحياة والعلم، ووقائع التاريخ ومتطلبات المجتمع، وضرورة الأمن والسلامة الاجتماعية، وحاجات الطفولة والأمومة، وحماية الأسرة وتقويتها والتنمية المتوازنة الإيجابية للمرأة وأن يكون ذلك من منطلق أساسي وهو علوم الشريعة.

ومن أهم الجوانب التي يشملها الإعداد مايلي:

١ ـ إعداد المرأة للحياة الزوجية والأسرية: الزواج سنة الحياة، وطريق البقاء البشري

على وجه الأرض لعمارتها واستثمارها والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، والمرأة ركن مهم وأساس في الزواج. لقد غرس الله ـ عز وجل ـ هذه الحاجة في فطرة الإنسان (الرجل والمرأة) وجعل في نفسيهما الميل الفطري للتزاوج لكي تستمر الحياة، وتبنى الأسرة، ويقوم المجتمع من هذه النواة الأساس.

ولكي يكون الزواج مثمراً شرع الله للإنسانية نظاماً واقعياً وإيجابياً في اختيار الزوجين، وعقد الزوجية، وإشهار الزواج، وحقوق الطرفين وواجباتهما وهذا كله يستند إلى النصوص الشرعية التي جاء بها دين الله الإسلام.

وما دام الزواج يضم الطرفين (الزوج والزوجة) فإنه من شروط نجاحه أن تتعلم الزوجة منذ صغرها أمور تهيئتها لهذه المسؤولية، وتُربَّى على أنها أنثى سوف تتحمل مسؤولية البنية الأساس في المجتمع، وتتحمل أمانة كبيرة من خلال الزواج.

ولابد من تربيتها وإعدادها على الاقتناع بأن إقدامها على الزواج، وقيامها بمتطلباته، وتحقيقها لما يجب عليها نحو الزوج، وأهله، ونحو الأسرة والأولاد وكل ما يحيط بها في الحياة الجديدة هو الأهم في حياتها وهو النجاح الحقيقي لها وهو الطريق لإثبات ذاتها وكفاءتها، وممارسة وظيفتها في الحياة، لحفظ المجتمع كله، وإمداده بسبل الحياة الهانئة المطمئنة.

كما إنه من المهم التعرف على طبيعة العلاقات الجديدة المترتبة على الزواج والقائمة على الحب والود والتراحم بين الزوجين، والطاعة وقبول قوامة الرجل، وبذل الجهد المخلص الجاد لتكون معه الأنيس، والمصاحب والناصح، والمساند، وصانع الفرح، ومشيع التفاؤل، والصبر على تحمل المشاق، والجد في القيام بالواجب. وإن تحوّل العلاقة الزوجية، هذا العقد المقدس الذي أوصى رسول الله ﷺ كثيراً بحفظه، وأمر الرجال بذلك، إن تحول هذه العلاقة إلى مايسمونه الشراكة فقط فسح لهذه العلاقة، وقضاء على الجوانب الروحية والنفسية الأهم، وإهمال الجوانب الوجدانية، والسلوكية التي تقوم على المودة، والحب، والتراحم لكي تكون أساس الوفاق الأسري، وبناء الأسرة المتماسكة،

وتربية الأبناء تربية صالحة مستقيمة وواعية، فالحياة الزوجية هي النواة الحياة للمجتمع، ونجاح الأسرة وأجواؤها التي تخيم عليها نجاح للمجتمع، وصورة للأجواء التي تسود فيه، والقيم والسلوكيات والأخلاق التي تتمسك بها الأسرة، وتجعلها أساساً لعلاقاتها ونشاطها هي القيم والسلوكيات والأخلاق التي تسود فيما بعد المجتمع. ومن هنا كانت الأسرة مهمة جداً، وكانت علاقة الزواج الذي شرعه الإسلام مهمة أيضاً، وحين تدرك المرأة ذلك، بل يتحول هذا الإدراك إلى اعتقاد ومطلب ومسؤولية وواجب وأمانة، عندما تتحول الحياة إلى مجتمع ناجح، يسوده الوئام والتعاون، وتتحقق له الآمال والطموحات الصعبة. ويغدو كما أراده رسول الله ﷺ جسداً واحداً، في سرائه ضرائه، متكاملاً متضامناً متعاوناً، ينهض جميعاً، ويسعد جميعاً.

والمرأة بحاجة إلى تفهم هذا الجانب من الزواج والاهتمام به، بل والاستعداد له نفسياً وفكرياً وسلوكياً، داخل أسرتها التي تنشأ بها، ثم في مدرستها أو معهدها، وفي كل المراحل والأجهزة المؤثرة في تربيتها وإعدادها. كما إنها بحاجة إلى أن يستقرَّ في أعماقها بأن الحياة الزوجية تعني قيامها بالمسؤولية في الحياة، وأداء وظيفتها كقطب يجمع حوله بجاذبية الحب والود والحنان والإخلاص، والزوج والأولاد بل والمجتمع، وكذا أداء وظيفتها الاجتماعية والتربوية والعلمية في هذه البنية الأساس، وفي المجتمع ككل.

وينبغي أن تكون سعادتها الحقيقية في نجاحها في وظيفتها، واستقطابها للأسرة، وأدائها للواجب، بعيداً عن المظاهر والأضواء التي لاتلمس غير البشرة الخارجية للإنسانية، وقد تكون عاملاً مخادعاً ومناقضاً للحقائق الاجتماعية والنفسية.

وينبغي أن تفرح بنجاحها في بث الحنان والمسؤولية، والمودة والطمأنينة والمتعة والواجب، فرحها بنجاحها الأكبر في الحياة.

وإن واجب الأسرة أن تهيئ الفتاة لهذه المعاني في الزواج، والاطمئنان والسعادة في قيامها بالمسؤولية هذه، والفوز برضوان الله عز وجل وتحقيق الطمأنينة والسلام الاجتماعي.

كما إن واجبها أن تربى الفتاة على الرضى السعيد، والقبول الحاني لطاعة الزوج، وأن تعرف بأن زواجها يعني أنهـا أصبحـت برعاية رجـل جديـد، لـه عليهـا الطاعـة، ورضاهـا برضاه فيما لا يغضب الله ـ عز وجل ـ وسعادتها الحقيقية لاتتحقق إلا من هذا الباب المهـم، وأن وصولها للجنة وفوزها برضوان الله ـ عز وجل ـ يتحقق عندما تحرص علـى هـذا الأمـر المبدئي. ويزداد نجاح الأسرة في ذلك، بل إن الرجـل يحبهـا كلمـا ازدادت نجاحاً في تحقيـق هذه القيم، وفي إرساء أسس البيت الناجح والأسرة السعيدة. وفي تمثـل مسؤولية الزوجـة المطيعة، الحانية الودودة، الناصحة المخلصة، وغرس الثقـة مع المحبة، والجد مع المودة، والواجـب مـع عاطفـة الصلـة الزوجيـة. والبيت المسلـم مسؤول عـن غـرس هـذه المعـاني والقيم، وإشاعة هذه الأجـواء في نفـوس البنـات، تهيئة لحياة المستقبل، مـع كنس الآثـار المدمرة لما تبثّه المسرحيات والمسلسلات، والندوات والدعـوات المضللـة الظالمـة، التـي تريـد أن تهدم هـذه الأسـس، وتثير المنازعات الاجتماعية، وتدفـع المرأة للتمـرد على فطرتهـا أولاً، وعلى عقيدتها وقيمها وأسرتها، وتدفعهـا للخـوض في غمـار الاختـلاط، لإرضـاء طلاب الشهوة، ودعاة الجنس، وأصحاب الأهواء.

والبيت المسلم مسؤول عـن إيضـاح الأحكـام الشرعية التـي شرعها لنـا رب العـالمين لتحقق الاسـتقرار والسـلام والصـلاح في المجتمع، ولتقـوم بمهمـة الاسـتخلاف في الأرض، وأداء الأمانة، لنفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

وهي مسؤولة عـن تفنيـد كـل الآراء والأحكـام والدعـوات التـي تثير الغرائـز، وتهـدد الأسرة، وتفكك المجتمعات، وتجر المرأة إلى فوضى الأخلاق.

ثم يأتي دور المدرسـة، ومسـؤوليتها في ذلـك لاتقـل عـن مسـؤولية البيـت لتعزيـز هـذه المفاهيم، وتعميق التربية والإعداد المطلوب للمـرأة لكـي تحقـق النجـاح في حياتهـا، وتزيـل الخلط واللبس والمغالطات عن معنى الحياة الزوجية، وعـن واجبـات الأسـرة، وعـن سبل النجاح والسعادة للمرأة والرجل.

والمدرسة التي تتكامل مسؤوليتها مع مسؤولية البيـت، لا تسـتطيع أن تحقـق هـذا الأمـر

إلا إذا كانت تستمد أهدافها وقيمها من أهداف الأمة وقيمها. أي من عقيدة هذه الأمة، التي لاحياة لها ولا نجاح ولا سعادة إلا بها. كما إن المدرسة التي تتولى تربية المرأة بحاجة إلى مناهج وبرامج تتلاءم مع فطرة المرأة وطبيعتها وخصائصها، ومسؤوليتها في الحياة، كما تحقق المحافظة على كيان الأسرة، وتماسكها، وتغذيها بالوسائل التي تعينها على مهمتها. ومن الخطر كل الخطر، أن تتحول المدرسة إلى نقيض الأسرة، تهدم ماتبنيه، وتعارض ما تغرسه في نفوس الأبناء، وتزرع قيماً وسلوكاً بعيداً عن سلوك المجتمع وقيمه النابعة من الإسلام.

وهذا ينقلنا إلى المناهج والمقررات، وطرق التدريس، وأساليب التعليم، وتقنياته، ونشاطاته التي تترك آثارها العميقة في شخصية الفتاة، وتكوّن لديها الاتجاهات السلوكية، بل والقيم والمبادئ، وترسم لها طريق المستقبل.

وإن الملاحظ أن المناهج والمقررات في أكثر البلدان الإسلامية تتجاهل هذه الخصوصية، ولا تراعي حقائق الفطرة البشرية للمرأة، ولهذا ترسم لها المناهج، وتضع المقررات، وتستخدم الأساليب والطرق ذاتها التي تقررها وتستخدمها مع الذكور، بحجة أن العلم لايفرق بين الرجل والمرأة، وبحجة أن المرأة نصف المجتمع... إلى آخر هذه المقولات التي نراها ونسمعها.

وإن النتيجة الطبيعية لمثل هذه المناهج والمقررات، ولهذه التربية التي تستمر كثر من اثني عشر عاماً، أن تخرج المرأة نموذجاً آخر من الرجال، لا هي بالأنثى، ولا هي بالرجل، ترى نفسها مؤهلة لأن تقوم بوظيفة الرجال، وتطالب بالإسهام في تطوير المجتمع ومسيرته، وتشعر بالظلم لأنها لا تحتل المسؤوليات والقيادات والمهمات المختلفة التي يتولاها الرجل.

ويأتي المغرضون لينفخوا في هذا البوق المحرق، ويزيدوا في إشعال النار التي تحرق كيان الأسرة، وتقضي على خصوصية المرأة، وتحرمها من مميزاتها، وتأخذها من مواقعها الحقيقية في بناء المجتمع وإعداده، والإمساك بقيادة التربية وتحقيق الأمن الأسري

والاجتماعي ، والمحافظة على شرايين الحياة الحقيقية للمجتمع ، ثم تغري المرأة بالأضواء ، والأزياء ، والمظاهر الخادعة حتى يضيع الحق ، وينتفي الرشد والصواب .

إن المنطلقات التي تعتمد عليها المناهج ، والمقررات الدراسية التي تنتج عنها بحاجة إلى إعادة نظر ، والعودة بها إلى أصل الفطرة ، والتسليم بأن الإنسان ذكر وأنثى ، وأن طبيعة المرأة وإمكاناتها تختلف عن طبيعة الرجل وإمكاناته ، وأن اعتماد هذه الحقائق لا يقلل من شأن المرأة ، ولاينقصها حقوقها ، ولا يمس آدميتها وكرامتها ، بل العكس هو الصحيح ، إذ يجعلها في مكانها المناسب ، ويحفظ لها مكانتها ومسؤوليتها ، ويحقق لها الانسجام والتوافق والنجاح في حياتها ، ويحفظ كرامتها وحشمتها ، ويصون المجتمع ويحميه من الفوضى والاضطراب وحدوث الأزمات ، وانيهار الأخلاق ، وتفشّي الفساد ، بل يحميه من الزيف والخداع والبطالة المقنعة ، ويحفظ الأسرة ، ويوفر على الأمة هدر الأموال التي تنتج عن هذا المنهج المعكوس في تعليم المرأة وتربيتها .

إن كل من مارس التعليم ، أو اشتغل في أمور المناهج والكتب المدرسية يعلم أن من نجاح المنهج ، والمقرر الدراسي أن يكون ملائماً للدارس ، ملبياً لاهتماماته ، معينا له على ترقية مواهبه وإمكاناته ، فلماذا يتجاهل ذلك في مسألة تعليم المرأة وإعدادها .

٤-ب-إعداد المرأة للقيام بإدارة المنزل، وجماله ونظافته...

وهذا جانب مهم أيضاً ، لأن المنزل مكان اجتماع الأسرة ، ونشأة الأطفال وراحة أفراد الأسرة. وطبيعة المكان وشكله تعكس صورة أصحابه ، وبصورة خاصة صورة المرأة ، وإدارة المنزل تحتاج إلى خبرة وذوق ، لكي يبدو جميلاً ومريحاً ومحبباً لجميع أفراد الأسرة. ولا فرق بين المنزل البسيط والمنزل الفخم ، لأن الأساس في الموضوع حسن الترتيب ، والمحافظة على النظافة ، بل وإشاعة العادات التي تحافظ على نظافة البيت وترتيبه وجماله ، واستخدام مافيه من أثاث استخداماً صحيحاً ومناسباً ، والملاءمة بين الضرورات والموجودات ، ووضع الشيء في مكانه الصحيح .

لقد دأبت البيوت الحديثة الاستعانة بالمؤسسات الخاصة لاختيار الأثاث المناسب ،

وترتيبه داخل المنزل، ووضع اللوحات، والمصنوعات وغير ذلك مما يختص بترتيب المنزل باسم (الديكور) واستسلمت المرأة للأذواق الغربية، والمستوردة البعيدة عن البيئة، والمتناقضة مع العادات والتقاليد، والمخالفة - أحياناً - لبعض الأمور الشرعية. ولم تكلف نفسها عناء التفكير الواقعي الذي يتلاءم مع ظروف أسرتها، وواجباتها والضرورات المترتبة على الأسرة، والأهداف التربوية والعملية التي تحكم ترتيب المنزل. إن القصور في هذا الجانب وصل إلى حد بعيد بحيث أصبحت المرأة تبحث عن أشياء غريبة تقلد بها الآخرين، ولا يهمها معرفة الغاية من كل حاجة، بقدر مايهمها المظهر الذي يدل على المعاصرة، وتقليد الآخرين.

إن هذا الجانب مهم وكبير، والمرأة هي التي تضفي على البيت جماله ونظامه ونظافته، وتناسقه، ومعرفة الضروري وغير الضروري، واستخدام الأمور في محلها، والتناسب بين طبيعة البيت، وقدرة الزوج المادية. وهي التي تختار ماتراه مناسباً لتحقيق الأهداف السامية لأسرتها، وإشاعة روح الوئام والطمأنينة والمحبة والراحة، وغرس حب النظافة والنظام، وغير ذلك من السلوكيات التي تؤثر في نشأة الجيل نشأة صحيحة. وهذا كله لايتحقق إلا إذا أصبح هذا الأمر من أولويات إعداد المرأة إعداداً علمياً وعملياً داخل الأسرة، وفي المدرسة والمعهد والجامعة لتصبح قادرة على إدارة البيت إدارة ناجحة.

٤-ج-إعداد المرأة لإدارة الأسرة اقتصادياً:

اقتصاد الأسرة نواة لاقتصاد المجتمع كله. وما يسود داخل الأسرة من سلوكيات وعادات في استخدام المادة، ينتقل إلى المجتمع، والأسرة، التي تنشأ على الاستهلاك، والإنفاق العشوائي، والاهتمام بالكماليات، وعدم التخطيط للواردات والنفقات، وتزرع ذلك في نفوس أبنائها، وتعطي المجتمع عناصر غير منتجة، تستهلك وتبذر، وتجهل الواجب والضروري.

والمرأة بحاجة إلى إعداد صحيح وعلمي وعملي على إدارة اقتصاد الأسرة، وتنظيم نفقاتها على ضوء وارداتها، وتحديد الضرورات والأساسات في النفقة وتقديمها على

الكماليات، واستخدام الحكمة في تحقيق التوازن والمتعة والرضى في حدود الواقع، وزرع حب الاقتصاد والاعتدال، والقناعة، بل الزهد أحياناً، وعدم الانسياق وراء المظاهر الخادعة، والمستحدثات العصرية المترفة، والاعتماد على الذات، والتعود على الإنتاج والعطاء.

فهل تُعنى الأسرة بمثل ذلك في عصر يخضع لأدق الحسابات، وتستهلك فيه طاقات الأمة من قبل أعدائها بالمظاهر والتفاهات؟

وهل وضع المخططون والتربيون والمصلحون هذا الهدف في حسباتها لإعداد المرأة للإسهام في الحياة، وتحمّل المسؤولية؟

ألم تتحول البيوت إلى قنوات لغرس العادات التي تستنزف قدراتنا وطاقاتنا في الأمور التي لا تعود على مجتمعاتنا إلا بالضرر؟ ألم تربى المرأة على الشغف لاستهلاك أكبر قدر من قدرات المجتمع المادية، وصرفها في أمور مترفة، ومظاهر خادعة، وأزياء وأصباغ تتبدل بين يوم وآخر، وتجرُّ نساء إلى هذا المنحدر الآسن، وبالتالي يقع المجتمع أسير الإدمان على مايثير الأحاسيس الظاهرة، ويخدع الناس حتى لا يلتفتوا إلى الواجبات؟

إن هذا المجال رحب وكبير، وهو من الضرورة بمكان، فمتى نرى المرأة الواعية التي تعرف أنها بحاجة إلى مثل هذا الإعداد؟ ومتى يصبح هذا المطلب علماً وخبرة تتعلمها النساء في البيوت والمدارس والجامعات؟

٤-د-إعداد المرأة للقيام بمهمة التربية، ورعاية الطفولة وكل مايتعلق بها:

لن أطيل الحديث حول هذه الأمور، لأنها تحتاج إلى فصول طويلة، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى هذا الجانب الذي أصبح منسياً، وكأنه خارج اهتمام المرأة، وخارج اهتمام الأسرة كلها، وترتب على هذا الأمر اضطرار المرأة للاعتماد على الآخرين، والانصراف إلى أمور دنيوية أخرى لتشغل وقتها، ولتبرز ذاتها.

ولو استعرضنا بشكل سريع كثيراً من الأمور التي تنعكس بالخير، والطمأنينة والمودة، والتوفير في النفقة، وجلب الراحة النفسية للزوج والأسرة عموماً. لرأينا أبواباً من المعرفة،

والخبرة العملية، والتدريبات العملية تفتح أمام المرأة، وتكوّن شخصيتها، وتتوافق مع طبيعتها ومسؤوليتها في الحياة.

ونبدأ من المرأة ذاتها، وطريقة تعاملها مع زوجها، وجوانب العناية بنفسها، والحرص على الظهور في بيتها بكل مظهر حسن، ومنظر جميل، بحيث تضفي على بيتها عواطف المحبة والألفة، وتدخل السعادة والثقة في نفس زوجها... وهذه أمور تصرف عليها النساء الكثير من النفقات لتبدو في مظهر يلفت النظر أمام قريناتها، وتبخل في الوقت ذاته على بيتها ورجلها، وهناك أخريات لايلتفتن إلى هذا الأمر أبداً، فلاتقع عين الزوج إلا على ثوب العمل، ومنظر التعب... إلخ... مما يزيد في تعبه، وينفره من بيته.

وكذا الحمل، وما يرافقه من أمور تحتاج إلى خبرة ودراية، والمرأة الواعية تستطيع أن تتزود مسبقاً، وعندما تصل إلى سن الزواج بمثل هذه المعلومات والخبرات التي توفر لها الراحة والطمأنينة، وتساعدها على اجتياز مراحل الحمل ثم الولادة بسلام، وتوفر عليها وعلى أسرتها كثيراً.

من النفقات التي تحتاجها في الاستشارات الطبية، الضرورية وغير الضرورية ثم تأتي التربية والرعاية للطفولة، وهو باب واسع يحتاج إلى خبرات ومعلومات علمية وعملية تتلقنها المرأة، وتتدرب عليها قبل إقدامها على الزواج، وتشكل برامج، أو مقررات دراسية متخصصة، تعطى للمرأة في مرحلة مناسبة من مراحل دراستها.

وفي هذا الجانب تحتاج إلى معرفة مراحل الطفولة، وما يناسب كل مرحلة من أنواع الرعاية، النفسية، والصحية، والتربوية، وفي تراثنا الإسلامي الكثير في هذا الباب، ولكن الاستفادة منه قليلة.

والعناية بالمولود منذ ولادته وحتى بلوغه سن الدراسة من الأمور المهمة، لأن الطفل في هذه السنوات يكتسب كثيراً من الأمور التي تشكل طبيعته وسلوكه، وذوقه، وعواطفه، وطرق تعامله مع الآخرين.

والأمر ليس رضاعة فقط، ولا عناية صحية، ومتابعة بدنية، وإنما هي التربية بعينها ـ

بل أساس التربية التي يخرج بعدها الطفل بعقيدة وأخلاق ومشاعر وسلوكيات (فأبواه يهودانه أو يمجسانه أوينصرانه).

وهذا يحتاج إلى دراية ومسؤولية، ووعي وخبرة، ومتابعة وقدوة حتى ينشأ الطفل بصحة جيدة، وطمأنينة نفسية، وعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، ومشاعر طيبة نحو الآخرين . . .

إن ذلك كله تخصصات مهمة ودقيقة، وتستغرق الكثير من الجهد والعلم والخبرة من المرأة، والأم والزوجة هي الأقدر والأولى، بل هي المسؤولة عن ذلك، وليس الخادمة، ولا المربية، ولا الوسائل الحديثة، ولا رياض الأطفال.

والمرأة المسلمة بحاجة إلى هذه العلوم والخبرات، وبحاجة إلى هذا الإعداد لحمل هذه المسؤولية.

هذه العناوين العاجلة تستوعب دراسات وكتباً كثيرة في مجال عمل المرأة ومهمتها في الحياة، وإدارتها لأهم المؤسسات الاجتماعية، وأساس البناء الاجتماعي والاقتصادي والعلمي للأمة كلها وهي الأسرة.

فهل هذه المهمة سهلة؟ وهل تحتاج المرأة إلى الانشغال بغيرها لتحقق ذاتها؟

وهل هي قتل لمواهب المرأة وإمكاناتها وقدراتها؟

وهل يمكن حصر هذه المهمة باختصاص واحد، أو عمل رتيب، أو دراسة قصيرة؟

إن تحقيق بعض ما ذكرنا يستغرق كثيراً من علوم المرأة واهتماماتها ودراستها، ويتطلب مراحل مختلفة لإعدادها وتأهيلها التأهيل العلمي الشرعي المبني على الحقائق والأصول، والمحقق لنجاح مهمتها في الحياة.

وإنه لمنطق غريب، ودعوة مريبة تلك التي يرددها الداعون لخروج المرأة عن طبيعتها، وتمردها على الفطرة والخلق والدين، واستخدام المرأة في غير ما خلقت له، لتختلط بالرجال، وتزاحمهم في أعمالهم، وتخلي البيت من راعيته الأساسيه، وتتركه للخادمة المستأجرة والخادم الغريب الذي لا يعرف شيئاً من أمور التربية، ولا يهمه إلا رضاء الزوجة

التي تستهلكها الأعمال الخارجية، وبرامج الزيارات والمناسبات، وأعمال صاحبات (الدواوين والصالونات)، واجتماعات النساء المتبرجات، والمتنافسات في إبداء الزينة، واقتناء الحاجيات المترفة، والتظاهر بمعرفة آخر (الموضات) والفرق في هذه الحياة الاستهلاكية المترفة، التي تقتل حس الأمومة، وحس الزوجة، والشعور بالمسؤولية، والرباط الأسري، والتراحم والود والسكينة والقدرة على تحمل الأعباء الأسرية، أو القيام بحق العشرة الزوجية المبنية على طاعة الزوج والتودد له، وحب الأسرة، وإيثار التعاون والسكينة ومراعاة الظروف، والقيام بالواجبات.

إنه المنطق المعكوس حينما يستخدمون المرأة في غير ما خلقت له وينظرون إلى قيامها في مهمتها الأسرية، وإدارتها لهذه المملكة الأساس والأهم في بناء الحياة على أنه قتل للمرأة وحرمان لها، ثم يثيرون عندها حب الخروج والتمرد، ويلبسونها جلد الرجل، ويدعونها لمزاحمته وأخذ مكانه.

وإنه العجز الحقيقي لأولئك المبطلين عن تحمل أعباء الحياة الزوجية، بل فهمها وفهم متطلباتها وآثارها وأهميتها، وحصرها في المتعة الزوجية الحيوانية فقط، تلك التي يمارسها الحيوان الأعجم الذي لا يعرف المسؤولية.

أما القدرة على القيام بالمسؤولية الناتجة عن الإدراك والقدرة والوعي، والإحساس بالواجب، وتقدير الأمانة، والتمييز بين الخير والشر والسعي لكسب مرضاة الله - عز وجل - فهذا كله من عمل العقلاء الواعين من بني الإنسان، المؤمنين بالله عز وجل، الراجين لمرضاته.

ولذلك كان الحديث واضحاً ودقيقاً حين جعل قيام المرأة بواجباتها نحو الزوج والأسرة، ونجاحها في مسؤوليتها يعدل عمل الرجل في حجه وجهاده ونفقاته التي تفيض إلى أكبر تضحية وهي المال والنفس.

إنها قسمة عادلة حقاً، وتجسيد واقعي لعمل المرأة، وموازنة مهمة بين عمل الرجل والمرأة. له قسط ومهمة، ولها قسط ومهمة وكل قسط يتناسب مع طبيعة صاحبه.

والمرأة في قيامها بمهمتها تضحي ولا شك، تضحي تضحية تعادل الحج والجهاد في

سبيل الله. وهي حين تضحي، وتطوّع عملها وظروفها وطاقاتها الجسدية والنفسية والفكرية والإبداعية لنجاحها في مهمتها الأساسية، تنال هذه المكانة السعيدة التي بشرّها بها رسول الله -ﷺ- وتتبوأ الصدارة في المجتمع، وتصبح -بحق- أماً للأجيال المؤمنة البانية المتعلمة الواعية الناجحة، والمنطلقة في كل الميادين لصنع الحضارة الإنسانية الراشدة، وبهذا تستحق رضوان الله عز وجل، وتستحق أن تكون الجنة التي يسعى لها المؤمنون تحت أقدامها. ولكن ذلك يحتاج إلى جهاد وتضحية تكافئ جهاد الرجل وتضحيته ولذلك قال رسول الله ﷺ «وقليل منكن من يفعله».

٤.هـ-مثل من تاريخنا الإسلامي:

لا شك أن هناك فرقاً بين الأسرة المتحررة المتطورة التي خرجت منها المرأة عن فطرتها، والأسرة التي يعيش فيها الرجل والمرأة زوجين شريكين متعاونين. يقوم بواجبه وتقوم بواجبها، فيعيش الرجل مطمئناً سعيداً واثقاً، وينطلق في الحياة نشيطاً متفائلاً مبدعاً، قوياً في الحق، لا يزيده التعب إلا مضاءً وسعادة، لأنه يستظل في ظل المودة الزوجية، والرحمة والسكينة والحب والتعاون، وكذلك تعيش المرأة هانئة سعيدة راضية بما تناله من ثقة ومحبة، وبما تؤديه من عمل يقربها من الجنة. وإذا عانى الزوج هماً، أو لاقى صعباً، أو تعرض لمحنة، استقبله البيت باشاً، ولقيته الزوجة مهتمة تشاركه ما ألم به. وتتعاون معه على اجتياز الصعاب فتستل من قلبه الحسرة، ومن نفسه العناء، ومن جسده التعب ومن أفكاره الضيق، حتى يعود ثانية أكثر عزماً وأملاً، وأكثر بشاشة وصلابة، فينجح، ويفوز، ويتخطى الصعاب، ويتحمل المشاق بعذوبة وصبر وطمأنينة.

هل رأينا الفرق بين هذه الأسرة، والأخرى التي لا رابط فيها بين الزوجين إلا لذة الجنس، وسقف البيت، وساعات محددة من اللقاء.

لا مودة، ولا رحمة، ولا قربى. ولا مشاركة في المشاعر، ولا توافق في الأفكار، ولا تعاطف في صروف الحياة. . . وإنما هي ساعات لا بد منها، ومنافع متبادلة، وصراع خفي أو ظاهر. ذلك البيت عذاب مهما كانت مظاهره، وتنافر وتضاد ونزاع في كل شيء

ولذلك يهربون منه إلى المنتديات والحفلات، والمطاعم، والمناسبات المختلطة، لعلها تروي ظمأ لا يرتوي في جو الأسرة، أو يعوّض مفقوداً لا يُعوَّض، أو يلتمس سعادة مفقودة في صخب الحفلات و. . . .

وهنا نذكر خديجة رضوان الله عليها ـ كمثلٍ وقدوة لنساء المسلمين في موقفها من الدعوة وإسهامها فيها، حتى نالت من الله الرضوان. إنها الزوجة المسلمة الداعية الأولى في الإسلام. والمثل والقدوة لقيام المرأة بمسؤوليتها، وفاعليتها وأثرها في ذلك بدون صخب أو خروج عن فطرتها. قبل نزول الوحي كان رسول الله ـ ﷺ ـ «يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه [1] الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء» [2].

هذا موقف خديجة قبل أن يُبعث رسولاً، تعين زوجها على العبادة، وتزوّده بما يحتاج، وتيسّر له أمر التفكر في هذا الخلق، والخلوة مع الله عز وجل، وفي ذلك ما فيه من طمأنينة النفس، والثبات على الأمر، والثقة بالطريق الذي يسلكه للوصول إلى الحق المبين، ما دامت تثق به مخلصاً، صادقاً أميناً مستقيماً.

وبعد الوحي، كان الموقف أعظم وأوعى: «فجاء الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ ».

فرجع بها رسول الله ـ ﷺ ـ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال: زمّلوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق»

(١) التحنث: التعبد.

(٢) من حديث بدء الوحي، في البخاري ومسلم وغيرهما.

هذا موقف خديجة العاقلة الواعية، التي ترعى حق الزوج، وتقف إلى جانبه، وتعيش كما يعيش في تفكيره وهمومه، تساعده، وتشاركه، وتخفف ما يشعر به من الروع، والخوف . . فتطمئنه بعذوبة قولها، وسداد تفكيرها، وصحة منطقها، وحنو نفسها، ومودة روحها، ورحابة نظرها .

ولكي تزيد طمأنينة، وتزيده ثباتاً ـ «انطلقت به حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا بن عم، اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ـ ﷺ ـ خبر ما رأى، فقال له ورقة :

هذا الناموس الذي نزّل على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (أو مخرجيَّ هم؟) قال : نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئتَ به إلا عُوديَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً » (١) .

هذه صورة المرأة التي تقوم بمسؤوليتها في الحياة، وهي مسؤولية عظيمة وكبيرة ومهمة، فخديجة ظلت تعين زوجها، وتوفر له كل أسباب الراحة، وتقدم ـ رضي الله عنها ـ للنبي نفسها، كما قدمت له مالها، وتفانت في طاعته وخدمته، وتهيئة كل أسباب السعادة والراحة له، فكانت بحق الزوجة المثالية الكريمة الصالحة . وكانت ـ رضي الله عنها ـ تتولى خدمة النبي ـ ﷺ ـ بنفسها، ولا تكلف أحداً غيرها بذلك ـ فقد جاء في الحديث النبوي الشريف «أتى جبريل النبي ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»(٢) . فهي التي تأتيه بالطعام والشراب، وتقوم على خدمته، ولو كان هناك من يقوم عنها بذلك من خدمها .

---

(١) في البخاري ومسلم، وانظر الجامع بين الصحيحين، جمع صالح أحمد الشامي ٤/ ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) صحيح البخاري .

وقال ابن حجر «كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط، كما وقع لغيرها» (١) . ونقل عن السهلي قوله عنها: «لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونّت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها» (٢) .

وقال: «إنها أول من أجاب إلى الإسلام، ودعا إليه ـ بعد رسول الله ﷺ وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام، فلها مثل أجر من جاء بعدها، ولا يقدر على ذلك إلا الله».

هذه المواقف تصور المرأة المسلمة الداعية، في مواقفها، وقيامها بمسؤوليتها في بيتها ومع زوجها، وإسهامها، بل تأديتها لواجبها في الدعوة، وهل أجلّ من هذا الواجب، وهل أروع من هذا الموقف وهذه التأدية التي كان لها أثرها في الدعوة كلها.

إننا بعد خمسة عشر قرناً ـ نرى الأمر سهلاً، لأن الدعوة انتصرت، والإسلام وصل إلى أقاصي الدنيا، وأصبح ذكر محمد ـ ﷺ ـ في العالمين ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. ولكن الأمر لم يكن كذلك في تلك اللحظة، ولهذا قال رسول الله ﷺ لورقة بن نوفل متعجباً وخائفاً: «أو مخرجيّ هم» . قال ذلك وهو النبي المرسل لأنه بشر، فكيف بخديجة المرأة الشفوقة الحانية الضعيفة؟

ومع ذلك، مع هذا الذي قاله ورقة، لم تضعف، بل زادت ثباتاً وإصراراً على مناصرة زوجها، والوقوف معه، وتحمّل كل الأعباء والمشقات التي ستأتي فيما بعد، ولذلك قال بعض العلماء: كان زواجه منها من نعم الله سبحانه وتعالى التي أنعم الله عليه بها، وأشار إليها بعد ذلك في قوله الكريم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾(٣) .

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق، وانظر كتاب السيدة خديجة أم المؤمنين للأستاذ عبد الحميد طهماز ٤٥ ـ ٤٦ . وفيه كثير من الفوائد والتحقيقات عن خديجة رضي الله عنها.

(٣) سورة الضحى: (٦ ـ ٨).

قال بعض علماء التفسير: أغناك بمال خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها[1] .

وهكذا أسلمت أول الناس، وأصبح بيتها أو بيت إسلامي في الدنيا، هذا الموقف العظيم يذكرنا بمواقف زوجات رسل آخرين، امرأة نوح، وامرأة لوط (عليها السلام) ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2]. فالأمر لم يكن متعلقاً بكونها عرفت أنه رسول الله ﷺ فهاتان امرأتان عرفتا أن زوجيهما رسولان ومع ذلك لم تؤمنا، وكانتا مع الكافرين، ودخلتا النار مع الداخلين.

أما خديجة، فموقفها هذا، موقف التصديق والتثبيت، والتبشير. كان في ذلك الوقت العصيب الذي كذّبه به كل الناس حتى أقرب الناس إليه عمه أبو لهب، ولم يكن يعلم أو يتيقن أحد بأنه النبي المرسل، إلا من هداه الله.

بل كانت خديجة تقف مثل هذا الموقف قبل الوحي. فقد روى ابن سعد عن هشام ابن عروة عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «يا خديجة إني أرى ضوءاً، وأسمع صوتاً، لقد خشيت أن أكون كاهناً».

ومثل هذا الموقف مخيف للرجل، ومقلق ومؤرق له، فكيف بالمرأة الضعيفة؟ ولكنها قالت: إن الله لا يفعل ذلك بل، إنك تصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتصل الرحم[3] هكذا تثبته رضي الله عنها بما آتاها ربها ـ سبحانه ـ من رجحان في عقلها، وسداد في تفكيرها[4]. وعلّق صاحب كتاب (السيدة خديجة أم المؤمنين) على المرحلة التي سبقت نزول الوحي، على ما كانت تفعله خديجة فقال:

«واحتملت ـ رضي الله عنها ـ بُعد النبي ـ ﷺ ـ عنها، وصبرت على مفارقته لها مادام ذلك يعجبه، والمعروف من أحوال المرأة أنها تغضب إذا ما ابتعد زوجها عنها ـ ولا سيما إذا

---

(١) فتح القدير ٥/ ٤٥٨.

(٢) سورة التحريم (١٠).

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٠٧.

(٤) السيدة خديجة أم المؤمنين/ ٦٤ ـ ٦٥.

تركها أياماً وحدها، وغادر بعيداً عنها»[1] . وتدركها الغيرة عليه، وتخشى أن يكون إعراضه عنها بسبب كرهه لها، أو ميله إلى غيرها. ولكنها ـ رضي الله عنها ـ خالفت جميع النساء في هذا الشأن، فجوهرها الصافي يختلف عن جوهرهن ـ رضي الله تعالى عنها ـ.

كانت تحب كل ما يحبه رسول الله ﷺ ومادام يحب العزلة والخلوة بنفسه، فليكن له ما يحب[2] ، كانت ـ فقط ـ تقلق عليه، وتخشى أن يصيبه مكروه وإذا ما تأخر في العودة إليها ترسل غلمانها وخدمها في طلبه والبحث عنه ـ ﷺ ـ وقد خرجت معه في بعض المرات إلى غار حراء، وصحبته هناك في عزلته وخلوته [3] .

جاء في بعض الروايات أنه ـ ﷺ ـ خرج في بعض المرات إلى غار حراء، ومعه أهله[4]. وهذه المواقف من طبيعة المرأة السوية، ومن فطرتها المستقيمة.

ومن المواقف التي تدل على ميزات هذه الزوجة الصالحة، في وقفتها العظيمة مع رسول الله ﷺ ، ذلك الموقف الذي أرادت به اختبار من يأتي رسول الله ـ ﷺ ـ لتتأكد من حقيقته، فقالت للنبي ـ ﷺ ـ :

«يا ابن عم: أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟

قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا خديجة هذا جبريل قد جاءني» .

فقالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم» قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى، فتحول رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس في حجرها، قالت: يا ابن

(١) ما بين المعترضين عن الفقرة المأخوذة من الكتاب.

(٢) لم يكن آنذاك رسولاً، ولم يكن يعلم أحد أنه سيرسل.

(٣) السيدة خديجة أم المؤمنين (٦٧).

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣١٢، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢١٩.

عم اثبت، وأبشر، فوالله إنه ملك، ما هذا بشيطان»(١).

ذلك الموقف العظيم، تبعه موقف إيمانها برسالة النبي -ﷺ- والتصديق بنبوته، حتى نالت السبق على جميع الخلق إلى الإسلام والإيمان.

واتفق العلماء على هذه الحقيقة فقالوا: خديجة أول من آمن بالله - عز وجل - من الرجال والنساء، ولم يستثنوا أحداً(٢).

وقال ابن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة(٣) قال ابن حجر - رحمه الله -: ومن مزايا خديجة أنها مازالت تعظم النبي - ﷺ - وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها(٤).

يقول ابن عباس رضي الله عنه في ذلك: «كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله، وصدق محمداً- ﷺ - فيما جاء به عن ربه، وآزره على أمره، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه، ومن ردٍ عليه وتكذيب له، إلا فرّج الله عنه بها، تثبّته، وتصدّقه، وتخفف عنه، وتهوّن عليه ما يلقى من قومه(٥). وكانت وزيرة صدق للنبي -ﷺ- على الإسلام، وكان يسكن إليها(٦).

وهذه الشهادة، وهذا الوصف من ابن عباس يوضح أثر المرأة المسلمة، والزوجة الصالحة، ومسؤوليتها ودورها في الدعوة، وجاءت مقاطعة قريش للمسلمين ومن معهم من بني هاشم لثلاث سنين، فكان لخديجة - رضي الله عنها - دور كبير في تخفيف المحنة - ومواساة النبي -ﷺ- وتأمين ما تستطيع من الطعام للمسلمين أثناء المقاطعة، واستعانت بابن أخيها حكيم بن حزام - رضي الله عنه - لهذا الأمر، فكان يشتري الطعام ويرسله إلى

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣. وسبل الهدى والرشاد ١/ ٣١٤، والسيدة خديجة (٧٧).

(٢) الاستيعاب ٤/ ١٨٢٠.

(٣) نظرة سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤.

(٤) الإصابه ٧/ ٦٠٣.

(٥) الاستيعاب ٢/ ١٨٢٠.

(٦) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٥٧١.

عمته خديجة ليلاً، لتقدمه إلى زوجها والمسلمين. هكذا تضرب خديجة لنساء العالمين المثل والقدوة: كيف تؤازر الدعوة، وكيف تخدم في سبيل الله، وكيف تكون مع الزوج لكي تسهم في الدعوة.

كم كانت لهذه المواقف من أثر في حياة المسلمين؟ وكم كان لخديجة من أياد بيضاء لا تنسى في مسيرة الدعوة!! وكم كان لها من المكانة عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ؟

ولهذا عندما توفيت خديجة - رضي الله عنها - في العاشر من شهر رمضان في السنة العاشرة من البعثة، وبعد خروج بني هاشم من حصار الشعب، وكان عمرها خمساً وستين سنة، حزن رسول الله - ﷺ - لموتها، ونزل عند دفنها في قبرها، قبل أن تشرع الصلاة على الجنازة، وعرف ذلك العام بعام الحزن، لوفاتها ووفاة عم رسول الله - ﷺ - أبي طالب. وأصبح رسول الله إذا عاد إلى البيت مهموماً مكروباً من كثرة ما يلقى من أذى المشركين وكيدهم، لا يرى وجه خديجة وهي تستقبله بإشراقة وجهها وصفائه وابتسامته، فقد ابتسامة الثقة والأمل التي كانت تستقبله بها، وفقد كلمات التثبيت والتبشير التي كان يسمعها منها رضي الله عنها [1] وفقد الزوجة التي بنت الأسرة المسلمة المؤمنة، أسرة الدعوة، والبيت الإسلامي الأول. ولهذا كله نالت تلك المكانة عند الله - سبحانه - وعند رسوله - ﷺ - وعند المؤمنين.

تقول عائشة - رضي الله عنها - وهي الزوجة الحبيبة الأثيرة عند رسول الله - ﷺ:

(ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي - ﷺ - ما غرتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي - ﷺ - يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد» [2] ».

وفي رواية قال: «ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ

---

(١) السيدة خديجة (٩٦).

(٢) البخاري.

كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء» (١) .

وقال عنها رسول الله - ﷺ - : «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» وأشار وكيع - أحد رجال السند - إلى السماء والأرض (٢) .

و - تاريخنا يقدم الكثير من النماذج عن النساء الواعيات:

خديجة - رضي الله عنها - ليست تاريخاً، وإنما هي واقع ومنهج وقدوة، للمرأة المسلمة الداعية، للزوجة التي ضربت أنصع الأمثلة في ابتغائها مرضاة الله - عز وجل - وقيامها بمسؤوليتها أحسن قيام، وتحملها مشقات الدعوة، وظروفها، وإسهامها بكل ما تملك من نفس ومال، وتفكير ومشاعر لمؤازرة الزوج المتحنث، الصادق الأمين، الطاهر، ثم النبي المرسل، عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولذا فإن تدارس حياتها كلها، منذ أن سعت للاقتران بمحمد الشاب ﷺ الصدوق الأمين، وإلى أن وافاها الأجل - عليها رضوان الله - يرسم للمرأة معالم طريقها إن كانت تريد الآخرة، ورضوان الله، وتريد أن تسلك السبيل الصحيح للوصول إلى الجنة، والظفر بمرضاة الله - عز وجل - وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، والقيام بواجبها كزوجة مسلمة داعية، مسؤولة عن أسرتها وبيتها، ومؤتمنة على زوجها وأولادها . إنها تركت تجارتها، ومكانتها في مكة، وشهرتها في المجتمع، لتتفرغ للزوج، والدعوة في بيت الزوجة، وأعطت القدوة بعملها وصدقها، وتربية بناتها، وحسن تصرفها وليس بخطبها وأحاديثها . وخديجة - رضوان الله عليها - التي رسمت للنساء هذا الطريق، كان لها يد تفخر بها نساء الإسلام جميعاً في مسيرة الدعوة، ومؤازرة رسول الله - ﷺ - وتحمل المشقات، كما كان لها فضل في حفظ البيت النبوي - نبراس هدى وإصلاح، ونبراس تضحية وبذل، ونبراس عزة وكرامة، ونبراس فضل وخلق . وكان لها يد في تربية بناتها الأربع، فكن الطاهرات

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٣٧ عن مسند الإمام أحمد .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .

الفضليات، المؤمنات الصادقات، وكانت كل واحدة منهن نموذجاً في التقوى والفضل والصلاح، والصدق والإيمان(١). وكل لهن من الفضل والمكانة ما جعلهن في القمة المشرقة بين نساء الإسلام، لا لكونهن بنات رسول الله ـ ﷺ ـ فقد قال ﷺ : «لا أغني عنك من الله شيئاً» لأحب بناته فاطمة ـ رضوان الله عليها.

ولكن هذا الفضل جاء من إيمانهن، وصدقهن، وحسن سيرتهن، فلقد كانت كل واحدة منهن نعم الزوجة الصالحة، والأم الحانية المؤمنة. نعم البنت التي حملت صفات المرأة المسلمة الداعية في بيتها وأسرتها ومجتمعها.

وفي تاريخنا كثير كثير من هذه السير والتراجم التي تحتاج إلى تدارس وتفقه، ابتداءً من سير أمهات المؤمنين، والصحابيات الفضليات، مثل أسماء ابنة أبي بكر، ونسيبة وأم سليم، وأسماء بنت عميس، وأم أيمن بركة وغيرهن كثيرات. وإلى أن نصل إلى مطامع هذا العصر الذي غابت فيه سير الصالحات، وأصبح الناس يتناقلون أخبار (النجوم) ممن خرج ليجاهر بالمعصية، ويدعو إلى الفجور والفساد، وصارت (النجوم) الجديدة موضع الاهتمام والحديث، ومتابعة حياتهن، والتعرف على أسرارهن، وعرض صور الخلاعة والرذيلة بكل جرأة ووقاحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٢).

وفي عصرنا الحاضر كثير من الوقائع والصور المشرقة، لنساء مسلمات داعيات وقفن مع أزواجهن مؤمنات صابرت في أيام المحن، وصمدن للعواصف التي مرت بأسرهن، فصبرن على الجوع، والمضايقة من رجال الأمن، والملاحقة من أصحاب السلطات والنفوذ، والإغراءات من أصحاب الأهواء والمنافع، وبقين على العهد، ينتظرن الزوج

---

(١) ذكرت كتب الأحاديث كثيراً من أخبار أمهات المؤمنين، وبنات رسول الله ﷺ وإن المرأة المسلمة بحاجة إلى مدارسة أخبارهن، ومعرفة حياتهن، والتفقه في الكثير من الأمور التي ذكرت في سيرهن ومناقبهن، وخير للمرأة التي تحرص على متابعة أخبار النساء الشهيرات من (فنانات وكاتبات و . .) أن تتابع أخبار الصالحات، بل أن تدرس هذه الأخبار دراسة متأنية واعية، لكي ترسم لنفسها منهجاً واضحاً في الحياة، ولكي تعرف صوراً عملية واقعية. لسلوك المرأة المسلمة وتصرفها في جميع الأحوال والظروف.

(٢) انظر كتاب الإصابة الجزء الثامن، وكتاب تهذيب الكمال الجزء (٣٥)، وكتاب أعلام النساء، وسير أعلام النبلاء وغيرها من كتب التراجم.

السجين، ويقفن معه بثقة وصبر، لا تتغير ثقتهن نتيجة الادعاءات الباطلة، ولا تضعف نفوسهن من الضغوط الظالمة، وبعضهن مضى بهن الشباب ووصلن إلى الكهولة وهن صابرات حتى آذن الله لأزواجهن بالفرج وخرجن بعد عقد أو عقدين من الزمن فاستأنفوا الحياة من جديد.

إن هذه الصور كثيرة، والتضحيات متنوعة، ولا مجال هنا للتفصيل في هذا، ولكن مثل هذه الصور تبين أثر الإسلام والدعوة في تربية المرأة التي تتحمل المسؤولية بوعي وصبر، وتحتسب ما تلقى من عذاب وضيق عند الله، وهذا هو الإيمان الحقيقي.

إن مهمة الزوجة المسلمة الداعية اليوم مضاعفة، فهي مسؤولة عن حماية نفسها من الوقوع في هذا التيار الساقط الآثم، أو التأثر به، أو الاهتمام بأخباره، وكذا حماية أسرتها: أولادها من بنين وبنات، وكذا زوجها بما تقوم به من أعمال مفيدة، وإرشادات صالحة، وممارسات واعية، وبما تقدمه داخل الأسرة لتشيع فيها جواً صحيحاً سعيداً، ملؤه الصلاح والتقوى والخوف من الله، والقيام بالواجبات، ومحاربة الفساد، والبعد عن كل ما يغضب الله، ويسيء إلى الإنسان.

وهي مسؤولة عن تقديم الصورة الوضيئة الإيجابية في مجتمعها، صورة المسلمة الواعية، التي تخاف من الله - عز وجل - وتخشاه، ولا تخاف أحداً سواه، التي تقدم الخير للناس، وتدفع عنهم الشر، وتحب لهم النفع، وتكره لهم الضرر، وتؤثر مصلحتهم وصلاحهم على أي منفعة أخرى، تعاملهم بالحسنى، وتكون قدوة لهم في الإيمان والسلوك والبذل والخير.

من كل ذلك أصبح واضحاً أن للزوجة دوراً مهماً في أسرتها، وأنها حين تريد أن تكون داعية تبدأ من نفسها، وزوجها، ثم أسرتها، ثم تتوسع شيئاً فشيئاً بما يتناسب مع طاقتها وقدرتها وظروفها.

فهي مسؤولة عن إشاعة جو الحب والمودة والرحمة في بيتها، تصنع بوعي وإدراك لزوجها السعادة الحقيقية، السعادة التي تتعدى المظاهر، والأحاسيس المادية، لتشمل

أعماقه: قلبه، ومشاعره، ونفسه، وفكره، فيشعر بآثار المودة والحب عميقة في قلبه، شاملة لكيانه، وتنعكس رضى ومحبة ومودة مع زوجته، والناس جميعاً، وتنعكس طمأنينة واستقراراً وتفاؤلاً في حياته وتصرفاته. وتنعكس ثقة، وعزيمة وثباتاً في سعيه في الحياة، ووعيه لما يدور حوله من أمور. وتنعكس صبراً على الحق وتمسكاً به. وبعداً عن الحرام والزيف والضلال.

الزوجة المؤمنة الصالحة تمدّ رجلها بالصبر والثبات، وتعينه على كل خير. وتشترك معه لتحقيق الآمال الكبيرة التي ترضي الله عز وجل.

الزوجة المؤمنة الصالحة تكون ردءاً لزوجها في دعوته، وعمله وسعيه في الحياة، تؤازره، وتخفف عنه أعباء الحياة، وتشحذ نفسه بالعزم، وتستلّ من روحه التردد، وتوقظ في أحاسيسه الأمل، وتشيع في داخله القوة والطمأنينة، وتجعل منه الرجل الصادق الثابت المطمئن، الذي يشعر أنه يملك السعادة كل السعادة، والقوة التي تمكنه من قهر كل الصعاب، والأمل الذي يدفعه لصنع المستقبل واثقاً بالله عز وجل.

كل الأتعاب والمخارف، والصعاب تذوب في البيت المؤمن السعيد، ومع الزوجة المؤمنة الواعية، التي تبذل وتبذل لزوجها، لأنها تدرك أن في ذلك كسباً لمرضاة الله ـ عز وجل ـ وسعياً للوصول إلى الجنة، والفوز بالمنزلة السامية عند الله العزيز القدير، وقياماً بالواجب والمسؤولية المناطة بها في الحياة.

الزوجة المؤمنة الواعية، تدرك أن ممارستها للدعوة تبدأ من هذه النقطة: من زوجها الذي يصبح لها ومعها داعية لايتردد، ولا يخاف، ولا يتوهم، ولا تلفته المغريات، هي له حصن، ومأوى، وهي له قوة بدنية وروحية، وسعادة بدنية ونفسية وفكرية. بستان يجد فيه الأنس والمودة، يقطف منه ما يشاء، فيزداد يقينه بوعد الله عز وجل، ويطمئن إلى أن الله ـ عز وجل ـ يكلؤه بالرعاية، ويطمئن إلى أنه يكتنز خير ما في هذه الدنيا حقاً، هي تغنيه عن كل المغريات، وتشبعه عن كل الحاجات، وتحجز عنه عوادي الإثم والفساد، وتقدم له الكلمة الحلوة الطيبة، والنصيحة الراشدة المملوءة بالمحبة تمسك البيت بيد أمينة،

وخبرة واعية، ودراية متزايدة، فيقوى رأيه برأيها، وينقلب عزمه مضاعفاً، وطريقه سديداً، وحياته اطمئناناً وسعادة وثباتاً.

والعكس ـ عوذاً بالله من ذلك ـ إن كانت الزوجة غير ذلك، فهي المهلكة والشر، وهي باب الإثم والفتنة، والإحباط والانحراف، إن لم يكن الرجل واعياً قادراً على أن يتخلص من هذا الوضع الخطير.

والمرأة المسلمة الداعية مدعوة اليوم لمراجعة نفسها، والعودة إلى هذا الحصن، لكي تمارس فيه الدعوة الحقيقية، وتبدأ منه رحلتها الطويلة في الحياة. لأن المرأة التي لاتستطيع أن تمارس هذا الدور في بيتها كمن يحارب في أرض غير أرضه، تاركاً بيته، وبلده نهباً للآخرين، وعرضة للفساد والخراب.

٤ـ ز ـ المرأة في بيت الزوجية

للمرأة دور مهم في بيت الزوجية، وهذا الدور، جزء من دعوتها، وسبيل لكسب مرضاة الله عز وجل، وسنستعرض بعض الأمور التي ينبغي للزوجة القيام بها، لإشاعة المودة والرحمة، وتهيئة البيت ليكون أهلاً لكل خير، وبيئة صالحة للدعوة.

٤ـ ز ـ أ ـ الطاعة والسكينة للزوج، وعدم النفور، أو التأفف، أو اللعن، أو أي تصرف يثير النفور، ويؤدي إلى إغضاب الزوج، أو يشحن جو الزوجية بالشك أو الخلاف . . . وللمرأة الصالحة الواعية القدرة على ملء البيت بالسعادة والثقة، والرسول ـ ﷺ ـ يحذّر النساء من الوقوع في الشحناء: «يامعشر النساء تصدَّقْنَ فإني أريتكن أكثر أهل النار» وفي رواية: «تصدقن وأكثِرْنَ الاستغفار».

فقلن: وبم يارسول الله؟ قال: «تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن . . .»(1).

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والبيهقي. وفي رواية «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» البخاري ومسلم. وانظر جامع الصحيحين ٢/ ١١٠ رقم الحديث (١٢٥٢).

وهذه أمور تكثر في البيوت نتيجة تأثر المرأة بالمظاهر، وتطلعها إلى كل جديد، وتقليدها للأخريات، مما يجعلها تهتم بأمور ترهق البيت، وتتعب الزوج وتزيد في النفقة، بل تفتح باب الإسراف والتبذير، وتقع في دائرة التقليد الأعمى، والتشبه بالآخرين، والركض وراء كل جديد.

ومثل هذه الحالة بعيدة كل البعد عن المودة والرحمة، وبعيدة كل البعد عن السعادة الزوجية، لأن الغاية من كل هذه المظاهر، ليس إضفاء السعادة على البيت والزوج، وإنما مجاراة الآخرين، وتقليد النساء الآخريات، والظهور بمظهر التقدم ومعرفة الأزياء ومضاهاة الآخريات والطاعة لا حدود لها إلا ما يأمر به الشرع الحنيف، لأن ذلك طريقة الظفر بمرضاة الله عز وجل، يقول الرسول ﷺ:

«إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[1].

وطاعة الزوج المدخل الوحيد لوجود الود والسكينة في البيت المسلم بين الزوجين، لأنه لا يمكن لأي عمل مشترك ن ينجح بدون تحديد المسؤولية، وتحديد من له الأمر والطاعة، والخالق عز وجل، العليم الخبير الحكيم حدد للإنسانية سبيل السعادة في الخلية الاجتماعية الأولى، وجعل الولاية للرجل، والحكمة من ذلك أكبر من أن تحصى أو تجحد، ولهذا لابد من أن يكون هذا الأمر في مقدمة الأشياء التي تهتم بها الزوجة، وتقوم بواجبها فيها على أحسن وجه، لأنه ـ كما قلت ـ المدخل الوحيد لحياة زوجية سعيدة مطمئنة، ولتعاون مثمر بين الزوجين، ولأسرةٍ ناجحة تقوم بمسؤوليتها في الحياة.

وإن الطاعة للزوج، وحسن التعامل معه ينعكس ولا شك على الزوجة ذاتها، وأول ثمرات هذا الأمر، ترسيخ ثقة الرجل بزوجته، وازدياد شعور المحبة والود تجاهها، وهذا بالذات سيؤدي إلى ثمرات عملية مهمة. فالرجل يشعر بالاستقرار، والطمأنينة،

---

(١) رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وابن حبان عن أبي هريرة، والبزار عن أنس وقال الهيثمي عنه: (وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، ولهذا الحديث روايات كثيرة مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٦. وكنز العمال ج (١٦).

والسعادة، والثقة، وينعكس ذلك على عمله، ونشاطه في المجتمع، وسعيه على عياله، أو تقديمه الخدمات للآخرين. وستكون علاقاته بالآخرين أكثر اتساعاً، وأحسن ثماراً.

وسيجد دوماً في جانبه الزوجة التي تعينه، وتقدم له النصح، والمشورة، وتقف إلى جانبه في كل ما يواجهه من أمور.

وبدون الطاعة يُقضى على كل هذه الأمور، لأن النزاع والنزق، والمخاصمة وانعدام الثقة، وازدياد النفور سيزداد إلى درجة القضاء على كل نشاط، وقتل كل تطلع إلى أمر إيجابي خارج الأسرة، أو داخلها.

المودة والرحمة لا تحلّان بين الزوجين إن لم يكن طاعة من الزوجة في كل أمر، ولا سيما في نفسها، لأن في ذلك حصناً له ولها، وراحة له ولها، وسعادة له ولها، ومودة بينه وبينها. وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» (١)

وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (٢)

وعن أبي هريرة قال: قال رسوال الله ـ ﷺ ـ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها».

وفي رواية: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٣)

والطاعة لا تحدد إلا بشرع الله ـ عز وجل ـ لأن المرأة تنال مرضاة ربها في ذلك وتدخل الجنة إن كانت تؤدي فروضها وتطيع زوجها، وعملها هذا يعدل كثيراً من عمل الرجل

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم وابن ماجه وأبو داود وابن حبان. انظر (كنز العمال ج١٦).

(٢) أخرجه الترمذي وابن حبان والبزار، والطبراني وأحمد.

(٣) أخرجه الشيخان والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

وطاعته لله عز وجل، بل هو المدخل الصحيح للثقة، والحياة الأسرية المنتجة.

وروت عائشة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قوله: «أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه» (١)

وعن معاذ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه» (٢).

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها قالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الرجال فُضِّلوا علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز، والحج، والعمرة والرباط (أي الجهاد).

فقال رسول الله ﷺ: «انصرفي أيتها المرأة، وأعْلِمي مَنْ وراءك من النساء، أن حُسْنَ تبعُّلِ إحداكنَّ لزوجها، وطلبَها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله» (٣)

من ذلك كله نخلص إلى أن طاعة المرأة لزوجها يعدل كثيراً من الطاعات التي يقوم بها الرجل، حتى إنها تقوم مقام الجمع والجماعات وعيادة المرضى، والجهاد، بعد أن تؤدي ما عليها من الفرائض وهذا بالتأكيد على الطاعة، وهذا البيان لما تنال المرأة من الخير والثواب عليها دليل على أهميتها وأثرها في حياة الزوجين، وأثرها على الأسرة التي يريد الإسلام بناءها على المودة والمحبة والرحمة. إنه المدخل الوحيد، والركن الأساسي في هذه الصورة المنشودة لحياة الأسرة، والمنطلق النفسي والفكري للمرأة الداعية.

فالمرأة التي تعي هذا، وتدركه، وتعرف أن فيه الخير كل الخير، والثواب كل الثواب تكون قد خطت الخطوات الصحيحة في قيامها بالدعوة، وتكون قد حققت أول نجاح لها في دخولها قلب زوجها، وإشراكه معها في كل خير تريده، وتكون قد بدأت الدعوة حقاً مع زوجها، الذي تدخل قلبه، وتستأثر بحبه، وتكسب ثقته ومودته، وتفتح معه أبواب المستقبل.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه.

(٢) رواه الترمذي، والطبراني.

(٣) رواه ابن عساكر.

الطاعة تقضي على أكثر أسباب الخلاف والنزاع في الأسرة، وتمنع النفور والصراع، لأن ذلك يوطن أسس العلاقة، ويدفع الزوج لتحمل المسؤولية، وبالتالي، لفتح المجال أمام الزوجة في كل ما يفيد.

ولماذا تخرج الزوجة عن طاعة الزوج؟

إن الإجابة عن السؤال يمكن اختصارها بأمر واحد، وهو: عدم التزام المرأة بما حدده الله لها، من الإذعان للزوج، والطاعة له، والإقرار بولايته ومسؤوليته، وبالتالي منازعته في المسؤولية، ومحاولة أخذ مكانه، وهذا يخالف طبيعة الحياة، ويخالف شريعة الله عز وجل

٤ـز ـ٢ـ قرار الزوجة في البيت[١]:

أما القرار في البيت فهو من المثيرات التي يشبّ بسببها الخلاف في كثير من الأحيان.

يقول الله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾[٢] والخطاب لأمهات المؤمنين، والمفسرون يشيرون إلى أن في الآية دلالات على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت، منهيات عن الخروج [٣]، وفي الآية إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن وهو المقرّ، وما عداه استثناء يعتبر طارئاً لا يثقلن فيه، ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تُقضى ويقدرها [٤] والأحاديث كثيرة في ذلك منها:

«إذا المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها» [٥].

---

(١) انظر (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم) ٤/ ٣١ وما بعدها و٧/ ٢٨٨ وما بعدها، وفيه كلام وتفصيل جيد ومهم عن ذلك.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣٣ـ٣٦٠.

(٤) في ظلال القرآن الكريم / ٦ـ١٤.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط، والترمذي في جامعه بدون قوله: وإنها لا تكون، وانظر حسن الأسوة/ ٤٥٥ والترمذي ٤ ـ ٣٣٧.

وكذلك قوله ـ ﷺ ـ لأم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رداً على قولها: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. فقال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي».

فأمرت أم حميد، فبُني لها مسجد في أقصى شيء، من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل [1].

هذا الحديث يشير إلى أهمية القرار في البيت، وإلى أهمية البيت بالذات، الذي هو محضن الأسرة كلها، ومنطلق التربية والإعداد للأفراد ولا سيما إذا علمنا أن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا في المسجد الحرام وإن المرأة أقرب ما تكون إلى الله تعالى عندما تكون في قعر بيتها.

ومن ناحية أخرى فإن الخروج من البيت يعرضها للفتنة التي حذر منها رسول الله ﷺ وبالتالي تخرج عن رسالتها وهدفها في الحياة.

يقول ﷺ «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» [2]

أي إن المرأة، إذا خرجت من بيتها زينها الشيطان في نظر الرجال، وتعرض لها لإغوائها [3]. هذا من ناحية الاستشراف الجسدي، والإغواء الجنسي. وكذلك تبدأ غوايتها في ما تراه في الطريق، والسوق، وعند الأخريات من أمور تدعوها للتقليد، وحب الظهور، وشهوة البروز ومماثلة الأخريات. أي أن خروجها ـ لغير حاجة مشروعة من البيت ـ هو الذي جر المرأة إلى التحدث عن الحرية والمساواة، والمطالبة بالانفلات من عقد الزوجية المبارك ليصبح عقد مشاركة جزئية مع الرجل في أمور يتفقان عليها، وتبقى للمرأة الحرية في أن تفعل ما تشاء بعيداً عن المساءلة أو اللوم أو الالتزام بشيء، وبالتالي التخلي

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، ورواه الإمام أحمد وابن حبان، وانظر حسن الأسوة / ٤٥٤ـ٤٥٥.

(٢) الترمذي / ٤ـ٣٣٧.

(٣) المفصل في أحكام المرأة ٤/ ٣٢ـ٣٣.

عن التربية وتعهد الأبناء الحفاظ على الأسرة التي هي صمام الأمان للمجتمعات وهذا ما صارت إليه أوربا، وغيرها فنتج عن ذلك ما نراه من هذا السعار الجنسي، والفساد الخلقي، والانحطاط الإنساني، وبالتالي الاضطراب الاجتماعي، والظلم الإنساني، والأمراض الخطيرة، والعبودية المقنعة بالأثواب المضيئة والصخب الموسيقي.

والمرأة في هذا الأمر تخرج من بيتها لمصلحة مأمورة بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفر [1] وزيارة الوالدين، وعيادة المرضى، وتعزية الأقارب [2]. أو لعمل مطلوب منها كما كانت تفعل أسماء بنت أبي بكر حيث قالت: «كنت أنقل النوى من أرض الزبير ـ زوجها ـ التي أقطعه رسول الله ﷺ إيّاها على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ» [3].

ولا تخرج المرأة من البيت إلا بإذن زوجها، وهذا هو الأصل والقاعدة لنفي الشبهات، والفتن والمنازعات، وإلا كان الخروج إثماً، وسبيلاً للنزاع ولانحراف الطريق، لأن الخروج على الأصل يؤدي إلى زعزعة البيت، وإلى زعزعة الثقة، وخرم الولاية والقوامة، ويبذر بذور النزاع والشقاق. والحقيقة إن هذه الأحاديث تشير إلى أمر مهم، نغفل عنه في حياتنا ونظرنا للبيت والمرأة والمجتمع، ونتيجة لهذا الغفل يقع الخلل الكبير في السلوك والممارسة والتفكير.

الحياة كلها جزءان متكاملان وهما البيت، أي الأسرة والمجتمع. والخلل، أو الفساد في جزء منهما يجر الآخر إلى الخلل والفساد. والأسرة هي البنية الأساسية للمجتمعات والحياة. والأسر هي المعامل التي تنتج أغلى ما في الحياة بإذن الله ـ عز وجل ـ ووفق ناموسه الذي لا يتغير ولا يتبدل، الأجيال المتعاقبة، والوشائج والتعامل والأخلاق. وفي الأسرة روح التربية الحقيقية ونسغها المستمر، مهما تعددت أقنية التربية ومؤثراتها. وخروج المرأة من البيت يفقد الأسرة كل هذا. ولا يستطيع أحد أن يسدَّ مسدَّ المرأة في البيت، أو يؤدي

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/ ١٨٥ـ١٨٦.

(٢) تفسير الألوسي ٢٢/ ٦ وانظر المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم / ٤ـ٣٤.

(٣) البخاري، وانظر كتاب (ذات النطاقين) للمؤلف / ١٦٢ـ١٦٣.

دورها الصحيح. لا يسد مسدها أحد في توفير الود والرحمة والثقة للرجل والبيت. ولا يسد مسدها أحد في الحنو والتوجيه والتربية للأولاد ولا يسد مسدها أحد في الرعاية المطلوبة للبيت، وللأسرة، ولبناء حياة اجتماعية مطمئنة، ولتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي في البيت.

فالأمر ليس حجراً على المرأة وتقييداً لحريتها، وإنما التزام بالمسؤولية، وقيام بالمهمة، وتأدية للأمانة الموكولة للمرأة في البيت: «والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها». وفي رواية «والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم» [1].

والمسؤولية هذه لا تتحقق، والأمانة لا تؤدّى إذا كانت المرأة مشغولة هنا وهناك، تخرج من بيتها لأي سبب، وتبحث عن مشغلة أو تسلية أو عمل خارج البيت.

المجتمع الإسلامي مبني على الأخوة - والأخوة ليست صداقة عابرة، أو مصلحة مشتركة لفائدة محددة، أو لقرابة دنيوية. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام، والتعاون والوحدة[3]. والأخوة هذه تقتضي أن يكونوا كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4]. وهذا المجتمع - مجتمع الإخاء - مجتمع المحبة، والبعد عن كل شحناء وبغضاء وشقاق، يقول رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [5].

والفرد في هذا المجتمع مسؤول ومكلف نحو إخوانه، فهو لا يحسد إخوانه ولا يتجسس عليهم ولا ينافسهم في حقوقهم، ولا يتعدّى عليهم، ولا يفعل مايؤذيهم، ولا يبغضهم ولا يقاطعهم، وهو نحو إخوانه كما يريده ربه - عز وجل - ورسوله ﷺ «وكونوا

---

(١) البخاري . كتاب العتق.

(٢) سورة الحجرات (١٠).

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤٣.

(٤) سورة المائدة (٥٤).

(٥) متفق عليه.

عباد الله إخواناً كما أمركم، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى ههنا». ويشير إلى صدره «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه وماله...»[1].

بل علمنا رسول الله ﷺ أن من خصال الإيمان، وكما له أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2]، ويقول النووي عن ذلك: أي يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه[3] وكذلك يسعى جهده لتحقيق الخير لهم، ومن ضرورات ذلك أن يبذل النصح لهم، ويرشدهم إلى ما فيه نفعهم[4].

هذه الصورة للمجتمع المسلم القائم على الإخاء والتعاون والمحبة، لا تولد فجأة، ولا تتحقق طفرة، وإنما تأتي نتيجة للإيمان والتربية الإيمانية، ونتيجة للتربية التي يتلقاها الفرد في أسرته - والجو الذي يعيشه بين أبويه جو (المودة والرحمة) التي أشرنا إليها. وهذا هو سر الرعاية الأبوية (رعاية الرجل). ورعاية المرأة على بيت زوجها وولده، وقيامها بمهمتها العظيمة التي لا تقتصر على الأوامر والنواهي. وهي صورة باهتة للرعاية، بل على المعايشة الكاملة للأولاد، ومشاركتهم الفعلية في حايتهم، حتى تتشرب نفوسهم وقلوبهم مشاعر المودة والرحمة، وحتى تختلط بقلوبهم ودمائهم حقيقة الأخوة، وحتى تتعود نفوسهم وحواسهم على القيام بحقوق الأخوة الصحيحة، والشعور بأهمية الواجب. وهل يتحقق ذلك، والمرأة منصرفة إلى دنياها، ومظاهرها، والتمتع بألوان الحياة العصرية اللاهية، ألوان الاستهلاك والاستنزاف، والمظاهر الكاذبة؟

المرأة التي تعيش هذه الحقيقة هي التي تقوم بحق الزوج وطاعته، وتحقق معنى المودة والرحمة، وتطلب الرضوان من الله عز وجل. تقوم بهذا بلاحرج أو تأفف أو ضجر،

---

(١) من حديث طويل عن أبي هريرة «إياكم والظن...» رواه مسلم في كتاب البر، والبخاري في أبواب متفرقة كالنكاح والوصايا. وانظر رياض الصالحين باب تحريم الحسد.

(٢) متفق عليه.

(٣) شرح النووي ٢/ ١٧.

(٤) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ١/ ٢٠٧.

لأنها تذعن لحقائق الفطرة، وأوامر الله عز وجل ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] . وهذا ـ كما قال العلماء ـ يقصد به التأديب والتدبير، والحفظ والصيانة وتولي أمرها، وإصلاح حالها[2] .

وقوامية الرجل في مصلحة المرأة، وهو ما تقتضيه الفطرة وأصل الخلقة لكل منهما، وهذه القوامة تقوم على أساس المودة والرحمة، وهي ضرورية للحياة الزوجية، واستقرارها واستمرارها على نحو مرضٍ[3] .

وهذه الطاعة والرضى بقوامة الرجل، والقيام بواجب الرعاية والمسؤولية في البيت هي التي توجب الجنة للمرأة المسلمة التي تؤدي شعائرها. وهي التي تخرج أبناء يعرفون معنى الأخوة والمحبة أو الرحمة وحب الخير للآخرين. أورد ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة، قال: أتت النبي ﷺ امرأة معها صبيان لها، قد حملت أحدهما وهي تقود الآخر، فقال رسول الله ﷺ «حاملاتٌ، والدات، رحيمات، لولا مايأتين إلى أزواجهن، دخل مصلياتُهن الجنة»[4] فالحديث يدل على ثواب المرأة في تربية الأولاد ورعايتهم، ولكنه أيضاً يشير إلى أن الأصل في دخولها الجنة، طاعة زوجها بالمعروف وعدم إيذائه وقيامها بواجبه.

نخلص من ذلك كله إلى أن إرساء الحياة الزوجية السعيدة المطمئنة، يقوم على معرفة المرأة لهذه الحقائق، وقيامها بها، وتدبرها لما تقتضيه من أمور تؤدي إلى تظليل الحياة بظلال المودة والرحمة، وقيام الأسرة الإسلامية التي تربي الأجيال ـ وتعد للمجتمع رفداً وراء رفد يتمتع بكل صفات المسلم المؤمن، ليكون المجتمع صالحاً سعيداً.

وإرساء الحياة الزوجية الموفقة كما أرادها الله عز وجل يحتاج إلى شعور بالمسؤولية، وقدرة على التضحية، من منطلق فهم الحياة فهماً قائماً على الإيمان الصحيح، والنية

---

(١) سورة النساء (٣٤).

(٢) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ٧/ ٢٧٧.

(٣) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ٧/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨. وفي هذا الكتاب أمور كثيرة مفيدة في هذا الموضوع.

(٤) ١/ ٦٤٨ باب في المرأة تؤذي زوجها.

الهادفة لكسب مرضاة الله عز وجل، والظفر بالجنة وعندها ينشأ الشعور بالمسؤولية، وتنشأ القدرة على التضحية عند المرأة التي تود الوصول إلى جنة ربها ـ عز وجل ـ وترى أن حياتها هذه جزء من رسالة كبيرة تؤديها في الحياة، ودعوة تقوم بحملها، وتسعى لممارستها بكل ما يتاح لها من وسائل وظروف.

٣ـثواب الزوجة، ومسؤولية الرجل:

والمسؤولية لاتقوم على عاتق المرأة وحدها، بل على الرجل والمرأة معاً، كلاهما مسؤولان ولكن طبيعة البحث، جعلت التركيز على المرأة غاية، لأنها الأساس في البحث ـ من ناحية ـ ولأنها الأهم في قيام الأسرة، وأدائها للأمانة، وحملها للمسؤولية في الحياة.

والحديث الذي تكرر «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته». يحدد مسؤولية الرجل أيضاً: «والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (١).

وكذلك كانت هناك وصايا رسول الله ﷺ بالنساء وحسن معاشرتهن «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» (٢).

وزاد البخاري في رواية في أوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ، فلا يؤذي جاره...» وفي رواية آخرى: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج».

أليس في ذلك تبصير للرجل بحقائق النفس، ودعوة له لتحمل مسؤوليته في التعامل الصحيح، بعد إدراك طبيعة المرأة، والإحسان لها؟

---

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري ومسلم، والجامع بين الصحيحين ٣/ ٣٩ رقم (٢١٣١) وإن فهم الطبيعة الإنسانية على حقيقتها تستخلص من النصوص القرآنية والحديثية، لأن ماورد عن النفس في ذلك حقائق ثابتة، أما مايكتبه الغربيون عن النفس باسم العلم فكثير منه أقاويل ونظرات بعبدة عن الحق، تخدم مذاهبهم وتوجهاتهم، وعلى المسلم التفريق بين الحقائق والأوهام.

وكذلك كانت وصية رسول الله ﷺ للرجال بالنساء بقوله: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» (١).

ومن ذلك كراهة ضرب النساء(٢).

ومن ذلك ماورد في حجة الوداع، أثناء خطبة رسول الله ﷺ الجامعة بالناس هناك، حيث ذكر النساء، وأوصى الرجال بهن فقال: «ألاَ واستوْصُوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة، فإن فعلنَ فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مُبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن...» (٣). ويأتي قوله ﷺ في ربط الإيمان بحسن الخلق ومعاملة النساء، في ذروة هذه العلاقة الودودة الرحيمة، القائمة على المحبة والتعاون والمسؤولية حيث يقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً» (٤). وفي حديث آخر: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (٥).

وفي حديث آخر: «خيركم خيركم لنسائه ولبناته» (٦).

ومن ذلك ما أورده ابن عساكر عن علي رضي الله عنه: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم» (٧).

فهذه الوصايا والأوامر والأحكام تحدد مسؤولية الرجل أيضاً ـ وتوضح مكانة المرأة. ولكن طبيعة البحث هنا تقودنا إلى التركيز على جانب المرأة ومسؤوليتها، والكشف عن واجباتها نحو زوجها وأسرتها، وأهميتها الخاصة في قيام أسرة إسلامية سليمة، تكون لبنة

---

(١) رواه مسلم، وانظر الجامع بين الصحيحين ٣/ ٤١ رقم (٢١٣٤).

(٢) انظر الجامع بين الصحيحين ٣/ ٥١ رقم (٢١٤٠).

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود.

(٥) رواه الترمذي عن عائشة، وابن ماجه والطبراني في الكبير.

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٧) وانظر كنز العمال ١٦/ ٣٧١ رقم (٤٤٩٤٣).

قوية في المجتمع، وليس غريباً بعد ذلك أن تنال المرأة التي تنهض بمسؤوليتها، وتقوم بواجبها رضى الله ـ عز وجل ـ وتفوز بالجنة، والمدخل إلى هذا النجاح عن طريق الطاعة للزوج والإقرار في البيت، لرعاية الأسرة، والقيام بواجبها الذي خلقت له.

يقول ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»(١).

وهل هناك ظفر أكبر، ونجاح أعظم من هذا النجاح للمرأة، إنه النجاح الذي يتمناه كل مسلم مؤمن بالله عز وجل، موقن بالحساب، يرجو رحمة الله ويخشى عذابه، ويوقن بأن ما عند الله خير وأبقى.

أما الذين لا يؤمنون بالله حقاً، والذين لا يوقنون بالحساب، والذين يخضعون للهوى، ويلتمسون الظفر بالدنيا، فأولئك لن يكونوا سعداء في مثل هذه الحياة، ولن يتحملوا تبعة الحياة الحانية الودودة الرحيمة، ولن يضحوا من أجل بناء الأسرة التي يرضى عنها الله عز وجل.

وهذا هو الفيصل عند المرأة، والخيار الذي تختاره وهي تنظر إلى علاقتها بزوجها، ومسؤوليتها نحو أسرتها وولدها.

فإذا كان إيمانها صحيحاً قوياً، ويقينها بالآخرة والحساب وما عند الله ثابتاً حياً، أكثر مما تراه عياناً، وتحسه بالمدركات الحسية المختلفة، وإذا كانت مرضاة الله ـ عز وجل ـ والفوز بالآخرة، وهو الميزان وهو النجاح لها في حياتها. هو ما تؤمن به، وتتصف به، وتعمل من أجله، فلا ترى في طاعة الزوج إلا ظفراً وطريقاً إلى الجنة، ولا ترى في قرارها في البيت إلا قياماً بالواجب وأداء للأمانة، وحفاظاً على الأسرة، وتحملاً للمسؤولية، ولا ترى في خروجها وعنادها إلا ضياعاً لها، وبواراً في الدنيا والآخرة. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢).

ولهذا خيرّ الله عز وجل نساء الرسول بين نوعين من الحياة، وكان في هذا

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) سورة النور (٥٢).

التخيير تعليم لجميع النساء فقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) .

فهو خيار صعب، ولكنه الخيار الصحيح لقيام حياة إسلامية صحيحة، ولبناء أسرة مسلمة مؤمنة، ولاختيار المرأة طريقها المسؤول، طريق المجتمع الإسلامي، وطريق الجنة. إنه أمر الله - عز وجل - في هذه المهمة، وأمر رسوله ﷺ والمرأة على بينة من الأمر، وهي تستطيع - بكل سهولة - أن تتمتع بالحياة الدنيا كما تريد، وتسرح وتمرح، وتطالب بأن تكون رجلاً - باسم المساواة - وأن تتخلى عن البيت وتهدم الأسرة باسم الإسهام في بناء المجتمع وقيامها بدورها في النهضة، وكل ذلك عبر أضاليل، باتت مكشوفة لأصحاب البصيرة وطلاب الحق، لأن هدفها إخراج المرأة عن فطرتها، وتهديم الأسرة، وبالتالي تغيير المجتمع كله ليصبح بلا حياء ولا فضائل ولا قيم، فيهيم الرجل، وتهيم المرأة كالأنعام، تعبُّ من الملذات، وتغرق في الملهيات، وتحرق كل الأرض في سعار الشهوة، والمظاهر، وكسب الدنيا ومتاعها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾(٢) .

وهذا هو السبيل، وهو الفرقان بين حياة إسلامية تقيمها المرأة بنفسها وأسرتها ومجتمعها، وحياة جاهلية بكل ما فيها من زينة ومتاع وسراح عبر الأضواء والشعارات والممارسات التي نراها في هذا العصر باسم الحرية والمساواة، والتنوير والتطور وحقوق الإنسان.

ومن هذه الجولة نخلص إلى أن مسؤولية المرأة الداعية كبيرة وعظيمة في بيت الزوجية، إنها المسؤولية الأكبر والأعظم في ممارسة واجبها في الدعوة. وتتمثل هذه الممارسة في إقامة حياة زوجية على أساس المودة والرحمة، مع التسليم بأن القوامة أو الرياسة للرجل الزوج، لأن في هذا تتحقق مقاصد الزواج، وحفظ مصلحة الزوجة،

---

(١) سورة الأحزاب (٢٨ ـ ٢٩) وانظر (المرأة المسلمة الداعية) للمؤلف / ٨٩ ما بعدها.

(٢) سورة الأحزاب (٣٦).

وتستمر الحياة الزوجية وتستقر[1] .

والمرأة المسلمة الواعية، والمدركه لمسؤوليتها تستطيع أن تصوغ حياة أسرتها بشكل يكفل قيامها بواجبها، عن طريق معاملتها لزوجها بطاعة ودودة، ومحبة رحيمة، وعطف صادق، وخلق حسن، وتعينه بذلك على حسن الخلق بما تبديه من ضروب الفطنة، والإيثار والحكمة التي تنفتح لها مغاليق القلوب، وتهشّ لها النفوس (منطلقة من أن حسن تبعل الزوج ليس خلقاً اجتماعياً تزهو به بين أقرانها فحسب، وإنما هو دين، يحاسبها الله عليه، فيثيبها إن أحسنت، ويؤاخذها على التقصير فيه) .

(وإن المرأة المسلمة الراشدة لتعلم أن الإسلام الذي أجزل لها المثوبة بطاعة زوجها، وأدخلها الجنة، هُوَ هوَ الذي توعّد كل امرأة تنكّبت سبيل طاعة الزوج، وأعرضت عنه، ولم تبال به، توعدها بالإثم والسخط ولعنات الملائكة)[2] . ونجاح المرأة في طاعة زوجها، وكسب قلبه ومودته وثقته، هو السبيل لقيامها بأمر الدعوات في بيتها ومجتمعها، وبدون ذلك لن تستطيع فعل شيء؛ لأن هذا النجاح هو الذي يتيح لها بناء الأسرة المسلمة، وتربية الأولاد وتنشئة البنين والبنات في جو المودة والرحمة والثقة، جو الطاعة لله ولرسوله، جو الاستجابة الواعية لحقائق الفطرة الإنسانية لكل من الرجل والمرأة، والقيام بالمسؤولية الحقيقية في الحياة، وبناء المجتمعات الإسلامية القوية التي تخدم الإنسانية، وتحفظ كرامة الإنسان.

---

(١) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ٧/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٢) شخصية المرأة المسلمة د/ محمد علي الهاشمي/ ١٥٦ ـ ١٥٧ .

الفصل الخامس

المرأة الداعية، وتربية الأبناء

الأسرة أعظم مؤسسة اجتماعية ـ بدون شك ـ وهي أساس تكوين المجتمعات ونموها ونجاحها أو فشلها. ولذلك أصبحت رعاية الأسرة ـ والاهتمام بها أهم وظيفة للأمة والمجتمع، لأنها تتعلق ـ كما أسلفنا ـ بالإنسان ذاته، والرفد البشري للمجتمع والأمة والإنسانية وهذه المؤسسة لها جوانبها ونشاطاتها المختلفة: هناك الجوانب المادية، والجوانب الصحية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب السلوكية والأخلاقية، والجوانب العقدية والدينية، والجوانب العلمية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب البيئية.

الأسرة هي المجتمع ذاته، هي نواته، وخصائص المجتمع وسمته تتشكل من خصائص الأسر وسماتها، وسلامة المجتمع تتبع سلامة الأسرة، ونقاء المجتمع من عوامل التفكك والانحلال والأوبئة والأمراض تابع لنقاء الأسرة، فهل يسهل تحقيق كل ذلك، والسلامة من الأخطار بدون الاهتمام بالأسرة، وبدون فاعلية المرأة، وتحمّل مسؤوليتها، والقيام بواجبها كقطب الرحى في نشأة الأسرة، وتكوينها، وسماتها، وسلامتها، وتعهدها، والسهر على كل شؤونها وحاجاتها؟؟.

الرجل بحكم مسؤوليته وقوامته ـ يشرف على الأسرة، ويتولى توجيهها ورعايتها وحمايتها، ولكنه لا يستطيع أن يتفرغ لها «والمرأة هي الوحيدة القادرة على تنفيذ كل البرامج، وتحقيق كل الأهداف المنوطة بها. وسنتوقف في هذا» الفصل عند الجوانب الخاصة بتربية الأبناء، وعلاقة المرأة بها.

٥ـأهمية الأسرة ومسؤولية المرأة:

أصبحت تربية الأطفال من المسائل المهمة، بعدما تعددت وسائل التأثير لدرجة مخيفة، وتزايدت نسبة الأطفال بين السكان نتيجة لتطور العلم، وزيادة الرعاية الصحية.

ومن المسلم به أن الأطفال ـ باستمرار ـ هم عدة المستقبل، وإعدادهم يعني إعداد المستقبل، ويحسب إعدادهم ونشأتهم وما يحملون من قيم وعادات وسلوكيات يتوجه المجتمع كله، وهنا تكمن أهمية تربية الأطفال.

والأسرة هي محضن الطفل ومدرسته، مهما كان تأثير المؤسسات الاجتماعية الأخرى، ولذا نرى رسول الله ـ ﷺ ـ يحمل الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة في الأحاديث المعروفة «والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»

وكذلك: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة ـ راوي الحديث ـ رضي الله عنه: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (١) الروم (٣٠).

وفي رواية «حتى تكونوا أنتم تجدعونها».

والله عز وجل أمر الوالدين بتربية الأبناء، ويبين أنهم مسؤولون عنهم، لأن هذه التربية هي التي تقيهم عذاب الله، وتقيهم الانحراف والفساد، فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾(٢)

وأوضح علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ذلك بقوله: «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير» (٣).

ويقول الغزالي عن تربية الولد بأنه يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه (٤).

ويقول أيضاً: «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها،

---

(١) رواه البخاري / ١٣٥٨ـ١٣٥٩ـ٦٥٩٩ـ٤٧٧٥ ورواه مسلم. والجدعاء: مقطوعة الأطراف. والجمعاء: مجتمعة الخلق سوية الأطراف سليمة عن الجدع. النهاية / ١ـ٣٤٦.

(٢) سورة التحريم (٦).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الصحيحين.

(٤) رسالة أيها الولد.

والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له، وقد قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلِّمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوّده التَّنَعُّم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد [1]، وينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو [2] الصبي، انعجنت طينة من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث» [3].

ولقد دأب علماء المسلمين على حث الوالدين على تربية الأبناء، والاهتمام بالأسرة وبيان مسؤولية الأب ومسؤولية الأم في ذلك، لأن نتائج ذلك مهمة في تحديد مصير المجتمعات، فهي كما يقول علماء الغرب أيضاً: الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور، وأن الحياة الاجتماعية لا تتحقق إلا من خلال الأسرة، لأنها الوحدة الأساسية في صرح المجتمع وفيها تبرز وتتشكل - إلى حد كبير شخصية الفرد. [4]

ولأهمية التربية في إعداد الناشئين، فقد بين الشرع الحنيف أهمية الحضانة للصغير، وحدد أحكاماً مفصلة في ذلك حتى في حال انفصال الزوجين وجعل أحقية الحضانة للأم، وكذلك الرضاع، حفاظاً على مصلحة الولد. وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذا: (ولما

---

(١) وهذا أمر ملحوظ وصحيح في تعويد الأولاد على الرفاه والتنعم مما يجعل لديهم عادات سيئة، ومطالب كثيرة، وغرق في الشهوات.

(٢) نشو: إما من النشوء، أو أنه عادوه مرة بعد أخرى (القاموس).

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٦٩-٧٠. والمهذب من إحياء علوم الدين ٢/ ٥٠.

(٤) الأسرة والطفولة. د/ زيدان عبد الباقي / ٢-٣.

كان النساء أعرف بالتربية وأقدر عليها، وأصبر وأرأف وأفرغ لها، لذلك قُدِّمت الأم فيها على الأب).

وقال: (فتقديم الأم في الحضانة من محاسن الشريعة والاحتياط للأطفال والنظر لهم، وتقديم الأب في ولاية المال والتزويج كذلك) (١).

وجاء في المبسوط حول هذا الموضوع: (اعلم بأن الصغار لما بهم من العجز عن النظر لأنفسهم، والقيام بحوائجهم، جعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم، فجعل حق التصرف إلى الآباء؛ لقوة رأيهم مع الشفقة، والتصرف يستدعي قوة الرأي. وجعل حق الحضانة إلى الأمهات لرفقهن في ذلك مع الشفقة وقدرتهن على ذلك بلزوم البيت، والظاهر أن الأم أحض وأشفق من الأب على الولد، فتتحمل في ذلك من المشقة ما لا يتحمله الأب، وفي تفويض ذلك إليها زيادة منفعة للولد) (٢).

وبهذا تتأكد مسؤولية الأسرة التربوية التي تقوم على الزوجين، ويسوق العلماء دليلاً على ذلك الآية القرآنية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٣) وجاء في تفسير القرطبي: أن الأولاد دخلوا في قوله: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لأن الولد بعض منه، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام. (٤)

وقالوا: ويستفاد من معنى الآية الكريمة، ومن أقوال المفسرين فيها، وجوب تعليم الأولاد ما يلزمهم معرفته من أمور الدين، وأن الوالدين هما اللذان يقومان بهذا الواجب(٥).

---

(١) زاد المعاد ٥/ ٤٣٨.

(٢) جامع أحكام الصغار، محمد بن محمود الأسروشني ١/ ٣٦٩-٣٧٠. والمفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ١٠/ ١٦.

(٣) سورة التحريم/ ٦.

(٤) تفسير القرطبي ٨/ ٦٦٧٤.

(٥) المفصل ١٠/ ١١٣. ولقد فصل المؤلف في مسألة تربية الأبناء، وأفرد لذلك فصلاً كاملاً (الفصل الثامن ما بين ١١١-١٥٦ من الجزء العاشر.

٥ـ ب ـ أسس تكوين الأسرة لتقوم بمهمة التربية:

وإذا تأكد لنا مسؤولية الأسرة في التربية وأهمية قيام الأم بهذه المسؤولية فإنه لا بد من أسس صحيحة لاختيار الزوجة. لأن الأب لا يستطيع أن يقوم إلا بجزء محدد من هذه المسؤولية، ويكون واجبه الإشراف والتوجيه والمتابعة، وتقديم كل ما ييسر تربية الأولاد وتنشئتهم التنشئة الصالحة، يتعاون مع الأم، ويقدم لها التوجيه والدعم والمساعدة، ويذلل لها الصعاب، ويبقى باستمرار المرجع والمسؤول الأول في البيت.

وتبدأ مسؤولية الأب منذ وقت مبكر، أي منذ اختيار الزوجة الصالحة التي ستتولى رعاية بيته، ولذا أوضح رسول الله ـ ﷺ ـ للرجل المقياس الأفضل لاختيار الزوجة، لأنها ستقوم بهذه المسؤولية المهمة فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١).

وكما يقول ابن الجوزي، فإنه إذا قلّ الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة (٢).

ولذا عدّ رسول الله ﷺ أن الزوجة الصالحة خير ما يكنزه المرء. لأنها ستكون أمينة ومسؤولة عن الرجل وبنيه وماله، فهي ستتولى أعلى ما يهتم به الإنسان في هذه الحياة، ولذلك فإن مسؤولية الأم في تربية الأبناء مسؤولية مباشرة، يوماً بيوم، وساعة بساعة، تبدأ منذ أن يصبح نطفة في رحمها ثم مضغة ثم علقة، ثم حملاً ترعاه وتهتم به، وتصبر على حمله حتى تضعه. ولا يستطيع أحد أن يكابر في هذا الأمر، فالمرأة بما أودع الله فيها من خصائص فطرية هي التي تحمل وتلد، وهي التي تحضن وترضع، إنها خصائص الأمومة التي تفوق كل الدوافع العضوية الأخرى لدى المرأة، ورتبها علماء النفس كما يلي: الأمومة، ثم العطش، ثم الجوع، ثم الجنس (٣).

ودافع الأمومة أقوى دافع عند المرأة، ولذلك نرى أن كل مغريات الدنيا لم تستطع

---

(١) البخاري.

(٢) صيد الخاطر / ٣٦١.

(٣) دور البيت في تربية الطفل المسلم / خالد أحمد الشنتوت / ١٧ فضلاً عن علم النفس للدكتور فاخر عاقل / ١ـ١١٥.

تعويض المرأة، أو قتل هذا الدافع، والشواهد كثيرة.

ولذا فإن من أولى الخطوات لتربية الطفولة، وتنشئتها تنشئة صالحة تكوين هذه الأسرة المسلمة المستقرة المطمئنة، التي يشيع في أجوائها شعور المحبة والسكينة والمودة والطمأنينة والتعاون، وكما أنه من الواجب الاهتمام بسلامة الطفل وصحته الجسمية، فكذلك من المهم الاهتمام بسلامته من الناحية العقدية والخلقية والمسلكية، فالزوج سيصبح والداً لأبنائه وبناته، وكذلك الزوجة ستصبح أماً والدة ومربية ومرشدة، ومعلمة أولى للطفل، فعقيدتها السليمة، وخلقها الكريم، وشرفها ومنبتها الحسن وكرامتها ووعيها أساس في نجاح الأم المربية، وفي قيامها بأهم مسؤولياتها في الحياة. فالطفل سر أمه وأبيه(١).

وفي المراحل الأولى للطفولة، لا يملك الأب أن يقدم للطفل غير القليل من أمور الرعاية، وفي مرحلة تالية يكون له دور أكبر في توجيهه، وتقديم الصورة الحسنة التي يقتدي بها ومداعبته ومصاحبته، وتقديم العون والتوجيه، والعناية بأموره ومراقبته بصورة مناسبة، ويحفظه من قرناء السوء، ويعوده على السلوك الاجتماعي الصحيح، وينبغي أن يظل للأب هيبته ومرجعيته في الأسرة بحيث يحرص الأبناء على أن يعودوا إليه في الأمور المهمة، ويكون لموقفه تأثير فيهم(٢).

بل من نجاح التربية أن تكوِّن الأم لدى أطفالها مكانة خاصة للأب، ومهابة قائمة على المحبة والثقة والتقدير، ليكون المرجع، والحكم والموجه في الأمور التي يصعب ـ أحياناً ـ على الأم أن تناله، وكل ذلك لا يتحقق إلا إذا كانت المرأة أهلاً لهذه المسؤولية، وكان الرجل جاداً في أداء واجبه، وأحسن قبل ذلك اختيار الزوجة.

٥ـ ج ـ ٣ ـ النية والدعاء وسلوك الزوجين:

ومسؤولية الأم نحو أولادها تأتي امتداداً طبيعياً لمسؤوليتها تجاه الزوج، وتشعر بأن

---

(١) الرسول العربي المربي/ د عبد الحميد الهاشمي، ١١٣.

(٢) للإمام الغزالي كلام مهم في هذا. انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٦٩ ـ ٧٢. وتهذيب إحياء علوم الدين ـ صالح أحمد الشامي ٢/ ٥٠.

الأولاد ثمرة طيبة لعلاقة الزوجية الودودة، والعلاقة الزوجية المقدسة، وهذا يخفف عنها عبء المشاق الذي تلاقيه في الحمل ثم الولادة، لأن الطفل يقوي الرباط الأسري، ويكمل عناصرها، ويعبر عن هذا التعاون الثقة بين الزوجين، بل يعبر عن هذا الأداء الطيِّب والعطاء الجيد للمرأة تجاه زوجها، طاعة لله، وقياماً بواجبها، وتحقيقاً لأجمل معاني الزوجية. وتبدأ رعاية الطفل منذ أن يصبح جنيناً في بطن أمه. هذا الجنين الذي بدأ غراسه من الزوجين في جو من المودة والرحمة والمحبة، ومع الدعاء لله عز وجل بأن يجنبه الشيطان، لأن الغاية مرضاة الله عز وجل في كل الأمور يقول ﷺ: «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا، ثم قُدِّر أن يكون بينهما في ذلك أو قُضي ولد، لم يضره شيطان أبداً» (١).

ثم يتبع ذلك رعاية الجنين من قبل الأم بتوفير الجو الصحي والغذائي المناسب للجنين.

وتقديم هذه الرعاية من الأم المسلمة التي ترى في عملها قربى إلى الله، وقياماً بالواجب، وأداء لرسالتها في حمل هذه الدعوة، وتنشئة الأجيال عليها، إن تقديم الرعاية للجنين من هذه الأم يختلف عن تقديم الأخريات اللواتي يجهلن هذا المعنى، وينصرف اهتمامهن إلى الأمور الصحية والسلامة البدنية، والمظهر الخارجي. ولدى الأولى تثاب المرأة على عملها، ويتحول العناء والتعب إلى رضى وسعادة بينما يصبح عند الأخريات كابوساً مخيفاً.

وكذلك تؤثر العلاقات الأسرية على الجنين، فالخصومات وما يرتبط بها من صراع بين الزوجين تنعكس على المرأة الحامل وعلى الجنين(٢). وقد يتعدى هذا الأثر هذه المرحلة، ويصبح عاهة نفسية أو جسدية دائمة. فضلاً عن سلوك المرأة وعاداتها وممارساتها التي تؤثر على لجنين وعلى صحته ونفسيته، ولا سيما عادات التدخين، أو ما يشبه ذلك من العادات السيئة التي أصبحت علامة على (تقدمية المرأة) وتطورها. وأما المرأة المسلمة،

---

(١) البخاري.

(٢) الأسرة والطفولة ـ د/ زيدان عبد الباقي/ ١٠٨.

فإن الجو المليء بالروحانية، الحريص على طاعة الله، الذي تظلله مشاعر الأمومة الحانية، والأسرة المسلمة، إن هذا الجو يحيط بهذا الجنين الذي تصغي نبضات قلبه إلى دعوات الأم، وتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، وأداء الصلوات وكلمات الحب والحنو، ومشاعر الود بين الزوجين، وطبيعة الرضى والوئام الذي يسود الأسرة. فيضفي ذلك على الجنين هدوءاً وسعادة، وتنغرس في خلاياه، بإذن الله، مشاعر الطمأنينة، والسكينة، والمحبة، والطاعة . . .

٥-د-السنن المطلوبة للوليد لتحقيق التربية الصالحة:

وبعد الولادة يصبح للأم مسؤولية جديدة نحو وليدها الذي تتلقاه الأيدي والقلوب بالفرح والسعادة والبشر، والرضى بنعم الله عز وجل، والشكر على هذه الثمرة وهذا العطاء، ويستقبل بعد أن يغادر مسكنه الوثير الدافئ الحاني الهادئ وهو الرحم، ليواجه الحياة الدنيا، ويتلاءم مع صعابها وتقلباتها، يستقبل بكلمة التوحيد، كأول كلمة في دعوته للاستقامة والطاعة، والولاء لله ـ عز وجل ـ فيُؤَذن له في أذنه اليمنى، ويقام في أذنه اليسرى[(١)] : «ليكون أول مايقرع سمع الإنسان كلمة النداء العلوي المتضمن لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها. وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثيره به وإن لم يشعر، مع مافي ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدَّرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه مايُضعفُه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر، وهو أن تكون دعوته إلىٰ الله، وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على الشيطان، لها، ونقله عنها»[(٢)] .

---

(١) لقوله ﷺ : «ومن ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى، رفعت عنه أم الصبيان» رواه البيهقي .

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية/ ٣٨-٣٩.

وهذه صورة من ممارسة المرأة للدعوة ممارسة عملية مع مولودها الجديد، الذي وهبها الله لها ثمرة وزينة وكنزاً في الحياة الدنيا.

ويستمر عطاؤها في هذا السبيل، عن طريق الرعاية الحانية، والتعهد الأمين، والرضاع، وبث المشاعر الطيبة نحو الوليد الذي يحس بذلك ويتلقنه، لأن الرضيع يتعرف على أمه من رائحتها، ثم صوتها[1]. وبالأحرى من هذا الشعور المتدفق نحوه، شعور الأمومة الذي يمتزج مع لمساتها وصوتها، وترنيماتها وأغانيها له، وكل ذلك يبقى له أثر في هذا الطفل الرضيع و الذي ينام على أغاني أمه ودعواتها[2]، ويستريح للمساتها.

٥ـ هـ ـ الرضاع والحضانة من الأم، وأثر ذلك على الطفل:

الرضاع ذكره الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم، لأهميته وأثره في تربية الأبناء، وفي بنائهم الصحي والنفسي، والثقافي أيضاً فقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ...﴾[3].

«فالله ـ عز وجل ـ يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين، لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل (لمن أراد أن يتم الرضاعة) وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم، أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم، فالرصيد الإنساني من ذخيرة الطفولة لم يكن ليترك يأكله الجهل كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف المحتاجين للعطف والرعاية»[4].

ولذا فأول ما تبدأ به الأم بعد الوضع هو ممارسة عملية التغذية: للطفل عن طريق الرضاعة، فتمارس بذلك نوعين من التغذية: الأولى تغذية فطرتها في الأمومة وكل ما

---

(١) دور البيت في تربية الطفل المسلم/ ١٧.

(٢) أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، أحمد أبو سعد/ ٣٠ـ٣٨ـ٤١.

(٣) سورة البقرة (٢٣٢).

(٤) في ظلال القرآن/ ١ ـ ٢٥٤.

تمثله من حنو وعطف ومحبة، يمتزج ذلك مع لبنها، ويكوّن اللغة العملية الداخلية للأم وطفلها، والثانية تغذية الطفل باللبن الذي تتكامل عناصره الغذائية، مع خلوه من المكروبات، ومناعته ضد الأمراض، ولما يحتويه نسبه من البروتينات المساعدة لعملية الهضم السريع، وكمية المعادن والأملاح بنسب تتلاءم مع حاجة الوليد، وتؤدي إلى راحته الجسدية، وراحة أجهزته المختلفة.

وينعكس الرضاع على الطفل، عن طريق شعوره بالدفء والحنان والأمان، وهو ملتصق بوالدته، يحس بنبضات قلبها، ولين لمساتها، وحنو نظراتها، وارتباطه بالأسرة التي أصبح فرداً منها.

ولقد أكد علماء النفس أن الرضاع ليس «ليست مجرد إشباع حاجة عضوية، إنما هي موقف نفسي اجتماعي شامل تشمل الرضيع والأم، وهو أول فرصة للتفاعل الاجتماعي»[1].

وينعكس أثر الرضاع على الطفل بعد الكبر بعاطفته نحو أمه ـ وارتباطه بأسرته (كما وأن شعور الأم بالراحة والسعادة والطمأنينة أثناء ممارسة عملية الرضاعة يساعدها على ضمور الرحم وعودته بشكل أسرع إلى وضعه الطبيعي، بالإضافة إلى تخفيف إمكانية الإصابة بسرطان الثدي لدى الأم»[2].

ولبن الأم هو أفضل ما يتغذى عليه الطفل، فهو لا يحتاج إلى تحضير من جانب الأم أو انتظار من جانب الطفل، فضلاً عن نظافته، وبعده عن التلوث، وتركيبه الكيميائي المتلائم مع الطفل وسنه، مع سهولة هضمه، واحتوائه على مضادات حيوية طبيعية من عند الله تدعم مقاومة الطفل ضد العدوى والأمراض. وهو منحة من الله ـ عز وجل ـ بدون ثمن[3].

---

(١) علم نفس النمو ـ حامد عبد السلام زهران/ ١٤٢.

(٢) أطفالنا ـ علي الحسن/ ٧١.

(٣) الأسرة والطفولة/ ١٢٦.

وهذه الحقائق توضح مسؤولية المرأة نحو الأسرة، ولاسيما الأبناء الذين يحتاجون إلى رعاية الأمومة التي تدرك مغزى قوله ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، وتعرف ما تقتضيه المسؤولية والرعاية نحو «بيت زوجها وولده». وتحس بالخطر الذي يتهددها، ويتهدد أسرتها والمجتمع إن تقاعست عن أداء واجبها ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ ورعاية الطفل ليست رضاعة ونظافة فقط، وإنما هي رعاية شاملة، تتشربها روحه وفطرته، وتتغرس جذورها في وجدانه ومشاعره وفكره، فيعرف معنى الطاعة لله عز وجل، والآداب الإسلامية، والسلوك الصحيح والعادات الحميدة، وغير ذلك من الأمور التي تهم التربية الشاملة للأبناء.

وإن المرأة التي تحرص على أسرتها، وتقدر مسؤوليتها، تشغلها هذه المسؤولية في رعاية الطفل ومتابعة نموه يوماً بيوم، وتستغرقها واجباتها نحو زوجها وولدها وأسرتها، وتتحول هذه المسؤولية والواجبات إلى برامج عملية تضعها المرأة لنفسها، وتطبقها، وتقوِّم نتائجها، بالتعاون والتشاور مع زوجها، ومع أخواتها وهذه البرامج تتوزع على الأيام والأسابيع والشهور والسنوات، منها ما يتعلق بالأمور الصحية التي لها علاقة بنمو الطفل، وحاجاته من الغذاء، والدواء، وبرامج الوقاية والحماية.

ومنها ما يتعلق بالأمور النفسية، والعلاقات بين الزوجين، وتلاؤمها مع مراحل نمو الطفل، ومع عدد أفراد الأسرة. ومنها ما يتعلق بالأمور الدينية والثقافية والسلوكية التي تهيء الجو لهذا الطفل الوليد، لكي يعيش فترة حضانته في جو هادئ، لا يسمع إلا كلمات طيبة، ولا يشعر إلا بالحنو والمحبة، وسط جو إيماني يربط الحياة بالآخرة، ويستشعر قدرة الله ـ عز وجل ـ وعظمته ورحمته، ورعايته لعباده في كل حين.

الفصل السادس

تعليم المرأة وآثاره في القيام بواجبها

هل تستطيع المرأة أن توفر هذا الجو لوليدها إن لم يكن ذلك همها الأول؟ تستعد له بكينونتها كله، وترعاه بعقل واع، وعاطفة صادقة، وإرادة حرة تقدر المسؤولية قدرها، وتختار بإصرار أن تقوم بذلك لأنها الأقدر، ولأنها وحدها التي تملك هذه المقدرة وهذا العطاء، ولأن أعظم مهمة في المجتمع، إمداده بالرفد البشري السليم من آفات الانحراف العقدي والسلوكي والخلقي، كما هو سليم من آفات الانحراف الصحي والجسدي. وهذا جزء من موحيات الآية الكريمة ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ والحديث الشريف «والمرأة راعية في بيت زوجها». وكذلك «فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

إن العمل الذي يقدمه الإنسان لأمته ومجتمعه يفيد هذا المجتمع من النواحي المادية والمعنوية، ولكنه يظل في حدود الأمور المادية ولكن العمل الذي تقدمه المرأة لمجتمعها يتعلق بالرفد البشري ـ ولا مورد للأمة من هذا الرفد إلا عن طريق المرأة، وهو ـ بدون شك ـ أعظم مورد، وأعظم كنز، وأهم عطاء، ولا يقدر على ذلك إلا المرأة التي خلقها الله ـ عز وجل ـ بفطرة مهيأة لإمداد الحياة بالرفد البشري وتعهده، وتنشئته ليكون العنصر الفاعل في الحياة، وبدونه تتوقف هذه الحياة، وتتوقف المجتمعات عن كل نمو وعطاء. فهل هذه المهمة مهمة سهلة، تنزل بمكانة المرأة، وتحبسها في البيت، وتحول دون قيامها بواجباتها، أو إسهامها في نمو المجتمع؟

إن الذين يدّعون هذا جهلة، أو متآمرون، فهم يريدون أن يفلت زمام المجتمعات، لاستغلال المرأة في مشروعاتهم الشيطانية، واللعب بعواطفها وسط الأضواء التي تتسلط على مفاتنها، وتستغل ذلك للمتعة الحرام والكسب الرخيص، وتحرمها من الاحترام والتقدير، والقيام بالمسؤولية العظيمة التي تجعلها أماً تخرّج الأجيال، وتلقى

المحبة لأن الجنة تحت أقدام الأمهات.

وإذا كانت حضانة الطفل تحتاج إلى خبرة واختصاص وتفرغ، فمن أجدر بحضانة الطفل، ورعايته وتنشئته، أمه التي ولدته، وهو جزء منها، أم امرأة اخرى لا يربطها بالطفل رابط إلا المصلحة المادية؟ وكم الفرق هائل وبعيد، بين رعاية الأم، ورعاية المرأة المستأجرة (والنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة) كما يقول المثل العربي.

فلماذا نحرم الطفل من هذه الرعاية التي تزوده بالمناعة الجسدية، والخلقية والسلوكية، وتزرع في نفسه الأمان والطمأنينة، ومشاعر الحنو والانتماء إلى الأسرة والمجتمع، وتعطيه قوة روحية لا يحصل عليها إلا من حضن الأم ورعايتها وحنوها؟

وهل أعدت المرأة نفسها لذلك؟ هل استثمرت علمها وتحصيلها لتكون الأم الحاضنة الواعية، المدركة لحاجات وليدها؟ ليس في حدود الرضاع والجسد فقط، وإنما في نطاق الرعاية المتكاملة: الجسدية والنفسية، والاجتماعية والدينية؟.

هل تكون محرومة من استغلال تعليمها وتحصيلها الدراسي، إذا تفرّغت لحضانة وليدها، ثم تربيته وتنشئته على أسس سليمة؟

إن هذا المجال أكبر استثمار للتعليم، وأفضل مجال للتطبيق العملي، فلماذا نبعد المرأة المهيأة لهذا الاختصاص العلمي، والتأهيل العملي عن هذا المجال، ونجلب امرأة أخرى لا تملك معشار ما تملك الأم، فنضع مستقبل هذا الطفل الوليد بل المجتمع كله في يديها؟

ثم لنخط خطوة أخرى في مجال تربية الأولاد، بعدما يتجاوزون هذه المرحلة المبكرة، ويتعددون ويتكاثرون، فهل تكفي الجهود البسيطة لتحقيق الرعاية المطلوبة لهم؟

هل استثمرت المرأة علمها وتحصيلها لتكون الزوجة الصالحة التي توفر الطمأنينة والسكينة والتعاون والمحبة لزوجها وأسرتها، فتعطي رجلها المحبة والثقة، وتوفر له دواعي العمل والجد والصبر بطواعية وفرح، وتدفعه لتحمل مشقات الحياة بثقة واختيار؟

وهل استثمرت المرأة تعليمها لتكون الحاضنة لطفلها والمربية لأولادها على أسس

صحيحة، وضمن تصور شامل يحقق لهؤلاء الأولاد الجو الصحي المطمئن والبيئة الصالحة الهادئة، والرعاية الواعية، والتوعية المطلوبة، والتوجيه السديد؟

وهل استثمرت المرأة تأهيلها العلمي لتدير هذه المؤسسة المهمة فتضع لها برامجها وخططها المتوافقة مع مراحل نموها، والملائمة لطبيعة أبنائها؟

وهل استثمرت المرأة علمها لكي تحول هذا البيت إلى مدرسة حقيقية يتخرج منها أبناء صالحون، مزوَّدون بالإيمان والعقيدة، والوعي والسلوك المستقيم، والذهن المتفتح، والنفس الأبية، والشخصية المتزنة، والأفراد المنتجين المحبين للعمل، المخلصين الأوفياء؟

هذه بعض مهمات المرأة التي تريد أن تستثمر علمها في أهم عمل يمكن أن يسند إليها في الحياة، وأخطر خدمة تقدمها للمجتمع؟

وهذه المهمات تستغرق كل وقتها، وعلمها وتأهيلها، وتتطلب جهوداً وإخلاصاً ومعرفة أكثر مما تعطيها المدرسة أو الجامعة.

فأين الحرمان من استغلال علمها في إفادة مجتمعها ؟

ألا نشاهد تفكك المجتمعات، وتزايد الشذوذ، وبروز السلوكيات المنحرفة والعدوانية للأولاد الصغار والشباب نتيجة حرمانهم من الرعاية الأسرية؟ ألا نقرأ التقارير والصيحات التي صارت تتزايد في الغرب لحماية المجتمع من التفكك، والعودة إلى الأسرة، وحمايتها من الانهيار؟

٦ـ تحويل خبرات المرأة إلى برامج تربوية هادفة لحماية الأسرة وتنشئة الأولاد:

لقد عرضنا جانباً من مسؤولية المرأة نحو الأبناء، ولا سيما في مرحلة الحضانة والطفولة المبكرة. ولكن تربية الأبناء مهمة من أصعب المهمات في هذا العصر. وهي تحتاج إلى جهود متميزة وكبيرة لتحقيق أهداف التربية الصحيحة.

إن مؤثرات العصر الحاضر كبيرة ومتنوعة، وهذه المؤثرات تبدأ عملها في التأثير في أوقات مبكرة من عمر الطفل، مما يعني أن الأم بحاجة إلى متابعة هذا التأثير ومعرفة اتجاهاته لتدارك وقوع الطفل تحت التأثيرات السلبية.

وإذا كان للأسرة ـ قديماً ـ التأثير الأقوى في تربية الأبناء، فإن هذا التأثير بات يضعف إلى حد الانعدام أحياناً، بسبب غياب المرأة عن البيت، مع انشغال الأب بمتطلبات الحياة المتزايدة، وقوة التأثير لجميع وسائل الإعلام، ابتداءً من الصحيفة، إلى المجلة، إلى الإذاعة، إلى التلفاز، إلى الحاسب الآلي، إلى شبكة (الإنترنت).

وتأثير هذه الوسائل كبير جداً، ومدمر أحياناً، لأن أكثر الذي يملكون هذه الوسائل العالمية يهود، أو معادون للإسلام، ومعادون للأسرة، وهي تعمل على تفكيك ارتباط الأسرة، وابتداع أنماط وأشكال جديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية تحطم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، وتشجع على التحلل باسم التحرر.

وتحاول أن تقنع الناس ـ ولا سيما المسلمين ـ بتخطي الأسرة، وعدم اعتبارها كوحدة أساسية للمجتمع، ويشيعون بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يشرعه الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً، وقيداً على الحرية الشخصية لأنها لا تتقبل حرية العلاقات الجنسية بين مختلف الأعمار، وتشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط، وضمن الإطار الشرعي، ولأن هذا المفهوم ـ أي الديني ـ لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر بينهم، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والعلاقات الزوجية ضمن الأسرة . . . [1].

وليس هذا غريباً، فلقد جعلوا هذه الأمور من أهدافهم التي رسموها منذ عقود في مؤتمراتهم، وبروتوكولاتهم وأبحاثهم ووسائلهم.

ولذا أصبح واجب الرجل والمرأة في الأسرة مضاعفاً، وأكثر أهمية في هذه الظروف، ومسؤولية المرأة في هذا الشأن أكبر وأكثر أهمية لأنها الأساس في بناء الأسرة من ناحية، ولأنها المقصودة في هذا الهجوم الشرير على المجتمعات الإسلامية، وعلى الأسرة بالذات.

وما لم تتحول مسؤولية المرأة في البيت إلى نوع من الواجب الدعوي، الذي تمارسه بكل إمكاناتها ووقتها وقدراتها، لا تستطيع أن تؤدي ما ينبغي نحو أولادها، ولا يمكن أن

---

(١) وثيقة مؤتمرات السكان والتنمية / ١٣.

يكون لتربيتها أثر في أبنائها، لأن التربية في هذه الظروف تقتضي معرفة المرأة لطبيعة العصر، ولجميع المؤثرات التي تتوجه لأولادها، في الشارع والمدرسة، والنادي، والحديقة، والحي، ومن الجريدة والمجلة، والإذاعة والتلفاز، ومن جميع الوسائل الأخرى والنشاطات المختلفة، ومن الأصدقاء والأقران، ومما يُهيمن على الشارع والأسواق.

هذه المؤثرات ليست خيالاً، وإنما هي حقائق أصبحت آثارها مشاهدة في توجهات الأولاد وسلوكهم، وأصبحت هماً مقلقاً لكل المهتمين بالتربية والمجتمع، الغيورين على الدين والأخلاق، والعارفين لما يحاك لهذه الأمة من خطط ومؤامرات. والأخطر في هذا أن فريقاً من أبناء المسلمين، أصبحوا دعاة لهذه التوجهات المريبة، يحملون دعواتها، ويعملون على نشر أفكارها وأخلاقها، ويسوقون ذلك ضمن مظاهر وشعارات خادعة وبراقة، يدغدغون بها عواطف المرأة وخيالات المراهقين وأحاسيسهم، ويثيرون عن طريقها غرائز وميول وشهوات لكي يركبوا صهوات هذه الشعارات ويتوصلوا إلى أغراضهم.

لقد اختلطت الحقائق بالأباطيل، وضاعت دعوات الخير وسط صيحات المغريات، وعشيت الأبصار من لمعان الأضواء وكثرة الألوان، وأصبحت المسؤولية ـ وهي أمانة ـ كالجبال حقاً، ولكن لا بد من حملها لمن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتطلع إلى مرضاة الله ـ عز وجل ـ والنجاة يوم الحساب. أصبحت المسؤولية ضائعة، والأمانة مضيعة، وهذا يفسر لنا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ فالقضية ليست لعباً، ولا ربحاً دنيوياً، إنها النار التي تحرق كل شيء، ومن منا يرضى بأن يلقي نفسه أو أحداً من أهله في النار، ويراه يحترق وهو قادر على دفع ذلك عنه، أو تجنيبه ذلك المصير؟

ولكن تحقيق ذلك يحتاج إلى الجهد المخلص الواعي، الذي يتضاءل في سبيله كل غرض أو مطلب.

المرأة بحاجة إلى أن تعزم عزمة الداعية المجاهدة التي تخوض معركة شاملة لتنقذ أسرتها من النار، وتحميهم من كل مكروه، وتحصنهم ليكونوا حملة الخير، ودعاة الحق، وأبطال المجتمع.

ولا بد لها أن تعرف تأثير كل وسيلة من الوسائل التي ذكرناها قبل قليل.

ونتيجة هذا التأثير على أطفالها من البنين البنات، أو أولادها الصبية أو المراهقين لكي تعمل على الاستفادة من هذه الوسائل، والحيلولة دون المضار التي ستلحق بأولادها من ذلك.

وتحقيق ذلك يحتاج إلى تخطيط وبرامج حقيقية، تستخدم فيها جميع خبراتها، وعلمها، وتستعين بالمعلومات والخبرات الأخرى من زوجها أو أخواتها، أو من الكتب والمراجع لكي تضع البرامج المناسبة لكل واحد من أفراد أسرتها، تتناسب مع سنه، وإمكاناته، وميوله، وطبيعته، وتستجيب لحاجاته الأساسية، وقدراته المختلفة.

هذه البرامج، إذا كانت مبنية على أسس واضحة، ومعرفة حقيقية بالطفل وأساليب التربية تؤثر إيجابياً في تربية الابن الموجه إليه.

والأم بخبرتها وحنوها، لا بد لها من متابعة أي برنامج يوماً بيوم، لمعرفة مدى نجاحه أو تأثيره، ولكي تعدل فيه ما ينبغي تعديله لتحقيق الغرض منه.

وكسب ثقة الطفل، أو الولد من الأمور المهمة، ولذا فإن الأم المربية التي تعزم على هذا الجهاد الدعوي، تحتاج إلى إدراك وتفكير وتجربة لكي تستطيع اكتساب ثقة الأبناء ومحبتهم، والثقة المقصودة هنا تتعدى الشعور العاطفي الفطري للولد نحو أمه، إلى قناعة راسخة، مع شعور المحبة والطمأنينة، بأن الأم تدرك وتقدر احتياجات هذا الولد أو ذاك، وتحرص على فائدتهم ومصلحتهم، وتعمل بإخلاص على تحقيق كل خير لهم، وإذا وصلت إلى هذه الثقة تستطيع النجاح في تطبيق أي برنامج لأولادها مجتمعين، أو لأحد الأولاد.

والبرامج المطلوبة تغطي ألوان الحياة الواقعية التي يعيشها الأولاد، منها برامج توجيهية، وأخرى فكرية، وثالثة ترفيهية، ورابعة للنشاطات ورعاية القدرات والمواهب، ولاكتشاف الميول والأفكار وسادسة لاكتساب بعض المهارات و. . . .

برامج مختلفة تحول البيت إلى مؤسسة تربوية حقيقية قطبها ومديرها المرأة التي تعطي

من حنانها وإخلاصها وفطرتها روحاً تضفي على هذه المؤسسة أجواءً من المودة والحنو والشعور بالأمن، كما تعطي من جهدها، وعلمها، وخبرتها ما يحول حياة البيت إلى مجموعة من الأنشطة والأعمال التي تزيد من روابط الأسرة، وتعمق ثقة الأولاد بالأبوين، وببعضهم بعضاً، وتدفعهم للإحساس بالثقة إزاء الحياة، وتحصنهم ـ وبشكل فطري ـ ضد كل المؤثرات السلبية التي تواجههم في مدارسهم ومجتمعهم بكل ما فيها من ألوان التأثير.

وهذا واجب المرأة في الأسرة، ليس القعود في البيت، وقضاء بعض الوقت مع الأولاد، وإصدار الأوامر، أو إسداء النصح فقط للأولاد، هذا لا يمكن في هذا العصر المتأجج بالمعلومات والمؤثرات أن يكافئ المؤثرات الأخرى، وهذا لا يمكن أن يسمى تربية أو إعداداً للبيت المسلم. بل إن المسؤولية تقتضي أن تَهِبَ المرأة وقتها وقدرتها وخبرتها وعلمها لهذه المؤسسة التي باتت مهددة، وباتت المرأة معها وشيكة السقوط في فتنة هذا العصر «ولذا أصبح المطلوب اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، العودة إلى المرأة التي كانت قضيتها ووضعها المدخل أو المعبر لكثير من المشكلات، والاعتراف بأننا أوتينا من قبلها، لأن الكثير منا لم يعطها ما أعطاه الله. لا بد من العودة إلى هذا الموقع، إلى المرأة، وإعادة تأهيلها، وإعداد قيادات نسائية فقيهة، مستوعبة للإسلام، يتحقق فيهن الانتماء والالتزام... ولا بد من العودة إلى الأسرة المحضن الحقيقي للتربية، والحصن الباقي للأمة» (1) ولكن ضمن هذا الوعي الشامل لما بات ينتظر الأسرة من مسؤوليات، وكما بات على المرأة أن تقدمه تأدية لواجبها الذي أناطه الله ـ عز وجل ـ بها.

٦ـ جوانب من إعداد المرأة للقيام بهذه المسؤولية:

بعد أن بينا أهمية تربية الأولاد، ومسؤولية المرأة في ذلك، لا بد أن نتوقف عند الصفات والشروط التي ينبغي أن تتوفر للمرأة لكي تستطيع أن تقوم بهذه الواجبات بشكل صحيح.

---

(1) السابق / ٢٧ـ٢٨.

وأياً كانت حصيلة المرأة من التعليم فإن هذه الصفات تبقى مطلباً مهماً، لأن التعليم المعاصر، بكل ألوانه ومستوياته لا يهدف لإعداد المرأة لهذه المهمة، بل ربما كان العكس هو الأقرب للصواب، حيث إن التعليم قائم على إعداد مناهج موحدة للطلاب والطالبات، ما عدا بعض المواد التي تعد نوعاً من النشاطات التي تتميز بها البنات أو البنين في بعض الدول، بينما جميع المقررات موحدة، مما يجعل المرأة تخرج من التعليم وقد كادت تفقد خصائصها المميزة، وبات تفكيرها يدفعها لمزاحمة الرجال في أعمالهم، والهروب من مسؤوليتها الأساسية نتيجة لهذا التعليم، والتربية التي تتجاهل فطرة كل من الرجل والمرأة.

فضلاً عن هذا، فإن جلّ ما يُكتب أو يُنشر أو يذاع في وسائل الثقافة والإعلام، يركِّز على هذا الأمر، مما يجعل أثر ذلك واضحاً في نفوس النساء وتفكيرهن، وبالتالي يؤدي هذا الأمر إلى هروب المرأة من مسؤوليتها، وتخليها عن الأسرة، ومطالبتها بالانخراط في أعمال أخرى، كثير منها لا تستطيع إتقانه أو تحمل مشاقه، ولكن الغاية التي يريدها أعداء المجتمعات والمرأة تتحقق في إخراج المرأة إلى الشارع وأماكن العمل، والاختلاط بالرجال، وتفكيك أواصر الأسرة، والتحكم التام بالمجتمع، عن طريق توجيهه حسبما يريدون في محاضن الطفولة المصطنعة، ورياض الأطفال والمدارس.

ولهذا فإن الصفات التي ينبغي أن تتميز بها المرأة لتكون الركن الأساسي في الأسرة: زوجة صالحة واعية، ركيزة السكينة والمودة والوفاء والمحبة والتعاون والمربية الأم الحانية الواعية، المسؤولة عن الأسرة، الممسكة بهذه المؤسسة المهمة، والقائمة على إمداد المجتمع بالرفد الصالح القوي بعقيدته، المستقيم بسلوكه ـ المتسلح بإيمانه وعلمه ووعيه، القادر المهيأ للقيام بواجبه والإسهام في بناء مجتمعه ـ وتقدّم وطنه وأمته، وإشادة حضارته المتميزة. هذه الصفات التي تؤهل المرأة أن تكون كذلك لن تكتسبها من التعليم الرسمي، أو الثقافة الشائعة، أو الإعلام المسيطر.

لا بد لها من إعداد جديد، مع الاستفادة مما أخذته من التعليم وغيره وهذا الإعداد

يتطلب جهوداً فردية وجماعية، ولا يعفى من هذه الجهود بيت من البيوت، ولا يعفى من ذلك رجل أو امرأة. فالرجل مسؤول ـ ولا سيما في هذا العصر ـ أن يوفر لزوجته أولاً، ولأولاده، وخاصة بناته، ما يؤهلهن للقيام بهذه المسؤولية الكبرى في الحياة، بعد أن فقدت الوسائل الأخرى التي تقوم بهذا الإعداد.

ومن جوانب هذا الإعداد ما يلي:

٦ـب ـ ١ الإعداد العلمي

وأهم أركانه: فهم كتاب الله عز وجل، ودراسته ما يعين المرأة على القيام بواجبها، وذلك عن طريق قراءة القراءة، وتفسيره وفهم الحديث النبوي الشريف، ولا سيما ما يتعلق بالمرأة والبيت، والأولاد والتربية، وعلاقة المرأة بربها ـ عز وجل ـ ثم علاقتها بزوجها ووالديها وأولادها إلخ.. وهذا الجانب واسع ومهم، ويحتاج إلى فقه ووعي، وغوص في الأحاديث والآثار الواردة التي تعطي التصور الصحيح عن المرأة المسلمة الواعية، الداعية الملتزمة بدينها، الحريصة على مرضاة ربها سبحانه وتعالى.

ومن المهم الإشارة إلى ضرورة فهم نفسية الطفولة، والأولاد عموماً، ثم النفس الإنسانية من النصوص القرآنية والحديثية التي تكشف عن الخطوط الأساسية للنفس البشرية، ولا تمنع ذلك من استفادة المرأة مما كتب عن النفس البشرية في مختلف مراحلها في الدراسات النفسية [١] شريطة ألا تتعارض مع الحقائق الفطرية التي وردت بها نصوص من القرآن أو السنة، أو التجارب الواقعية [٢] لأن الخالق ـ عز وجل ـ خالق هذا الكون، وخالق النفس البشرية، يعلم السرَّ وأخفى، وقد وضّح لنا ـ سبحانه تعالى ـ الكثير من حقائق النفس البشرية لنتعامل معها على بصيرة، ولذا لا بد من الحذر والتنبه إلى كثير من

---

(١) يحرص الغربيون على إطلاق اسم العلم على الكتابات التي صدرت عن النفس، مع أن الدارس لها يرى كيف تتعارض هذه الدراسات مع بعضها، وكيف تتضارب وتتعدد المصطلحات والتعريفات والنتائج، لأنها تجرب على الحيوانات بشكل رئيس ثم تعمم على الإنسان.

(٢) انظر كتاب (دراسات في النفس الإنسانية) للأستاذ محمد قطب. وكتاب (علم النفس الإسلامي العام التربوي) للدكتور محمد رشاد سالم.

الأوهام والتخبطات التي وقعت بها الدراسات النفسية الغربية، والمترجمة إلى العربية.

ولا بد للمرأة من دراسة سيرته - ﷺ - ولا سيما الجوانب المتعلقة بالمرأة والأسرة، والبيت، والحياة الزوجية، ومسؤولية المرأة، والتربية، والأولاد. وهو جانب كبير ومهم ومفيد ولا شك، بل إنه يعطي المرأة صوراً واقعية، عملية عن دورها، وتعاملها في أسرتها، وسلوكها المختلف، وعلاقتها بالزوج والولد، والأقارب والآخرين.

ويتبع ذلك معرفتها بسير أمهات المؤمنين، وبنات رسول الله - ﷺ - والصحابيات، وبقية النساء الصالحات ووقائع التاريخ الإسلامي الممتد على مدار العصور ومن الأمور التي تحتاجها المرأة إطلاعها على الأمور الفقهية الخاصة بالمرأة أولاً ثم ما يتعلق بالأحكام الخاصة بالأسرة والأولاد، وجميع ما له صلة بمسؤوليتها في البيت والمجتمع.

وهناك جوانب أخرى لا بد للمرأة من الاطلاع عليها وفهمها، لتستطيع الاستفادة من إيجابياتها، والتخلص من سلبياتها، أو وقاية نفسها وأسرتهامن أضرارها.

وهذه الجوانب تتعلق ببعض العلوم الخاصة بالصحة، وطرق التربية، ووسائل التأثير، والثقافة العصرية، ولا سيما ما ينشر منها ويذاع ضمن برامج مختلفة، ومنشورات منوعة: في الصحافة، والمجلات، والكتب، والنشرات، والمسرحيات، وبرامج الأطفال المختلفة، والقصص، والدراسات.. إلخ.

إن اطلاع المرأة على هذه الأشياء تبين لها كثيراً من الأمور التي ينبغي عليها معرفتها، والتزود بها، أو تجنبها، والتوقّي منها.

وإن ميزانها الذي تقوم به ذلك كله، هو ما ورد في كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ من نصوص وحقائق تمثل فطرة الحياة وناموسها الأزلي (١).

٦-ب-٢-الإعداد العملي:

والإعداد العملي لا يكفي وحده لتؤدي المرأة واجبها في بناء الأسرة وتربية الأبناء، بل

---

(١) من الكتب المفيدة في هذا الجانب كتاب (المرأة المسلمة المعاصرة - إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة للدكتور أحمد أبابطين وكتاب (إعداد المرأة المسلمة) للدكتور السيد محمد علي نمر، وكتاب (شخصية المرأة المسلمة) للدكتور محمد علي الهاشمي.

لا بد من الإعداد العملي القائم على نقل الخبرات وتكوين المهارات الخاصة بهذا الجانب .

ويتولى الإعداد العملي في جميع مراحله البيت ، بحيث تتولى الأم إعداد ابنتها لتكون زوجة تتقن مسؤوليتها وتؤدي واجبها ، وتنجح في تكوين النواة الأولى - الأسرة - وإسعاد الزوج ، وإمداده بالثقة والعزيمة ، ومشاركته في تحمل الأعباء ورسم صورة المستقبل .

كما تتولى إعداد ابنتها لتقوم بمسؤولية البيت ، وصيانته ، وترتيبه ونظافته ، وتهيئته ليكون مُستراحاً مطمئناً للزوجين ، وسكناً رؤوفاً بهما ، وواحة تملؤها النظافة والجمال المادي والمعنوي ، وتضمخ أجواءه مشاعر المودة والألفة والمحبة والتعاون ، كما تتولى إعداد ابنتها لتقوم بشؤون الأسرة المادية والتربوية ، من عناية بنفسها ، وخبرة في حضانة أطفالها ، وعمل كل ما من شأنه المحافظة على كيان الأسرة ونجاحها وصحتها واقتصادها .

وهذا الإعداد لايتم إلا بالتدرج ، والممارسة الفعلية والبيت الذي يقوم بواجبه يحوّل السنوات التي تقضيها البنت في بيت والدها إلى سنوات اكتساب الخبرات العملية ، في المختبر الذي تديره الأم ، ويشرف عليه الأب ، فتتعرف إلى طرق التعامل وأساليب القيام بما يحقق السعادة والنجاح للبنت .

وكذلك لابد من إحداث معاهد خاصة لتزويد الفتاة بالخبرات والمعلومات الخاصة بشؤون الأسرة ، ابتداء من دخول بيت الزوجية ، والتعامل مع الزوج ، إلى أن تصبح الأسرة كبيرة تضم البنين والبنات ، وتحيط بها الرعاية الأبوية .

هذه المعاهد تكمل وتقنن كل ما تكسبه الفتاة من بيت والدها ، ومن أمها ، بطريقة علمية وعملية شاملة ، تحدد من خلالها الجوانب المهمة التي ينبغي أن تتزود بخبراتها ، وتتعرف إلى الأساليب والمناهج الخاصة بها .

إن إدارة البيت ، وتولي شؤون الأسرة ، والقيام بمسؤولية التربية وإعداد الأجيال ليست من الأمور السهلة التي تترك للخدم والسائقين ، أو لمن يجلب باسم المربيات وغيرهن . لأن هذه الأمور ذات صلات وثيقة بعقيدة الأمة ، ودينها وأخلاقها وقيمها وعاداتها ، وذات تأثير أساس في إعداد الأجيال ، وتكوين المجتمع ، واتجاهات الأمة ،

وأهداف البلاد وليس غريباً أن نرى كيف تتهدم المجتمعات، وتتقوض الدول، وتنهار القيم بعد جيل أو جيلين حين يتركان بين يدي المربين الذين لايؤمنون بقيم الأمة وأخلاقها، ولا تهمهم عقيدتها ومصلحتها، وحين تتحول معاهد التعليم إلى محاضن لنقض الأسس التربوية التي تحفظ كيان الأمة والعكس صحيح.

والمعاهد التي أشرت إليها تحتاج لى مناهج وتجهيزات وأساليب تستخلص من قيم الأمة وتاريخها وتراثها وأهدافها.

ولا يكفي ما تأخذه الفتاة من ثقافة معرفية وعملية فيما يسمى التدبير المنزلي أو الاقتصاد المنزلي، لأن هذا فقرة صغيرة لا تساعد على إعداد المرأة لتتولى هذه المسؤولية الخطرة في المجتمع.

وأختم هذه الفقرة بهذه العبارات التي لخصت صفات المرأة الصالحة: الزوجة والأم والمربية:

فهي الناظرة في عيبها، المفكرة في دينها، المقبلة على ربها، الخفي صوتها، الكثير صمتها، اللينة الجناح، العفيفة اللسان، الظاهرة الحياء، الورعة عن الخنا، الواسعة الصدر، العظيمة الصبر، القليلة المكر، الرضية الذكية، الرزينة، النجيبة، السهلة الخلق، الرقيقة، البريئة من الكذب، النقية من العُجب، التاركة للقذى، الزاهدة في الدنيا، الساكنة المستبرة، لامتفاكهة ولا متهتكة، قليلة الحيل، وثيقة العمل، رحيمة القلب، خليصة الود، إن زُجرت انزجرت، وأن أُمرت أطاعت، تبعد عن الصلف وتبغض السرف، وتكره المكروه، وتمقت الفخر... قنوع بالكفاف واستتار العفاف، لها رحمة بالأهل، ورفق بالبعل، تضع له خدها، وتخلص له ودها... ولا تملأ منه طرفها، وتترك لأمره أمرها، وتخرج لآرائه عن رأيها،... تأمنه على سرها، وتستشيره في أمرها، وتصفيه غاية الحب، وتؤثره على الأم والأب، لا تلفظ بعيبه ولا تخبر بسره، تحسن أمره، وتتبع سروره، ولا تجفوه في عسر، ولا تضايقه في فقر، بل تزيده في الفقر وداً، وعلى الافتقار حباً، تلقى غضبه بحلم وصبر، تترضاه في غضبه، وتتوقاه في سخطه،

وتستوحش لغيبته، وتستأنس لرؤيته، قد فهمت عن الله ذكره وعلمه، فقامت فيه بحق فضله، فعظم بذلك فاقتها إليه، ولم يجعل لها مُعوّلاً إلا عليه - فهو لها سمع ولب، وهي له بصر وقلب[1]. وإذا كانت كذلك، فهي الراضية المرضية، التي تظفر بالمحبة والرضوان، وتنال عند ربها إن شاء الله المغفرة والجنان.

وهي الأم الحنونة الواعية، الحاضنة المربية، العطوفة الحنونه، الحريصة على نشأة ولدها، صالحاً سليماً معافى، بعيداً عن الشرك والكفر والنفاق، متحلياً بالإيمان والإخلاص والأخلاق، تعمل على سعادة الأسرة كلها، وتسهر على شؤونها وتحرص على أن يجمعها طاعة الله، والمحبة والتعاون والمحافظة على الرحم. تعد بيتها مملكتها، وأسرتها مؤسستها ومكان عملها، ونجاحها في تربية بنيها ورفد المجتمع بأبناء صالحين، لاتأبه لدعوات الفساد، ولا تغرها المغريات والأضواء رائدها في ذلك الخوف من الله والحرص على مرضاته، والظفر بالجنة والرضوان.

٦-ب-٣-أمثلة من مهمات المرأة في دائرة الأسرة:

لا يمكن بعد كل الذي أوضحناه أن نصف مهمة المرأة في البيت، بأنه حصر لنشاطاتها، وقتل لإمكاناتها، وحبس لها عن الإسهام في تطوير مجتمعها؟

هذا قول غريب ومضحك، لا يقوله إلا جاهل أو صاحب هوى، وداعية مكر وسوء، ولا يصدقه إلا مخدوع، أو جاهل، أو متآمر.

والمرأة المتعلمة أولى من غيرها أن تستفيد من علمها وثقافتها، لتتولى شؤون هذه المؤسسة الضخمة، والبنية الأساسية للمجتمع وهي الأسرة وإن أي إسهام تود أن تقدمه للمجتمع تستوعبه هذه المؤسسة، بل إن الاستثمار الصحيح لتعلمها، وتأهيلها، يتحقق في نجاحها في إدارة الأسرة وقيامها بالمهمات المطلوبة منها.

وسنحاول هنا تعداد بعض هذه المهمات، والجوانب المطلوبة من المرأة:

---

(١) الصفات المطلوبة في البنت والزوجة/ عكاشة عبد المنان الطيبي/ ٣٣ مع بعض التصرف.

١ـ في مجال الصحة والوقاية:

ـ رعاية الجنين في بطنها، وتطبيق القواعد الصحية التي تكفل نموه بشكل سليم، وسلامتها بشكل صحيح، والاعتماد في ذلك على ثقافتها الصحية الضرورية لها كامرأة حامل، لتوفير الجهد والمال على الأسرة والسلامة لها.

ـ تأمين الحضانة والرعاية الصحية للوليد، ومعرفة كل ما يحتاج إليه من رعاية جسديه، ووقاية صحية، ورضاعة طبيعية.

ـ القيام بالرعاية العقدية والنفسية، عن طريق معرفة السلوك الصحيح مع الطفل الرضيع، وتأمين الجو الهادئ المطمئن، وتلقينه الأمور الأساسية التي تؤثر في نشاطه.

ـ رعاية الأطفال بعد الفطام، والسهر على تنشئتهم تنشئة سليمة، ويشمل ذلك الأمور الصحية والوقائية، والعناية بتربيتهم العقدية، لترسيخ الإيمان، والولاء الخالص لله عز وجل ودينه، والثقة بالله، والسعي لمرضاته ومعرفة نعمه وقدرته، وتعود الشكر والحمد، وربط الأشياء بموجدها، وحب شريعة الله، وحب رسول الله ﷺ، والتعرف على سيرته والاقتداء به... إلخ.

والعناية بالتربية السلوكية، وزرع القيم الأخلاقية السليمة، وربطها بالدين من ناحية، وسبب النجاح في الدنيا من ناحية أخرى، ورعاية النمو السلوكي والخلقي بشكل عملي مدروس، ووضع البرامج التي تعالج آثار الإعلام، والدعايات المختلفة التي تستهدف إفساد الجيل وتفكيك الأسرة.

إعداد برامج تربوية خاصة بأفراد الأسرة مثل:

برامج قرآنية: للقراءة والفهم والتفسير.

برامج حديثية: لدراسة الأحاديث المناسبة لهذه المرحلة، وتعليم عدد من الأدعية المأثورة.

برامج السيرة وبعض التراجم التي ترسخ القيم، وتوضح صورة عن واقعية تأثير

الإيمان والإسلام في إعداد الأجيال.

برامج عن الواجبات المفروضة على الإنسان، الطفل، الناشئ الكبير

برامج لتربية الطفل على القيام بالواجبات، ومعرفة الأهم منها وإلزام نفسه بها، وجميع ما يحتاجونه من أحكام الإسلام.

برامج ترفيهية مفيدة تتناسب مع طبيعة الأطفال وأعمارهم.

برامج عملية مختلفة لتدريب الأطفال على القيام بالأعمال بصورة مناسبة.

برامج توعية عامة تعالج ما يظهر للأم من أمور بين حين وآخر.

برامج خاصة بالآداب العملية ولا سيما داخل الأسرة، ومع الأبوين ومع الأقارب والجيران [1].

وهناك أمور أخرى لابد من أهتمام المرأة بها، لتأثيرها على الأسرة وجميع أفرادها، وخاصة الأمور المادية، والاستهلاكية[2].

---

(١) انظر كتاب (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم/ ج١٠/ ١١٢-١٥٦.

(٢) تشير بعض التقارير التي نشرت إلى أن دول الخليج العربية من أكثر بلدان العالم إنفاقاً على الأمور الاستهلاكية، والترفيهية: كأدوات الزينة، والعطور وغيرها. ويعتقد الكثيرات من النساء العاملات أنه من حقهن التصرف بأجورهن بالطريقة التي يرغبن فيها، ولذلك تصرف المبالغ الكبيرة على الأمور الترفيهية والمظهرية. ويصبح الحصول على مثل هذه الأشياء المظهرية ذات الأسعار المرتفعة أمراً مقصوداً، وموضع تسابق وتفاخر بينهن. وقد يؤدي ذلك إلى كثير من الخلافات بين الزوجين، أو بين الزوج وأهل الزوجة، وتضيع هذه النفقات في أمور لاتفيد الأسرة، ولا تفيد المجتمع. فضلاً عن أنها ترسخ عادات سيئة لدى الأجيال، وتعود الكثيرات على عدم الشعور بالمسؤولية، وعدم التفريق بين الواجبات والكماليات وعدم معرفة الأوليات.

وفي الوقت ذاته تزداد الحاجات المادية للأسرة، لتأمين نفقات الأولاد، والخادمات، والسائقين، وتلبية متطلبات الأولاد المحرومين من الحياة الأسرية، وحنو الأم، وعنايتها، وكذلك تلبية مختلف الضرورات التي لا تستطيع الأسرة تأمينها بنفسها لا نشغال الأم وبالتالي يصبح جلبها من السوق ضرورياً.

كل ذلك يحمّل الأسرة أعباء مادية مضاعفة للأكل والشرب واللباس ولعب الأولاد وتلبية حاجاتهم المادية والنفسية.

ولذلك أصبح موضوع اقتصاديات الأسرة من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة علمية واقعية، لتحديد =

ومن ألوان النفقات التي تواجه الأسرة.

١ـ نفقات الخدم والسائقين والمربيات.

٢ـ النفقات على وسائل النقل، سيارة خاصة بالأولاد، أو الزوجة.

٣ـ النفقات الخاصة باللباس المظهري، والكماليات، ووسائل الترف والزينة المتلازمة مع خروج المرأة، ومنافسة المرأة لغيرها في ذلك.

٤ـ نفقات الأكل والشرب الزائدة، التي تتطلبها هذه الحالة، وعدم وجود المرأة في البيت وقيامها بتحضير الطعام والشراب لأفراد الأسرة مجتمعين وفرادى.

٥ـ نفقات متعددة على الألبسة، للغسيل والكي، وتنظيف المنزل وصيانة الكثير من المقتنيات.

٦ـ نفقات زائدة عن الحاجة مثل شراء أدوات كثيرة لكي تلبي حاجات أفراد الأسرة في غياب الأم، ومنها نفقات خاصة بالمدارس (دور الحضانة ورياض الأطفال).

٧ـ نفقات المناسبات الاجتماعية والعلاقات الجديدة للمرأة[1].

هذه عينة من النفقات التي يمكن أن تنشأ من عمل المرأة خارج المنزل، ولا بد من مقارنتها مع الفوائد المادية التي تجنيها المرأة أو الأسرة من عمل الزوجة، لمعرفة الربح والخسارة في هذا الجانب المادي.

= الواجبات، والضرورات، ثم فرز ذلك عن الأمور الترفيهية والكماليات. مع دراسة الآثار المادية لخروج المرأة للعمل بعيداً عن واجباتها الأسرية، لمعرفة مدى الربح أو الخسارة الذي يجنيه المجتمع من جراء ذلك، والتحقق من صحة الدعوات التي تدعو المرأة للخروج، وتربط بين تعليمها وارتباطها بالوظيفة والعمل خارج المنزل، والادعاء بأنه لاقيمة لعلمها إن لم تحصل على عمل أو وظيفة خارج الأسرة، وبالتالي تخرج كل المهمات التي أشرنا إليه من دائرة العلم.

(١) هناك دراسة عن اقتصاديات البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية للدكتور حسن شحاتة، ونشرت جريدة الحياة تقريراً جاء فيه أن دول الخليج تستورد مواد استهلاكية: بـ(١٥) بليون دولار سنوياً ١٥/ ٤/ ١٩٩٤.

ولا بد أن نشير هنا إلى أمور أكثر أهمية تنشأ من هذا الوضع، منها:

- ضعف الارتباط الأسري، وفقدان روح المودة والمحبة رويداً رويداً.
- ضعف المتابعة اللازمة للأولاد، وحرمان الأطفال من الرعاية اللازمة والجو الأسري الطبيعي.
- ظهور الانعكاسات النفسية والعصبية على الزوجة من جراء العمل، مما يؤدي إلى تقصيرها في واجباتها الزوجية، وظهور النفور بين الزوجين.
- ازدياد الأعباء النفسية على الرجل، وضعف الروابط العاطفية مع زوجته كل هذه الأمور تدعو المرأة إلى الاهتمام باقتصاديات الأسرة، وبناء ميزانية البيت على أسس صحيحة، تستجيب لتأمين الضروريات، وتلبية حاجات أفراد الأسرة، بما يحقق لهم السعادة والوئام، والنمو السليم.

وهناك أمور أخرى تدور في محيط الأسرة وعلاقاتها الاجتماعية، وضرورة وضع المرأة لبرامج عملية متوازنة، على أسس شرعية لتمتين العلاقات بين الأسرة والأقارب وذوي الرحم: (الآباء والأمهات، والأعمام، والعمات والأخوال والخالات. . .) والنصوص كثيرة في ذلك ومنها «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (١). وتحقيق هذه الصلة، والاهتمام بها يوفر للأسرة، ولا سيما الأبناء أجواء اجتماعية طبيعية، وعلاقات من الود والتراحم، مما يؤدي إلى نوع من الطمأنينة والاستقرار النفسي، والشعور بالانتماء إلى المجتمع، وحب التعاون مع الآخرين لدى الأطفال.

فضلاً عما تكسبه هذه الصلات للأولاد من قيم وسلوكيات وآداب لا يستطيع الطفل فهمها أو تعودها وممارستها إلا في أجواء طبيعية، فتزول منه الأنانية، وحب السيطرة - وحب التملك الزائد، والنفور من الآخرين.

وكذلك بالنسبة للعلاقات مع الجيران، والآخرين ممن تربطهم بالزوج صداقات

---

(١) متفق عليه.

ومودات وعلاقات اجتماعية[١].

وتحرص المرأة في كل ذلك أن تكون برامجها في هذه الأمور ضمن الأطر الشرعية، وآداب السلوك الإسلامي، ومما تنعكس فوائده وآثاره الإيجابية على الأسرة والأبناء، وتزيد في تقوية أواصر المجتمع الذي تنتمي إليه. إذ لابد من حساب الفوائد والمضار في ذلك، ومعرفة آثار هذه العلاقات على بنية الأسرة وسلامة أفرادها، وسلامة النشأة التي تريدها للأبناء. فالعلاقة الاجتماعية عامل إيجابي إذا أُخذت بهذه المقاييس، وإلا تصبح عاملاً سلبياً إذا أضحت عادات متوارثة غايتها قتل الوقت، أو تلبية حاجات نفسية خاصة.

وبعد:

فهذه بعض ما يمكن للمرأة المسلمة التي تريد مرضاة الله عز وجل أن تفعله لأداء واجبها، وهذا الأداء الصحيح دعوة لله - عز وجل - ولكنها دعوة عملية تتوجه بها إلى أكثر الناس قرباً وصلة بها إلى زوجها وأولادها. وإلى البنية التي جعلها الله - عز وجل - ركنها الأساس، وقطبها الأهم وهي الأسرة. والله - عز وجل - أمرنا أن نبدأ بالأقرب فالأقرب حيث خاطب رسوله الكريم - ﷺ - قائلاً: «وأنذر عشيرتك الأقربين»، وجعل صلة الرحم من ألزم الواجبات على المسلم، ومن هنا كان من بدهيات العقل والحكمة ومن أولى الواجبات على المرأة المسلمة أن تتوجه بخدمتها وعملها ودعوتها إلى أسرتها، وأن تبذل وقتها، وجهدها، وإمكاناتها، وعملها لأفراد أسرتها، فإذا توفرت لها الطاقة والمقدرة على أكثر من ذلك، وإذا كانت هناك ضرورة شرعية، خرجت لتقدم خدماتها خارج نطاق الأسرة. أما إن تركت مملكتها وبنيها وأسرتها عرضة لكل رياح سموم، ومؤثرات ضارة، وراحت تبحث في المجتمع عن مكان لها لتقدم خدماتها، فإنها بذلك تؤكد خسارتها الذاتية والاجتماعية، وتكون كمن يستهزئ بنفسه، ويخدعها، لأنه لا

---

(١) من الكتب المفيدة في هذه الموضوعات كتاب (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية) للدكتور عبد الكريم زيدان، وكتاب (شخصية المرأة المسلمة/ للدكتور محمد علي الهاشمي. وكتاب (المرأة المسلمة المعاصرة) للدكتور أحمد أبا بطين.

كسب مع خسارة الأبناء وضياع الأسرة، ولابقاء للمجتمع سليماً معافى مع تفكك الأسرة وانهدام بنيانها.

والمرأة إما أن توقن بأن الله عز وجل الخالق الرحيم، أعلم بخلقه، وأعلم بما يصلح لهم، وأعلم بما يحقق لهم الخير والنجاح والسعادة، وهذا هو الإيمان الصحيح. وإما أن تتظاهر بإيمان يكذبه العمل، وينقضه السلوك والإرادة والتوجه، وعندها يكون لها شأن آخر.

المرأة المسلمة الصادقه هدفها الأسمى مرضاة الله - عز وجل - والوصول إلى هذا الهدف بين واضح - سهل على من يؤمن بالله ويوقن بما عنده، وصعب على من يؤثر الشهوات وينقاد إلى الهوى. والمرأة المسلمة تجابه - اليوم - مؤامرات وصعوبات ودعوات مضللات، وكلها تغلف بأغلفة براقة زاهية، وأضواء مبهرة خادعة، ولكن نجاتها، ونجاة مجتمعها طريقة اتباع الهدي النبوي الكريم، ومعرفة طريق الإسلام.

كتب منشورة للمؤلف

١ـ مصعب بن عمير (الداعية المجاهد) — الطبعة السادسة

٢ـ أبو بصير (قمة في العزة الإسلامية) — الطبعة الثامنة

٣ـ ظاهرة الردة — الطبعة الثالثة

٤ـ خالد بن سعيد بن العاص (الصحابي المجاهد) — الطبعة الثانية

٥ـ ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر) — الطبعة الثالثة

٦ـ نسيبة بنت كعب (أم عماره) — الطبعة الرابعة

٧ـ المرأة المسلمة الداعية — الطبعة السادسة

٨ـ في الأدب الإسلامي المعاصر — الطبعة الثالثة

٩ـ ديوان هاشم الرفاعي (الأعمال الكاملة) جمع وتحقيق — الطبعة الثانية

١٠ـ من الشعر الإسلامي الحديث (مختارات من شعراء الرابطة) — الطبعة الثانية

١١ـ أدب الأطفال (أهدافه وسماته) — الطبعة الثالثة

١٢ـ الأدب الإسلامي (أصوله وسماته) — الطبعة الرابعة

١٣ـ في القصة الإسلامية المعاصرة (دراسة وتطبيق) — الطبعة الأولى

١٤ـ دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة (قصص نجيب الكيلاني) — الطبعة الأولى

١٥ـ حاضنة رسول الله (بركة بنت ثعلبة أم أيمن) — الطبعة الأولى

١٦ـ الصحوة الإسلامية وآفاق التربية — الطبعة الأولى

١٧ـ الشيخ والزعيم (مجموعة قصصية) — الطبعة الأولى

١٨ـ نحو منهج تربوي أصيل.

كتب مدرسية وتعليمية

١ ـ كتاب (المرشد في الإملاء) لمعلمات المرحلة الابتدائية بالاشتراك	الطبعة الثانية
٢ـ كتاب القراءة والكتابة للسنة الأولى لمرحلة مكافحة الأمية وتعليم الكبيرات (بالاشتراك)	الطبعة الثانية
٣ـ كتاب القراءة والكتابة للسنة الأولى لمرحلة المكافحة وتعليم الكبيرات (مرشد المعلمة) بالاشتراك	الطبعة الثانية
٤ـ كتاب القراءة والمحفوظات لدارسات السنة الثانية في مكافحة الأمية وتعليم الكبيرات (للطالبة) بالاشتراك	الطبعة الأولى
٥ـ كتاب القراءة والمحفوظات (مرشد المعلمة) للسنة الثانية من مكافحة الأمية بالاشتراك	الطبعة الأولى
٦ـ كتاب القواعد للسنة الثالثة من مكافحة الأمية (للطالبة) بالاشتراك	الطبعة الأولى
٧ـ كتاب القواعد للسنة الثالثة (معلمة) بالاشتراك	الطبعة الأولى
٨ ـ كتاب (تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام) من ١٣١٩ ـ ١٤١٩ هـ.	الطبعة الأولى

كتاب تاريخي توثيقي ينوف على ألف صفحة من القطع الكبير)

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	٧
١. الفصل الأول: المرأة الداعية	١١
١ـ أ ـ ماذا تعني كلمة الدعوة	١١
ب ـ مشروعية الدعوة وحكمها	١٤
ج ـ وظائف الدعوة	١٨
د ـ من هي المرأة الداعية	١٩
هـ ـ أول الطريق	٢٠
٢. الفصل الثاني: مؤثرات في حياة المرأة والمجتمع	٢٥
أ ـ النية وصدق التوجه	٢٥
ب ـ صور من النساء اللواتي اجتزن العقبات وآثرن ما عند الله	٢٩
ج ـ معرفة الواقع :	٣٥
١ـ التقليد والإعجاب بالغرب	٣٦
٢ـ دعوى التقدم والحضارة	٤٨
٣ـ اليهود وسيطرتهم على المال والإعلام	٥٥
د ـ التعليم وآثاره	٥٧
هـ ـ تأثير وسائل الإعلام	٧٣
١ ـ البروتوكولات والإعلام	٧٥
٢ ـ خطط السيطرة على وسائل الإعلام	٧٦
٣. الفصل الثالث: الأسرة والمرأة	٨٣
أ ـ أهمية بناء الأسرة	٨٣
ب ـ مسؤولية الزوجة في بناء الأسرة	٩٠

ج ـ الدعوات المضللة لإبعاد المرأة عن فطرتها ومسؤوليتها ١٠٠
د ـ المساواة والفرق بين الرجل والمرأة وعلاقة ذلك بمسؤوليتها ١٠٧
٤ ـ الفصل الرابع: المرأة وبيت الزوجية ١١١
أ ـ إعداد المرأة لبيت الزوجية ١١١
ب ـ إعداد المرأة لإدارة المنزل وجماله ونظافته ١١٦
ج ـ إعداد المرأة لإدارة الأسرة اقتصادياً ١١٧
د ـ إعداد المرأة للقيام بمهمة التربية ورعاية الطفولة ١١٨
هـ ـ مثل من تاريخنا الإسلامي ١٢٢
و ـ تاريخنا يقدم الكثير من النماذج عن النساء الواعيات ١٣٠
ز ـ المرأة في بيت الزوجية ١٣٤
١ ـ الطاعة والسكنية للزوج ١٣٤
٢ ـ قرار الزوجة في البيت ١٣٨
٣ ـ مسؤولية الرجل وثواب الزوجة ١٤٤
٥ ـ الفصل الخامس: المرأة الداعية وتربية الأبناء ١٤٩
أ ـ أهمية الأسرة ومسؤولية المرأة ١٤٩
ب ـ أسس تكوين الأسرة ١٥٣
ج ـ النية والدعاء وسلوك الزوجين ١٥٤
د ـ السنن المطلوبة للوليد ١٥٦
هـ ـ الرضاع والحضانة ١٥٧
٦ ـ الفصل السادس: تعليم المرأة وأثره في مسؤوليتها ١٦١
أ ـ تحويل خبرات المرأة إلى برامج هادفة ١٦٣
ب ـ جوانب من إعداد المرأة: ١٦٧
ج ـ ١ ـ الإعداد العلمي ١٦٩
٢ ـ الإعداد العملي ١٧٠
٣ ـ أمثلة من مهمات المرأة في الأسرة ١٧٣
كتب للمؤلف ١٨١

ليس غريباً أن يهتم العالم بالمرأة، وأن تعقد لها المؤتمرات والندوات باعتبارها المحور الذي من خلاله تعم البلوى والفساد والإفساد، أو إليها يؤول الصلاح والإصلاح. فهي سهم ذو اتجاهين متناقضين اتجاه الخير والتعمير واتجاه الشر والتدمير كونها تتوفر فيها كل إمكانات التغيير.

فهي تمارس تعمير الذات بإثراء نوازع الخير، وإصلاح الزوج بفيء الرحمة والتعاون، والابن بعطر الحنان والتربية وسمو الأخلاق، والأسرة بالوئام وحسن الرعاية، والمجتمع بنور الصلاح وتعميم الصدق والكرامة وعلو الهمة واقتحام عقبة التخلف.

كما تمارس تدمير الذات بشحنها بنوازع اللذة والشر كما تدمر الزوج بنار الشك والقسوة، والابن بعقد الوحدة والانعزال والإهمال، والأسرة بخلخلة روابطها ونقض عرى المودة فيما بينها والمجتمعات بشر الرذيلة.

أمام هذين المشروعين أحدهما يسوق البشرية إلى دركاته الدوابية معتمداً على دعم جميع آلات الإلحاد والعبثية من سلطة ومال وإعلان.

وآخر يقود الناس إلى ذرى الطهر والنبل رغم وقوف طوابير التهميش والمحاصرة، بل الحرب المعلنة ضده.

جاء هذا الكتاب القيم ليبين دور المرأة المسلمة الداعية في بناء المشروع الإسلامي الرباني وتحقيقه كقوة خير تواجه جبروت الشر وتحاول الصمود أمام زحفه.

هذا الكتاب يرى فيك أيتها المؤمنة مشروع إنقاذ ليعيد لك الحق الذي سلبته منك قوى البغي باسم التحرير والتحضر والمدنية. يعيدك سيدة تقود الحياة بأسرها لا عبدة ترتمي عند أقدام الشهوات والابتذال.

إنسانة تصنع الحياة لا مادة مبتذلة تصنعها مشاريع شركات البغاء.

والسؤال الذي يجب أن تطرحيه.

ما هي مواقع صناعة التغيير التي يجب أن تكوني فيها ؟

ما هي وسائل القيام بهذا البناء الطود الذي يجب أن تتوفر عندك ؟

وكيف بإمكانك أن تكوني ملهمة لرجال يصنعون التاريخ ؟

دار طيبة للنشر والتوزيع
ت:٤٢٥٣٧٣٧ - ف:٤٢٥٨٢٧٧
137219
SR12.00

ISBN 9953-4-0109-8
9 789953 401096